

اتحاد المؤرخين العرب
بالقاهرة

مجلة المؤرخ العربى

تصدر عن
اتحاد المؤرخين العرب
بالقاهرة

مارس ٩٣

المجلد الأول

العدد الأول

اتحاد المؤرخين العرب
بالقاهرة

مجلة المؤرخ العربى

العدد الأول - المجلد الأول

هيئة التحرير

رئيس التحرير	أ.د. سعيد عبد الفتاح عاشور
نائب رئيس التحرير	أ.د. عبد المالك التميمى
عضوا	أ.د. سهيل زكار
عضوا	أ.د. عبد الرحمن الأنصارى
عضوا	أ.د. الحبيب الجنحانى
عضوا	أ.د. جمال زكريا قاسم
عضوا	أ.د. محمد رزوق

هذه المجلة

- علمية تاريخية بحتة، تصدر عن اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، تستهدف الحقيقة التاريخية صافية نقية بعيدة عن أى تيارات سياسية أو عقائدية .
- البحوث التى تنشر فيها محكمة ، تعبر عن وجهة نظر أصحابها؛ وهيئة التحرير غير مسئولة عما يرد فيها من آراء علمية .
- تصدر مؤقتا سنوية فى شهر مارس من كل عام، على أن تصلها البحوث المقدمة للنشر فى كل عدد فى موعد غايته نهاية شهر نوفمبر من العام السابق.
- لا يزيد البحث المقدم للنشر عن أربعين صفحة منسوخة على الآلة الكاتبة ، ويكون البحث من نسختين: أصل وصورة .
- تأخذ الهوامش والإحالات رقما مسلسلا على أن تثبت فى نهاية البحث .
- تخصص أقسام فى المجلة لعرض الكتب والمراجعات العلمية وتقارير عن المؤتمرات التاريخية والندوات .
- يراعى فى البحوث التى تقدم للنشر أن تكون جديدة لم يسبق نشرها .
- الأعمال المقدمة للنشر لا ترد لأصحابها فى حالة عدم إجازتها للنشر بالمجلة.
- يأتى ترتيب البحوث المنشورة وفق أسبقية ورودها وإجازتها للنشر ولا علاقة إطلاقا بين هذا الترتيب ومكانة الباحث أو درجته العلمية .
- جميع المراسلات تكون باسم الاستاذ الدكتور رئيس اتحاد المؤرخين العرب بالمقر المؤقت للاتحاد (كلية الآداب - جامعة القاهرة - أورمان - جيزة - مصر) .

المؤرخ العربى

مجلة تاريخية علمية محكمة تصدر عن

إتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة

العدد الأول - المجلد الأول - مارس ١٩٩٣

فى هذا العدد

- كلمة الافتتاح
- رئيس التحرير
- النزاع العربى الإيرانى حول جزر أبو موسى والطنبين
- الأصول التاريخية والتطورات المعاصرة
- أ.د. جمال زكريا قاسم
- العرب فى مقديشو
- وأثرهم فى الحياتين السياسية والثقافية فى ظل الإسلام
- د. غيثان على جريس
- إمارة أبو ظبى فى عهد زايد بن خليفة
- د. محمد حسن العيدروس
- الضياع الأموية فى الشام فى العصر العباسى
- أ.د. عبد المنعم ماجد
- المصادرات وأثرها على استقرار الملكية
- فى عهد الخليفة المقتدر بالله
- د. ضيف الله بن يحيى الزهرانى
- لمعان الضوء فى دياجير الظلام
- دراسة لعهد الصدر الأعظم محمد كوبرلى
- د. يوسف بن على بن رابع الثقفى
- الكرج والاتراك السلاجقة فى عهد داود الثانى
- أ.د. فايز نجيب اسكندر
- تقرير عن اجتماع الجمعية العمومية لاتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة (٧ - ٩ ديسمبر ١٩٩١).

كلمة الافتتاح

بسم الله الرحمن الرحيم.

إذا كان البعض يأخذ على علم التاريخ ارتباطه بالماضى، فإن البحث فى الماضى ليس غاية فى حد ذاته، وإنما هو أداة لشحذ الهمم وغرس الثقة فى النفوس من ناحية، والإفادة من تجارب ودروس الماضى فى مواجهة مشاكل الحاضر وبناء مستقبل أفضل من ناحية أخرى. ولذا صارت مهمة المؤرخ إلقاء الأضواء على خفايا الماضى بكل ما يحويه من حسنات وسيئات، ومزايا ومثالب، ملتزما بالصدق والأمانة، مستهدفا الوصول إلى الحقيقة التاريخية، واتخاذها محورا لما يقول أو يكتب.

ويتتبع مسيرة التاريخ يتضح أن عجلته لا يمكن أن تعود إلى الوراء، وإنما تقضى سنة التطور التاريخى بالسير قدما إلى الأمام . حقيقة إن تاريخ أمة من الأمم أو بلداً من البلدان ربما يبدو فى بعض حلقاته وقد تعرض للجمود والتوقف، ولكن مثل هذه الظاهرة لا يصح تفسيرها مطلقا بأنها عودة إلى الماضى. فالماضى بأبعاده الحضارية، وأوضاعه ، وظروفه، ولت أيامه، ومن الصعب أن يعود بنفس الصورة والملامح .

إن حوادث التاريخ قد تتشابه ولكن من العسير أن تتطابق ؛ فلكل عصر أوضاعه وظروفه ونظرة الناس فيه إلى الحياة، وهذه كلها عوامل تكيف التاريخ تكييفاً خاصاً مميّزا فى كل عصر من العصور .

ونحن عندما نتكلم عن حضارة - أو حضارات - العرب قبل الإسلام، فإننا لا نستهدف تمجيد الوثنية وتراثها - مثلما يتوهم البعض ، وإنما نستهدف تأكيد أصالة

هذه الأمة، وكشف النقاب عن جذورها الحضارية التي امتدت بعيدا فى أعماق التاريخ، والتدليل على أنه فى الوقت الذى كان جيران العرب - من فرس وروم وغيرهم - يمثلون قوى حضارية، لم يكن العرب فى جنوب شبه الجزيرة وشمالها وقلبها، بعيدين عن موكب الحضارة البشرية، وإنما أسهموا إسهاما جادا مفيدا فى بناء صرح الحضارة، بقدر ما سمحت به ظروف البيئة وإمكاناتها .

وعندما يعنى المؤرخ بالكشف عن جوانب التراث العربى فى ظل الإسلام، فإن هدفه البعيد ليس مجرد التغنى بأمجاد السلف والإشادة بما بلغه الأمويون وما حققه العباسيون، وإنما يستهدف ما هو أهم وأكبر، أعنى بيان قدرة السلف على الانفتاح الحضارى على العالم أجمع، وعدم الإنغلاق وإغماض العين عما حققه الغير من انجازات، ثم ابتكار الجديد النافع، ومواجهة مشاكل العصر بأسلوب يجمع بين الذكاء والمثابرة والشجاعة واتساع الأفق .

وإذا عالج المؤرخ العربى موضوع سقوط دولة المسلمين فى الأندلس وما حلّ بهم فى تلك المحنة من قتل وطرْد وتعذيب وتشريد، فإن المفروض منه عدم الوقوف عند حد الرثاء والبكاء، وإنما عليه أن يوضح فى أمانة وشجاعة أسباب تلك الكارثة المؤلمة وما وقع فيه مسلمو الأندلس من أخطاء أدت إلى سوء العاقبة. وبذلك يتحقق الهدف الأساسى من دراسة التاريخ وهو أن يصبح المدرسة الكبرى التى يستفيد فيها الإنسان من دروس الماضى .

ولكن يبدو أن حكام إيران والعراق اليوم لا يدركون هذه الحقائق، وأنهم يعيشون فى خيال الماضى وليس فى واقع الحاضر؛ محاولين استخدام التاريخ فى تبرير أوهام يسعون لتحقيقها .

أما عن حكام إيران فإنهم يتباكون على مجد الأجداد ، ولا يريدون أن ينسوا أو يتناسوا أن العراق بأكمله والخليج برمته كانا فى يوم من الأيام داخل إطار دولتهم الفارسية الكبرى ، حتى ظهر العرب على المسرح فى ظل الإسلام فهدموا دولة الفرس ودكوا عرش الأكاسرة وأدخلوا الجميع تحت سيادتهم . ويمتد الخيال بحكام إيران إلى محاولة العودة بالتاريخ إلى الوراء ومحاولة استعادة ما كان للفرس من أمجاد على حساب جيرانهم، متجاهلين ما حدث على مدى قرون طويلة من تغييرات جذرية سطرت على صفحة التاريخ، تبدلت فيها أوضاع العالم أجمع، وتم فيها تعريب الشاطئ الغربى للخليج بأكمله، فضلا عن تعريب بلاد الرافدين ، وصارت هذه البلاد كلها أعضاء لها كيائها فى جسد الأمة العربية .

وأما حكام العراق اليوم، فإنهم يعيشون أيضا تحت مظلة الأوهام، ويتطلعون إلى تحقيق مجد لأنفسهم على حساب التاريخ، ولكنهم يخطئون الحساب. إنهم يتوهمون أن بإمكانهم العودة بعجلة التاريخ إلى أيام بنى العباس، عندما كان والى البصرة يحكم إقليم الخليج لحساب خليفة بغداد، متناسين أن التاريخ قد دار دورته وأن المجوس لم يعودوا مجوسا، وأن بلاد الفرس لم تعد ولاية من ولايات بغداد، وأن الشاطئ الغربى للخليج قامت عليه إمارات عربية مستقلة فضلا عن سلطنة عمان ، وكلها وحدات سياسية ذات كيان وقوام، بحيث تمثل كل وحدة عضوا فى جامعة الدول العربية . بل فى هيئة الأمم المتحدة . ونقول حكام العراق لا أهل أو شعب العراق، لأن هؤلاء الأخيرين إخوة مغلوبون على أمرهم، نعتز جميعا بهم وبعروبتهم، وإسهامهم على مر القرون فى دعم الأمة العربية والحفاظ على حاضرها والإشفاق على مستقبلها .

وفى جو مشبع برائحة الدماء، تسوده روح الإرهاب، لا يعرف أسلوبا لتحقيق أغراضه إلا أسلوب القتل والإغتيال وسفك دماء الأبرياء، قدر لاتحاد المؤرخين العرب أن يعيش فى بغداد بضع سنين ، يعمل تحت رئاسة صبيانية فرضها حاكم العراق على هذا الاتحاد، فى محاولة منه لتسخير التاريخ والمؤرخين العرب لخدمة مخططاته العدوانية على حساب الحقيقة التاريخية، مستخدمين سلاح الارهاب والتهديد من جهة وسلاح الابتزاز وفرض الاتاوات على دول الخليج من جهة أخرى . وكان أن وقع العدوان الفاشل على الكويت سنة ١٩٩٠، وعندئذ كشف اتحاد بغداد عن حقيقة وجهه القبيح، فأصدر بيانات باسم المؤرخين العرب - والمؤرخون العرب أبرياء منها - تؤيد العدوان ، واستغل الأموال التى كان قد ابتزها من دول الخليج لنشر دعاية واسعة لقطع الأيدى التى أحسنت إليه، معتمدا على أساليب رخيصة بعيدة عن واقع الحقيقة والتاريخ .

ولم يرتض المؤرخون العرب ذلك الوضع الذى اعتبروه إهانة فى حقهم وفى حق التاريخ، ف عقدوا اجتماعا فى القاهرة بمقر الجمعية المصرية للدراسات التاريخية خلال شهر سبتمبر سنة ١٩٩٠ . وضم هذا الاجتماع لفيفا من المؤرخين ينتمون إلى شتى البلدان العربية. وكان أهم ما تمخض عنه هذا الاجتماع عزل الرئيس الذى فرضته حكومة العراق على الاتحاد، ونقل مقر الاتحاد إلى القاهرة ، والدعوة لعقد جمعية عمومية تضم المؤرخين العرب فى كافة انحاء الوطن العربى .

وفى الاجتماع الذى عقدته الجمعية العمومية لاتحاد المؤرخين العرب فى القاهرة (جمادى الآخر ١٤١٢ هـ ، ديسمبر ١٩٩١م) والذى ضم أكثر من مائة وخمسين عضوا يمثلون كافة البلدان العربية باستثناء ثلاث دول فقط ، تم وضع القانون

الأساسى للاتحاد فى عهده الجديد، وعن طريق الانتخاب الحر المباشر تم اختيار رئيس للاتحاد ونائب للرئيس ومجلس أمناء وأمين صندوق. وهكذا بدأت المسيرة لتبدأ صفحة جديدة تستهدف كل ما يعود بالخير على العرب وأمة العرب وتاريخ العرب ، ومؤرخى العرب .

ولئن بدت هذه المسيرة فى نظر البعض بطيئة فى هذه المرحلة، فذلك لأنها مرحلة النشأة، ولا يمكن أن ننتظر من الوليد أن يجرى ويسرع الخطى حال ولادته. وحسب الاتحاد الجديد أن يتحرك داخل إطار واضح من القيم الخلقية ، ويلتزم بأخلاق العروبة فى أنقى صورها، بعيدا عن أسلوب الارهاب والابتزاز والتهديد، وهو الأسلوب الذى طالما أساء إلى التاريخ والمؤرخين فى العهد البائد. ثم إن اتحاد المؤرخين العرب فى عهده الجديد لا يعمل لحساب حاكم بعينه أو تحت سيطرة حكومة بذاتها، وإنما يعمل ليرى الله عمله ورسوله والمؤمنون، مستهدفا الحق والعلم والخير للعرب وللمؤرخين العرب . وكل ما نرجوه هو أن يحظى اتحاد المؤرخين العرب فى وضعه الجديد بثقة الحكومات والمؤسسات العربية فتقدم له من العون ما يمكنه من النهوض بالأمانة الكبرى الملقاه على عاتقه فى هذه الفترة الحرجة التى تمر بها الأمة العربية .



وإذا كنا باسم الله العلى القدير ، نقدم للباحثين فى حقل الدراسات التاريخية هذا العدد الأول من مجلة المؤرخ العربى التى يصدرها اتحاد المؤرخين العرب من مقره

الجديد بالقاهرة، فإننا نود أن نؤكد أن هذا العدد يمثل نقطة البدء . إنه يمثل النواة الأولى التى نرجو لها أن تنمو بفضل جهود الأخوة الزملاء لتصبح شجرة وارقة الظل تعود بالخير على المشتغلين بتراث الأمة العربية وحاضرها ومستقبلها ؛ بل تعود بالخير والبركة على مسيرة الحضارة الإنسانية فى كل زمان ومكان . فالعرب لم يعيشوا مطلقا منغلقيين على أنفسهم وإنما انفتحوا على العالم أجمع مشرقه ومغربه . وليست العبرة بأن يبدأ الإنسان عملا ما ، وإنما العبرة بأن تكون البداية قائمة على أسس سليمة وبنوايا طيبة مستهدفة الخير والصلاح . وصدق الله العظيم إذ يقول (فأما الزيد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض) .

رئيس التحرير

**النزاع العربي الإيراني حول جزر
أبو موسى والطنبين
الأصول التاريخية والتطورات المعاصرة**

**للأستاذ الدكتور
جمال زكريا قاسم
أستاذ التاريخ الحديث بكلية الآداب جامعة عين شمس**

برزت على سطح الأحداث العربية فى الآونة الأخيرة قضية جزر الخليج الثلاث التى قامت إيران بالاستيلاء عليها من دولة الامارات العربية المتحدة ولم تلبث تلك القضية أن تحولت من نزاع بين ايران ودولة الامارات إلى بند أساسى فى الاجتماعات الخليجية والعربية نظرا لتأثيرها على الأمن الخليجى بصفة خاصة والأمن القومى العربى بصفة عامة .

ولعل ما اتجهت إليه ايران من فرض اجراءات إدارية وقانونية استهدفت بها ضم هذه الجزر إلى سيادتها الاقليمية قد أثبت بجلاء أن الاتجاهات التوسعية الايرانية لم تختلف بالتغير الذى حدث فى نظامها السياسى إذ لايزال التوسع الايرانى فى منطقة الخليج من الثوابت الرئيسية فى السياسة الخارجية الايرانية وأصبح واضحا أن ايران لا تزال أسيرة تقاليد سياسية مهيمنة على إدراك قياداتها المتعاقبة والتى يأتى فى مقدمتها عقدة التوسع فى اتجاه الخليج على حساب السيادة العربية فى محاولة لتحقيق الهدف التاريخى والاستراتيجى وهو جعل الخليج " بحيرة فارسية " وذلك على الرغم من اختلاف الشعارات من " الخليج الفارسى " على عهد النظام الامبراطورى الشاهنشاهى إلى الوحدة الاسلامية التى يرددها نظام الآيات الحالى بهدف إخفاء المطامع الايرانية التقليدية فى منطقة الخليج .

ومما تجدر الإشارة إليه أن النفوذ الايرانى ظهر فى منطقة الخليج منذ أواخر القرن الماضى مقترنا بنمو الحكم المركزى والنزعة العنصرية التى ترتب عليها القضاء على الوجود العربى فى الساحل الشرقى من الخليج وماتباع ذلك من سياسة تفريس قسرى لسكانه ثم التطلع إلى الجزر العربية المجاورة لذلك الساحل والساحل المقابل له عن طريق التغلغل البشرى والاقتصادى فضلا عن الادعاءات الاقليمية على

البحرين ومن ثم ظلت السياسة الايرانية التوسعية فى منطقة الخليج تؤثر سلبا على العلاقات العربية الايرانية .

وعلى الرغم من أن ايران قد تخلت عن إدعاءاتها التقليدية فى البحرين واعترفت باستقلالها فى عام ١٩٧١ فإنها لم تلبث فى الوقت نفسه أن قامت بتكثيف إدعاءاتها على جزيرة أبو موسى التابعة لامارة الشارقة وجزيرتى طنب الكبرى والصغرى التابعتين لامارة رأس الخيمة تمهيدا للسيطرة عليها حتى تحقق لها ذلك فى نوفمبر ١٩٧١ قبل يومين اثنين من الانسحاب البريطانى من الخليج مما أثار التوتر من جديد فى العلاقات العربية الايرانية .

إذ كان من الطبيعى أن ينظر العرب إلى خطورة تلك السيطرة لما تشكله المنطقة التى تقع فيها تلك الجزر من أهمية كبيرة لقربها من مضيق هرمز وهى بموقعها هذا بمثابة البوابة الرئيسية لذلك المضيق ومن ثم فإن استمرار سيطرة ايران عليها يعزز من هيمنتها على مدخل الخليج ويمكنها من التحكم فى مواصلاته البحرية مع العالم الخارجى^(١).

ومن ناحية أخرى فإن فرض تلك الهيمنة يهدد أمن وسلامة الدول العربية فى الخليج ويظهر خطورة هذا التهديد بوجه خاص بالنسبة إلى دولة الامارات العربية المتحدة وقطر والبحرين من حيث أن ايران قربت كثيرا بسيطرتها على تلك الجزر مواقعها الامامية من سواحل تلك الدول فضلا عن فقدان العرب لثرواتهم النفطية وموارد طبيعية لا يستهان بها سواء فى تلك الجزر أو فى مناطق البحر الاقليمى

(١) نادرة نعيم زكى : دراسة حول الخلاف بين دولة الامارات العربية المتحدة وايران ، إصدار الهيئة

العامة للاستعلامات ، القاهرة ١٩٩٢ ص ص ٤ - ٧ .

والجروف القارية التى تحيط بها والاهم من ذلك كله فقدان العرب لسيادتهم على أجزاء من ترابهم الوطنى^(١) .

وقد تمثلت السيطرة الايرانية على تلك الجزر فى مظهرين مختلفين :
الأول الاحتلال السافر لجزيرتى طنب الكبرى والصغرى التابعتين لامارة رأس الخيمة.

والثانى عقد اتفاق أو مذكرة تفاهم بين ايران وإمارة الشارقة عن طريق المساعى البريطانية انطوت على تجميد وضع السيادة على جزيرة أبو موسى واتاحة الفرصة لايران لاحتلال بعض المواقع الاستراتيجية التى تقع فى الجزء الأعلى من الجزيرة مع بقاء الجزء الأدنى تحت إدارة الشارقة (٢) .

وعلى الرغم من ردود الفعل العربية التى أثارت ضد ايران فإن السياسة العربية كانت حريصة بوجه عام على عدم قطع جسور التقارب العربى الايرانى ومن ثم أصبح وضع تلك الجزر من القضايا المعلقة فى العلاقات العربية الايرانية لأكثر من عقدين من الزمان حتى عاودت إيران إثارة المشكلة من جديد بالنسبة إلى جزيرة أبو موسى فى ابريل ١٩٩٢ حين عمدت إلى انتهاك الاتفاقية الخاصة بها وفرض بعض الاجراءات الادارية والقانونية التى استهدفت من ورائها الانفراد بالسيادة على تلك الجزيرة مما دفع بدولة الامارات العربية المتحدة التى انضوت كل من إمارة رأس الخيمة والشارقة تحت لوائها ليس فقط بالاحتجاج على انتهاك ايران لاتفاقيتها

(١) عبد الحسين القطيفى : الجزر العربية الثلاث فى الخليج العربى ، من أعمال المؤتمر الدولى

للتاريخ ، بغداد مارس ١٩٧٣ ، ص ٦٤ .

(٢) حسين البحارنة : دول الخليج العربى الحديثة ، علاقتها الدولية وتطور الأوضاع السياسية

والقانونية والدستورية فيها ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٧٧ .

السابقة مع الشارقة وإنما بالمطالبة بعودة الجزر الثلاث إلى سيادتها الإقليمية .
ويقينا أنه ليس من صالح العرب أو إيران أن تتصاعد تلك الأزمة لما يعنيه ذلك من
إتاحة الفرصة لبعض القوى الخارجية من استغلالها تحقيقا لمصالحها الخاصة ولذا فقد
يكون الحل الأمثل هو أن يتم تسوية النزاع سلميا في إطار علاقات الجوار وما
يجمع الطرفين المتنازعين من روابط إسلامية أو اللجوء إلى التحكيم الدولي أو إلى
المنظمات الدولية لاقرار الحقوق الشرعية إلى ذويها .

وسوف نحاول في هذه الدراسة أن نتبع الجذور التاريخية للنزاع العربي الإيراني
حول تلك الجزر والذي يرجع في تقديرنا إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر
حين بدأ ملوك آل قاجار فرض هيمنتهم على الساحل الجنوبي الشرقي للخليج
مستغلين التفكك الذي بدأت تعاني منه الكيانات العربية الواقعة على ذلك الساحل
وما هيأته بريطانيا لهم من التطلع إلى الجزر العربية المجاورة لذلك الساحل مما جعلها
وكانت عربية دائما مجالا للنزاع بين العرب وإيران .

وقد يكون من المناسب قبل الخوض في تتبع الأصول التاريخية لتلك المشكلة أن
نعرف بعض الشيء بتلك الجزر .

ونبدأ بجزيرة أبو موسى وهي أكبرها مساحة وتقع على بعد أربعة وتسعين ميلا
من مدخل الخليج العربي عند مضيق هرمز وتبعد ما يقرب من خمسين ميلا من
ساحل الامارات وعلى ما يقرب من ثلاثة وثلاثين ميلا من الساحل الإيراني .

ويبلغ عدد سكانها قرابة الالف نسمة معظمهم من العرب الذين ينتمون بأصولهم
إلى قبائل الساحل العربي المواجه لهم وإن كانت إيران قد عمدت في الوقت الراهن
إلى تغيير تركيبها الديموجرافية فضلا عن أوضاعها القانونية والادارية .

وتتميز جزيرة أبو موسى بشرائها من المعادن خاصة المغر الأحمر (أكسيد الحديد) بالإضافة إلى ما بها من ثروة نفطية ولا تزال تقوم في الجزيرة بعض الحرف التقليدية بما فيها الصيد البحري والرعى والزراعة حيث تتوافر بها المياه الصالحة للشرب . وعلى الرغم من أن إمارة الشارقة ثم دولة الامارات العربية المتحدة فيما بعد قد أقامت بها بعض المرافق الصحية والتعليمية والأمنية إلا أنها لم تقم بإنشاء ميناء بحري في الجزء الواقع تحت إدارتها مما سيعطى الفرصة ليران لكى تتحكم فى حركة المرور إلى الجزيرة عن طريق الميناء الذى أنشأته فى القسم الخاضع لها^(١). أما عن جزيرة طناب الكبرى فتقع بدورها عند مدخل خليج هرمز وتتميز بأهميتها للملاحة البحرية وتبعد ما يقرب من خمسين كيلو مترا عن جزيرة أبو موسى فى الاتجاه الشمالى الشرقى مقابل إمارة رأس الخيمة التى تتبعها تلك الجزيرة إضافة إلى جزيرة طناب الصغرى التى تقع إلى الجنوب منها وإلى الشمال الغربى من جزيرة أبو موسى وعلى مسافة تسعين كيلومترا من ساحل رأس الخيمة وهى غير مأهولة بالسكان ، وذلك على خلاف الجزيرة الكبرى التى كان يقطنها قبل الاحتلال الإيرانى ما يقرب من سبعمائة نسمة معظمهم من العرب وإن كان الاحتلال الإيرانى قد قلص عددهم بحيث أصبحوا لا يتجاوزون فى الوقت الحاضر أكثر من مائة وخمسين نسمة وقد أقامت رأس الخيمة فى تلك الجزيرة قبل الاحتلال الإيرانى لها مدرستين ابتدائيتين ومركزا صحيا ومخفرا للشرطة وغير ذلك من المرافق الأخرى التى تتناسب وعدد سكانها .

(١) مركز الدراسات السياسية - جامعة القاهرة : ورقة عمل حول المشكلات الحدودية الراهنة فى

منطقة الخليج ، اكتوبر ١٩٩٢ .

ويستدل من الوثائق التاريخية أن تلك الجزر الثلاث كانت من الممتلكات التابعة للقواسم منذ ظهورهم إلى القوة حول منتصف القرن الثامن عشر وقد ظل شيوخ القواسم في كل من إمارة الشارقة ورأس الخيمة يتمتعون بحقوق الملكية على تلك الجزر والتي تمثلت في رفع الاعلام الخاصة بهم وإدارة المرافق العامة واستيفاء الرسوم من الأفراد الذين يغوصون على اللؤلؤ أو يقومون بالرعى أو بمنح التراخيص والامتيازات للشركات العاملة فيها ، وخاصة جزيرة أبو موسى ، حيث منح حاكم الشارقة في عام ١٩٥٢ لأحدى الشركات البريطانية ، وهي شركة الوادي الذهبي^(١) ، امتياز الاستغلال الغاز واكسيد الحديد الأحمر^(٢) .

كما منح حاكم رأس الخيمة في عام ١٩٦٤ امتيازاً لأحدى الشركات الأمريكية للتنقيب عن النفط في الطنين ، وصدقت الحكومة البريطانية على تلك الامتيازات بحكم العلاقات التعاهدية التي كانت تربطها بتلك الامارتين ودون الرجوع إلى الحكومة الايرانية مما كان يشكل في حد ذاته اعترافاً صريحاً من قبل بريطانيا بملكية الشارقة ورأس الخيمة لتلك الجزر^(٣) .

ولم تكن الجزر الثلاث هي وحدها التي امتلكتها القبائل والاسر العربية إذ لا نبالغ في القول بأن جميع السواحل الشرقية للخليج بما فيها من موانئ ومايجاورها من جزر كانت خاضعة بصورة أو بأخرى للسيطرة العربية .

ولذلك فقد يكون من المفيد أن نتعرف على وضعية العرب في تلك

(١) . Golden valley ochre and oxide ltd

(٢) حسين القطيفي ، المرجع السابق ص ٦٧ - ٦٨ .

(٣) جابر إبراهيم الراوي : الحق العربي في الجزر العربية الثلاث وموقف القانون الدولي من

اكتساب الأقالييم عن طريق القوة ، من أعمال المؤتمر الدولي للتاريخ ، بغداد ١٩٧٣ ، ص ٤٣٢ .

السواحل من أجل القاء بعض الأضواء على الأصول التاريخية للمشكلة التي نحن بصدد حلها .

فمن الحقائق الثابتة أن موقع الخليج بين العرب وإيران جعله عامل اتصال بين الجانبين ومن ثم شهد الخليج في مختلف عصوره التاريخية العديد من موجات الهجرة بين سواحل الشرقية والغربية وإن كانت الهجرات العربية هي الغالبة والأكثر تأثيراً وقد تدفقت الهجرات الإيرانية على سواحل الخليج العربية بصفة خاصة خلال الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية بسبب توافر فرص العمل المصاحبة لاكتشاف النفط غير أن كثيراً من تلك الهجرات كانت تتم بطرق غير مشروعة فضلاً عما اضطبع به بعضها من دوافع سياسية أو رغبة في تنفيذ مخططات توسعية^(١) . أما عن موجات الهجرة العربية التي تواجدت على سواحل الخليج فقد تمثلت في موجتين رئيسيتين ترتبط الأولى منها بالهجرات التي رافقت الفتوحات الإسلامية في فارس وأتاحت للعرب فرض سيطرتهم على سواحل الخليج وانتزاع موانئه من أيدي الفرس بينما ترتبط الموجة الثانية بالهجرات التي تدفقت من قلب الجزيرة العربية خلال السنوات الأولى من القرن الثامن عشر وترجع في أسبابها إلى العديد من العوامل السياسية والاجتماعية لعل من أبرزها انهيار النفوذ البرتغالي في منطقة الخليج بما كان يتسم به من قيود احتكارية وسيطرة عسكرية إضافة إلى القحط

(١) تقرير بعثة الجامعة العربية عن زيارتها لامارات الخليج العربي في ١٠ نوفمبر ١٩٦٤ ، انظر

ملحق رقم (٢) من تقرير الأمين العام إلى مجلس جامعة الدول العربية في دور انعقاده الثالث والأربعين، ١٥ مارس ١٩٦٥ ص ١٧٧ وما بعدها . وعن التسلسل والهجرات الإيرانية غير المشروعة يمكن الرجوع إلى كتاب ماذا يجري في خليجنا العربي اصدار الاتحاد الوطني لطلبة الكويت ، مارس ١٩٦٧ ص ٥٣ وما بعدها .

الشديد الذى أصاب أواسط الجزيرة العربية مما دفع بالعديد من القبائل العربية للانطلاق إلى سواحل الخليج وكان لها أثرها فى تكوين الوحدات السياسية التى ظهرت على سواحل شرق الجزيرة العربية منذ منتصف القرن الثامن عشر^(١) .

ولما كان معروفا عن الفرس انزوائهم داخل الهضبة الايرانية فقد انفسح المجال أمام تلك الهجرات للانسياب إلى الساحل الشرقى من الخليج الذى تطل عليه ايران ذاتها ولم يمض وقت طويل حتى أصبح ذلك الساحل عربيا فى ثقافته وتكوينه البشرى^(٢) .

وقد ساعدت الظروف السياسية والاقتصادية فضلا عن عدم وجود نفوذ مؤثر لفارس على سواحلها على عملية الاستقرار هذه خاصة بعد سقوط الدولة الصفوية فى السنوات الأولى من القرن الثامن عشر وعودة الفوضى والتفكك إلى الأقاليم الفارسية وكان ذلك مما مهد لظهور العديد من المدن والامارات العربية التى انتمت بأصولها إلى هجرات يمنية أو نجدية كالعبادلة وبنى حماد والمرزوق وآل بشر وبنو مالك^(٣) أو تلك التى كانت تنتمى إلى الساحل العربى المقابل كبنى معين فى قسم والقواسم فى لنجة وآل مدكور فى بوشهر الذين يرجعون بأصولهم إلى قبيلة المطاريش العمانية . وقد أثرت تلك الانتماءات القبلية فى قوة العلاقات الاسرية

(١) عبد الأمير محمد أمين : المصالح البريطانية فى الخليج العربى ١٧٤٧ / ١٧٧٨ ، بغداد ١٩٧٧ ، ص ٤٧ .

(٢) محمد بهجت سنان : الشخصية العربية للخليج العربى والاحتلال الايرانى للجزر العربية الثلاث ، بغداد ١٩٧٢ ص ٣٨ وما بعدها ، انظر أيضا ر. ج . لاندن : عمان منذ عام ١٨٥٦ ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ١٨ .

(٣) للتعرف على هذه الامارات وشجرات أنساب حكامها انظر حسين بن على الخنجرى . تاريخ لنجة حاضرة العرب على الساحل الشرقى للخليج ، دى ١٩٨٥ ، ص ١٠٧ وما بعدها .

التي ربطت بين العرب على جانبي الخليج^(١) .

ومما هو جدير بالذكر أن القبائل العربية التي استقرت على الساحل الجنوبي الشرقي من الخليج قد عاشت في عزلة عن بقية سكان فارس ولم يكن هذا الانعزال لأسباب جغرافية مرتبطة بطبيعة الهضبة الإيرانية العالية فحسب وإنما أيضا لأسباب عقائدية أو مذهبية إذ تعتنق تلك القبائل المذهب السني على خلاف الفرس الذين ينتمون بصفة عامة إلى المذهب الشيعي الاثني عشري^(٢) . ومما لا شك فيه أن الاستقرار العربي على السواحل الإيرانية أدى إلى أن تصبح تلك السواحل عربية مما أضفى على الخليج سمته العربية من جانبيه .

وقد تحدث العديد من الرحالة الأوربيين عن المدن والامارات التي أقامها العرب على تلك السواحل ولعل الرحالة الدانمركي كارستن نيبور Niebuhr كان أول من أشار إلى المدن والموانئ العربية التي صادفها خلال رحلته إلى سواحل الخليج في عام ١٧٦٣ وأكد أن العرب الذين استقروا فيها كانوا مستقلين تماما عن فارس وشبه المدن التي قاموا بتأسيسها بدول المدينة التي عرفت قديما لدى الاغريق أو تلك التي عرفتھا المدن الايطالية في العصور الوسطى خلال اشتغالها بالوساطة التجارية بين الشرق والغرب^(٣) .

ولم يكد يمضي أكثر من قرن واحد على رحلة نيبور حتى قام الرحالة الانجليزي ويليام بالجراف Palgrave برحلته إلى أواسط الجزيرة العربية والخليج في عام ١٨٦٢

(١) مصطفى عقيل : سياسة ايران في الخليج العربي على عهد ناصر الدين شاه ١٨٤٨ / ١٨٩٦ الدوحة ١٩٨٧ ، ص ١٠٣ .

(٢) محمد مرسى عبد الله : دولة الامارات العربية المتحدة وجيرانها ، الكويت ١٩٨١ ، ص ٣٠٧ .

(٣) Carsten Niebuhr, Travels Through Arabia and other Countries in the East, Edinburgh 1792, Vol. II, p. 137.

وأشاد بدوره بالازدهار الذي حققه العرب على الساحل الشرقي وذكر أن الموانئ العربية في ذلك الساحل استطاعت أن تجذب إليها الكثير من العناصر والأجناس بفضل سياسة التسامح والحرية الاقتصادية التي اتبعتها الحكام العرب حيث انتعشت التجارة مع الهند وشرق إفريقيا وتدفقت البضائع إلى تلك الموانئ باعتبارها موانئ حرة (١) .

ومن المؤكد أن الوجود العربي على السواحل الشرقية للخليج لم يكن موضع خلاف بين الباحثين إذ يقرر المؤرخ البريطاني جون كيلي Kelly أن معظم تلك السواحل والجزر المجاورة لها كانت تخضع لسيطرة القبائل العربية وأنها نأت عن أية تبعية للفرس الذين كانوا كلما حاولوا إخضاعهم لنفوذهم انسحبوا في مراكزهم إلى بعض الجزر القريبة منهم (٢) ولعل ذلك الوجود التاريخي الذي سجله العرب على سواحل الخليج هو الذي جعل الباحثين العرب يؤكدون على الصفة العربية للخليج من جانبيه وشايعهم فيما ذهبوا إليه بعض الباحثين الأجانب ومن بينهم رودريك أوين Owen في كتابه "الفقاعة الذهبية" (٣) كما أكد الكاتب الفرنسي جان جاك بيربي Berebey على عروبة الخليج وإن سمي كتابه الذي صدر في عام ١٩٥٩ " بالخليج الفارسي " اتباعا للتسمية التي كانت سائدة عند صدور كتابه هذا (٤) . ولعل مما تجدر الإشارة إليه أن التكوينات السياسية التي أوجدها العرب على الساحل الشرقي من الخليج لم تكن منعزلة عن الكيانات والوحدات السياسية التي

(١) William Palgrave . Personal Narrative of a year' s Journey through Central and Eastern Arabia, london 1877, P 392.

(٢) John Kelly , Britain and the Persian Gulf , london 1968 . P . 4 0

(٣) Roderick owen , The Golden Buble , Arabian Gulf documentary London 1957,pp. 13 - 16.

(٤) Jean Jack Berebey, Le Golfe Persique , paris 1959

أوجدتها العرب على كلا جانبي الخليج كانوا على اتصال دائم بينى جلدتهم وفى حركة مستمرة من الهجرة إلى ذويهم (١) . ورغم تقلبات السلطة السياسية فى فارس ظلت الهجرات العربية تزد إلى سواحلها حتى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ومن ثم استمرت تلك السواحل محتفظة بهويتها العربية وبصلات سكانها المستمرة مع أقرانهم فى السواحل المواجهة لهم .

وقد ارتبط الوجود العربى فى الساحل الشرقى للخليج بافتقاد فارس إلى حكومة مركزية قوية حتى النصف الثانى من القرن التاسع عشر . وقد يكون حقيقة أن بعض حكام الفرس الأقوياء من أمثال نادر شاه الافشارى ١٧٢٧ / ١٧٤٧ أو كريم خان الزندى ١٧٥٦ / ١٧٧٩ قد بذلوا محاولات دائمة لتقوية قبضة يدهم على السواحل الفارسية إلا أن الأمور كانت تعود إلى ما كنت عليه بسبب عجز أولئك الحكام عن فرض سيطرتهم البحرية فمنذ المحاولة التى بذلها نادر شاه لبناء قوة بحرية أثبت الفرس أنهم بحارة عاجزون تعوزهم الخبرة فى شئون البحر أو إدارة الأسطول. ولعل خير تعليل لذلك ما ذكره السير برسى سيكس Sykes فى أنه ليس هناك شئ يوضح تأثير العوامل الطبيعية على ميول الناس وسلوكهم أكثر من النفور الذى يظهره الفرس للبحر الذى تفصلهم عنه حواجز جبلية شاهقة (٢) ومن ثم اضطر كثير من أولئك الحكام إلى استخدام الملاحين العرب ليكونوا بحارة لأساطيلهم بينما اسندوا قيادة تلك الأساطيل إلى قباطنة من الفرس تعوزهم الدراية البحرية ولعل

(١) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج - القسم التاريخى الجزء السابع ، الدوحة ١٩٦٧ انظر الملاحق الخاصة بفروع الأسر العربية الحاكمة فى السواحل الشرقية من الخليج .

(٢) Percy Sykes ,History of Persia , Vol II, London 1951 P . 271

انظر أيضا عبد الأمير محمد أمين : القوى البحرية فى الخليج العربى فى القرن الثامن عشر ، بغداد ١٩٦٦ ص ص ١٩ ، ٢٢ - ٢٣ .

ذلك يتجلى فى أمير البحر الفارسى الذى اختاره نادر شاه لقيادة أسطوله ولم يكن قد سبق له أن ركب البحر أو رأى سفينة من قبل ! ولذلك كان من الطبيعى أن يسيطر الملاحون العرب على القوة البحرية لفارس ولكى تؤول إليهم معظم سفن الأسطول الفارسى بعد اغتيال نادر شاه مما أعان القواسم فى الوصول إلى القوة والتفوق البحرى والامتداد بنفوذهم من الساحل العمانى إلى الساحل المواجه لهم^(١).

وعلى الرغم من استقرار الحكم فى فارس على أثر ظهور الأسرة القاجارية منذ أواخر القرن الثامن عشر إلا أنه لم يكن لتلك الأسرة نفوذ ملموس على سواحلها ولم يتحقق لها ذلك إلا بداية من النصف الثانى من القرن التاسع عشر حين أخذ ملوكها يعملون على تقوية حكمهم المركزى والقضاء على النفوذ العربى من السواحل الشرقية للخليج فمنذ عام ١٨٥٤ بدأ ناصر الدين شاه ١٨٤٨ / ١٨٩٢ فى العمل على تقليص نفوذ سلطنة مسقط وعمان من الموانى التى كانت تديرها فى بندر عباس وقشم وهرمز مستغلا الصراع الأسمى والتفكك الداخلى الذى دب فى أوصال تلك السلطنة التى ترجع سيطرتها على تلك الموانى والبنادر التابعة لها فى شهباز وجوادور إلى عام ١٧٩٣ بموجب فرمان تحصلت عليه السلطنة من الحكومة الفارسية بمنحها حق إدارة تلك الموانى عن طريق الإيجار السنوى^(٢) وكان من الطبيعى أن يترتب على الازدهار الاقتصادى الذى حققته السلطنة العربية فى تلك الموانى أن يعمل ملوك آل قاجار على استرجاع نفوذهم ومن أجل ذلك خاضت فارس

(١) G . N . Curzon, Persia and the Persian Question, Vol II, London 1892, P.239 see also Carsten Niebuhr, Description de l'

Arabie, Copenhagen 1773, pp. 267-268

(٢) Percy Sykes , History of Persia, vol II, London 1951 pp. 252 - 253.

انظر أيضا أرنولد ويلسن : تاريخ الخليج ، القاهرة ١٩٨١ ، ص ١٤٥

حرباً ضد سلطنة مسقط وعمان فى عام ١٨٥٤ (١) ونتيجة للقيود التى فرضها الانجليز على الملاحة العربية فى الخليج استطاعت فارس أن تصل إلى اتفاقية مع السيد سعيد بن سلطان فى عام ١٨٥٦ رفعت بمقتضاها قيمة الإيجار السنوى وحددت فترة الإدارة العمانية بعشرين عاما غير أنها لم تلبث أن أقدمت على إلغاء تلك الاتفاقية برمتها فى عام ١٨٦٨ على أثر تغير نظام الحكم فى سلطنة مسقط وعمان وانتقاله إلى فرع آخر من فروع الأسرة الحاكمة ومن ثم تحولت تلك الموانى من الإدارة العربية إلى الإدارة الفارسية المباشرة (٢). ومما تجدر الإشارة إليه فى هذا المقام أن كثيرا من الرحالة الأوربيين قد نوهوا بالازدهار الاقتصادى الذى حققته الإدارة العربية على خلاف الإدارة الفارسية التى وصفوها بقدر كبير من الجور والتعسف . وعلى أثر خضوع بندر عباس وتوابعها للإدارة الفارسية اتجهت فارس بعد ذلك إلى القضاء على نفوذ القواسم فى إمارة لنجة وتم لها ذلك فى عام ١٨٨٩ وليس من شك فى أن ما أقدم عليه ناصر الدين شاه من فرض سيطرته على السواحل الجنوبية سيمهد الطريق لرضا شاه بهلوى مؤسس الأسرة البهلوية فى استكمال سلطة الدولة المركزية على سواحلها الشمالية وقد تحقق له ذلك فى عام ١٩٢٥ حين نجح فى القضاء على إمارة المحمرة العربية التى كانت تشغل إقليم عربستان حيث تم إعلان دمج ذلك الاقليم فى الأقاليم الإيرانية بعد تغيير اسمه إلى الاسم الفارسى

(١) G . N . Curzon , History of Persia , Vol II , London 1892 P . 423

(٢) C . U . Aitchison , A collection of Treaties , Engagements and Sanads relating to India and Neighbouring Countries , v o l XI Calcutta 1892 P . 100

انظر أيضا جمال زكريا قاسم : الخليج العربى دراسة لتاريخ الإمارات العربية . ١٨٤٠ / ١٩١٤ القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٩٠ .

خوزستان (١) . وهكذا أدى الحكم المركزي القومي إلى اصطدام الامارات العربية بطموحات حكام الفرس مما أسفر عنه تلك الصراعات التي وقعت بين الفريقين وترتب عليها الإطاحة بالوجود العربي من السواحل الشرقية للخليج (٢) ومع ذلك فإن الإطاحة بذلك الوجود لم يكن يرجع إلى الجهود التي بذلها ملوك آل قاجار أو رضا شاه بهلوى فحسب وإنما كان يرجع أيضا إلى الصراعات الأسرية التي عانت منها كثير من الإمارات العربية على تلك السواحل يضاف إلى ذلك أن السياسة البريطانية شكلت بدورها عاملا هاما من عوامل نجاح الفرس في القضاء على تلك الإمارات إذ ترتب على فرض بريطانيا المعاهدات البحرية على شيوخ الساحل العماني حرمان سفنهم من الوصول إلى جزر وموانئ السواحل الشرقية للخليج ومن ثم فقد العرب المقيمون هناك الدعم الذي كانوا يتلقونه دائما من أقرانهم (٣) وبالإضافة إلى ذلك فقد ترتب على تدهور النفوذ العربي وتصاعد النفوذ الفارسي واتجاه السياسة الإيرانية منذ العهد البهلوى إلى التفريس القسري لسكان تلك السواحل أن أخذت الأجيال الجديدة تخضع للمؤثرات الثقافية الإيرانية وإن لم تنس بطبيعة الحال أصولها العربية (٤). ولعل الأمر الأكثر خطورة هو أنه ما كادت إيران تنتهي من تفريس سواحلها حتى أخذت تمتد بادعاءاتها الإقليمية إلى السواحل المقابلة لها رغم تطور كياناتها السياسية من مشيخات أو إمارات إلى دول حديثة

(١) عبد السلام عبد العزيز فهمي : تاريخ إيران السياسي في القرن العشرين ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٥١ - ٥٢ وكذلك شفيق الرشيدات : عريستان الجزء العربي المفتصب ، من أعمال المؤتمر التاسع لاتحاد المحامين العرب ، القاهرة ، فبراير ١٩٦٧ ، ص ٩٠ .

(٢) N . J . whigham , The Persian Problem London 1903 . P . 18

(٣) مصطفى عتيل : مرجع سبق ذكره ص ١١٥ - ١١٦ .

بدءاً من آل صباح في الكويت إلى آل أبي سعيد في سلطنة مسقط وعمان ومن ثم ظلت السياسة الإيرانية تسيّر وفق ثوابت معينة استهدفت هيمنتها على الخليج واعتباره بحيرة فارسية تقع وسط أقاليم إيرانية .

وإذا كنا قد تعرضنا إلى نمو السلطة المركزية في إيران فلا يعنينا من ذلك النمو فيما يتعلق بموضوع تلك الدراسة سوى تأثيره على إمارة القواسم في لنجة وما كان يتبعها من موانئ وجزر مجاورة وذلك نظراً لارتباط قواسم لنجة بقواسم الساحل العماني بصلة النسب والقراية فضلاً عن كونهم امتداداً للاتحاد القاسمي الكبير الذي ظهر إلى القوة إثر انفصالهم عن الكتلة الفارسية في عمان وعلى وجه التحديد عقب سقوط دولة البعارية وقيام دولة البوسعيد في عام ١٧٤١ ولم يلبث أن تعاظم نفوذهم البحري في خلال الفوضى التي عمت فارس عقب اغتيال نادر شاه في عام ١٧٤٧ وتمكنوا من الحصول على لنجة وتوابعها في عام ١٧٥٢ وكان ذلك مكافأة لهم على تحالفهم مع الملا علي شاه قائد منطقة بندر عباس حين أزروه في الصراع الذي كان قائماً بينه وبين ناصر خان قائد منطقة لارستان (١) .

وعلى الرغم من المحاولات التي بذلها كريم خان الزندي ١٧٥٦ / ١٧٧٩ للحد من نفوذ القواسم في لنجة إلا أنهم نجحوا في تثبيت أوضاعهم وخاصة بعد اغتياله في عام ١٧٧٩ (٢) وبفضل من تدفق عليهم من القبائل المتحالفة معهم ونشاطهم البحري استطاعوا أن يحققوا ازدهاراً اقتصادياً كبيراً حتى غدت إمارتهم في لنجة

(١) عبد الأمير محمد أمين : القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر ص ص ٢٣

- ٢٤ وكذلك فالح حنظل : الفصل في تاريخ الإمارات العربية المتحدة ، الجزء الأول ، أبو ظبي

١٩٨٣ ، ص ١٩٦ ولوريمر : مصدر سبق ذكره ج ١ ص ٢١٦

(٢) Kelly , J , o p . cit . pp . 40 - 41 see also Donald Hawley , The

Trucial States , Lonon 1970 , p . 93

بمشابة حاضرة للساحل الجنوبي الشرقى من الخليج وتميزت بمسحتها العربية وطبيعتها العقائدية كموطن لأهل السنة والجماعة (١) وتأكد وضعها المستقل نتيجة حالة الفوضى التى تردت فيها المملكة الفارسية كما كانت مؤهلة بطبيعتها للحكم العربى حيث سبق القواسم فى حكمها العديد من الأسرات العربية التى هاجرت إليها من عمان أو غيرها من سواحل الجزيرة العربية (٢) .

وقد استمر حكم القواسم فى لنجة وما حولها من جزر على الساحل أو قرى على البر الفارسى منذ عام ١٧٥٢ حتى أطاحت الحكومة القاجارية بالشيخ محمد بن خليفة القاسمى وهو آخر شيخ عربى حكم لنجة فى عام ١٨٨٩ (٣) وليس من شك أن استقرار الحكم للقواسم فى لنجة كان يرجع فى الدرجة الأولى إلى القوة البحرية التى حققها تحالف القواسم فى معقلهم الرئيسى برأس الخيمة (٤) حيث أصبحوا يمتلكون حتى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر أسطولا كبيرا أجمعت العديد من المصادر أنه كان يتألف من ثلاثة وستين سفينة كبيرة وأكثر من ثمانمائة سفينة صغيرة كما بلغ عدد مقاتليهم أكثر من تسعة عشر ألف رجلا ومن ثم أصبح ذلك

١ - حسين بن على الوحيدى : تاريخ لنجة حاضرة العرب على الساحل الشرقى للخليج ، دوى

الإمارات العربية المتحدة ١٩٨٥ ، ص ص ١٥ - ١٦ .

٢ - المرجع السابق ص ٧ .

٣ - انظر لوحة نسب عائلة القواسم حكام لنجة فى المجلد السابع من القسم التاريخى للورعر .

٤ - التفاصيل الكثيرة عن حلف القواسم يمكن الرجوع إليها فى وثائق حكومة بومباى :

Selection From The Records of Bombay Govt . Vol XXIV Bombay

1856 : Historicd Sketsh of the Joasmee Tribe of Arabs 1747 - 1853 , pp

299 - 359

انظر أيضا عبد القوى فهمى : القواسم ونشاطهم البحرى ، راس الخيمة ١٩٨٣ ، ص ٨٧ وما بعدها

التحالف القوة البحرية الأولى التى كانت تحسب حسابها القوى الإقليمية والأجنبية (١) .

ولقد كان من الطبيعى أن تلفت تلك القوة البحرية أنظار الإنجليز منذ أن أخذوا يتطلعون إلى منطقة الخليج فى أوائل القرن التاسع عشر وحتى يتمكنوا من القضاء على تلك القوة البحرية التى باتت تهدد مصالحهم البحرية والتجارية ارتكزت خطتهم على تفكيك ذلك التحالف وتدمير القواعد الرئيسية للقواسم فى الساحل العماني . وليس من شك أن الإجراءات السياسية والعسكرية التى اتخذها الإنجليز كان لها أثر كبير فى إضعاف الروابط بين قواسم الساحل العماني وأقرانهم فى الساحل الجنوبي الشرقى من الخليج (٢) .

وكان مما ساعد الإنجليز على هزيمة القواسم تلك الصراعات المستمرة التى كانت قائمة بينهم وبين سلطنة مسقط وعمان (٣) بالإضافة إلى سقوط الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى فى عام ١٨١٨ على أيدى القوات المصرية التركية إذ كان القواسم من أشد المتحمسين للدعوة السلفية ومن ثم أدى فقدانهم للدعم السعودى إلى عدم قدرتهم على مواجهة الحملات البريطانية وخاصة حملة ١٨١٩ التى تمكن الإنجليز فى أثنائها من تدمير معظم قلاعهم وإحراق سفنهم رغم استبسالهم فى الدفاع (٤) . وكان من أهم النتائج التى ترتبت على تلك الحملة سقوط رأس الخيمة

(١) G . Fenelon: The united Arab Emirates , an Economic and Social Survey , london 1973 , p. 10

(٢) Kelly , J . , o p . cit , pp, 160 - 161

(٣) س . ت . مايلز : الخليج ، بلدانه وقبائله (مترجم) ، ١٩٨٦ ، ص ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٤) Charles low , History of The Indian Navy انظر الحملة للتفاصيل الخاصة بهذه الحملة Vol 2 , London 1877 , P . 351 ff.

انظر أيضا : جمال زكريا قاسم : الخليج العربى : دراسة لتاريخ الإمارات العربية فى عصر التوسع الأوروبى الأول ، القاهرة ١٩٨٥ ص ٣٢١

التي كانت أهم وأبرز مشيخة شهدتها الخليج العربي خلال تلك الفترة (٥) .
ومما هو جدير بالملاحظة أنه على الرغم من أن الإنجليز تحاشوا التقدم إلى القواسم
في لنجة إلا أن ما تعرض له أقرانهم في الساحل العماني قد أثر بطبيعة الحال على
قوتهم وإن ظلوا محتفظين بتماسكهم غير أن حرص الإنجليز على عدم اشراكهم في
التوقيع على المعاهدة العامة التي أبرمت مع شيوخ الساحل العماني في عام
١٨٢٠ وما تلاها من اتفاقيات ومعاهدات أخرى ستيح الفرصة لفارس للقضاء
على حكمهم نظرا لافتقادهم للحماية البريطانية .

ولعل من أهم الأسباب التي أدت إلى إضعاف الروابط بين قواسم الساحل
العماني وأقرانهم في لنجة ما ترتب على توقيع معاهدات الهدنة البحرية من مراقبة
سفن الأسطول البريطاني للنشاط البحري العربي ومنع امتداده إلى الساحل الشرقي
من الخليج . ومن أجل ذلك حدد الكولونيل هنل Hennell المقيم البريطاني في
الخليج في عام ١٨٣٦ خطا مقيدا للملاحة Restrictive line لا يجوز للسفن
العربية بصفة عامة وسفن القواسم بصفة خاصة اجتيازه وقد راعى هنل في رسمه
لذلك الخط الفاصل أن يكون بعيدا عن الساحل الشرقي للخليج . وعلى الرغم من
أن الشيخ سلطان بن صقر القاسمي حاكم الشارقة ١٨٠٣ / ١٨٦٦ لم يوافق على
ذلك الخط وأبدى اعتراضه في أنه لا بد له من الاتصال ببني عمومته في إمارة لنجة
وتفقد ممتلكاته في خورفكان على خليج عمان إلا أن هنل لم يأبه بهذا الاعتراض
وأكثر من ذلك فإنه حينما خلف الكابتن موريسون Morrison الكولونيل هنل في
منصب المقيمة البريطانية في الخليج في عام ١٨٣٧ لم يكتف بالخط الذي وضعه

(١) مايلز ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٣٥٢ - ٣٥٣ .

هنل وإنما أراد حصر السفن العربية في مساحة أضيق حتى يسهل مراقبتها ومن ثم حدد خطا آخر يبدأ من جزيرة قشم وينتهي إلى مسافة عشرة أميال جنوب جزيرة أبو موسى وحتى جزيرة صير بونعير (١) مما أدى إلى فصل جزر أبو موسى والطنبين عن الساحل العماني وقطع الصلات التي كانت تربط سكانها بذلك الساحل ولعل صعوبة الاتصالات البحرية هي التي دفعت بقواسم الشارقة إلى الاتفاق مع أقربائهم قواسم لنجة على إدارة تلك الجزر دون اخلال بتبعيتها لهم .

ومن ناحية أخرى فقد ترتب على اقتراب الخطوط الملاحية المانعة من الساحل العربي وابتعادها عن السواحل الشرقية من الخليج إلى إتاحة الفرصة لفارس للقضاء على الوجود العربي في تلك السواحل ولم يستطع عرب الساحل العماني نظرا لانهايار قوتهم البحرية من ناحية ولوجود الخطوط الملاحية الفاصلة من ناحية أخرى أن يبادروا بتقديم العون لهم .

أتاحت إذن الرقابة البريطانية على الملاحة العربية الفرصة لفارس لكي تفرض سيطرتها على القواسم في لنجة ولما كان هؤلاء يعتمدون في مصدر قوتهم على التجارة والملاحة فقد اتجهت السلطات الفارسية إلى فرض نفوذها الاقتصادي على السواحل الشرقية للخليج ومن أجل ذلك اعتمد الشاه ناصر الدين ١٨٤٨ - ١٨٩٦ على ألمانيا في بناء سفينتين حربيّتين تجاريتين لاستخدامهما في مياه الخليج كانت أكبرهما السفينة برسوبوليس Persopolis التي وصلت في عام ١٨٨٥ إلى ميناء

(١) عن الخطوط المثبّدة للملاحة بين السواحل الشرقية والغربية للخليج العربي انظر : عبد العزيز عبد الغنى : بريطانيا والساحل العماني ، دراسة في العلاقات التعاهدية ، بغداد ١٩٧٨ ، ص ص ٢٦٤ - ٢٦٨ ، انظر أيضا مصطفى عقيل ، مرجع سبق ذكره ص ص ٤٤١ - ٤٤٢ وكذلك :

Kelly , OP, cit . , p. 359.

بوشهر واختصت بتنظيم الأوضاع الادارية والاقتصادية على موانئ الساحل الجنوبي الشرقي بينما عملت السفينة الثانية سوزا Sousa في رقابة الملاحة النهرية في نهر كارون على رأس الخليج العربي (١) .

وقد اعتمدت السلطات الفارسية في بوشهر على السفينة برسبوليس في مواصلة قضائها على الكيانات العربية خاصة إمارة لنجة وتوابعها غير أن العامل الهام الذي ساعد الحكومة المركزية في طهران في بسط سيطرتها على تلك الإمارة لم يكن يرتبط باستخدام القوة البحرية بقدر ما كان يرتبط إلى حد كبير بالمنازعات الأسرية التي نشبت داخل فرع القواسم في لنجة خاصة بعد أن عمدت السلطات الفارسية في الخليج إلى تعميق شقة الخلاف بين المتنافسين على الحكم حتى تتمكن من تحقيق أهدافها ، فعلى أثر وفاة الشيخ خليفة أقوى شيوخ لنجة في عام ١٨٧٤ خلفه ابنه على ولما كان صبيا صغيرا لم يبلغ سن الرشد فقد خضع لوصاية أحد أقربائه وهو الشيخ يوسف بن محمد الذي لم يلبث أن انفرد بالسلطة بعد اغتياله للشيخ على حين شب إلى رشده في عام ١٨٨٧ وبدأت لنجة تتعرض منذ ذلك الحين لسلسلة من المنافسات والاغتيالات الأسرية كان أبرزها في عام ١٨٨٥ حين قفز إلى حكم لنجة الشيخ قضيبي بن راشد بعد قتله للشيخ يوسف بن محمد . (٢)

تواكب عدم استقرار الحكم في لنجة مع مرحلة هامة في تاريخ فارس حين اتجهت إلى التخلص من الكيانات المستقلة والتحول من حكم الشيوخ العرب أو حتى الخانات الفرس إلى سيطرة الحكومة المركزية ومن ثم قضى هذا التحول الذي طرأ على السياسة الفارسية على تلك المحاولة التي بذلها الشيخ قضيبي بن راشد

(١) ويلسن ، مصدر سبق ذكره ص ١٨٦ .

(٢) مصطفى عقيل ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٣٤ - ٤٣٥ .

للاتصال عن السلطة المركزية عن طريق توثيق علاقاته بأقربائه شيوخ القواسم في الساحل العماني (١) هذا بالإضافة إلى أن الانجليز كانوا سببا في إفشال محاولته حين أصدر المقيم البريطاني تحذيرا لأولئك الشيوخ بعدم التدخل في الصراعات الدائرة بين قواسم لنجة والسلطات الفارسية في الخليج (٢) ومن ثم كان من الطبيعي ألا يستقر الشيخ قضيف في حكمه طويلا وخاصة بعد أن كلفت الحكومة المركزية في طهران الدرايايكي حاجي أحمد خان بإدارة موانئ الساحل الجنوبي الشرقي من الخليج وما كاد يصل إلى مركز عمله في بوشهر في سبتمبر ١٨٨٧ حتى أخذ يعمل على توحيد الموانئ التي صارت تابعة لإدارته ومن أجل ذلك أرسل حملة بحرية ألحقت الهزيمة بالشيخ قضيف حيث اقتيد أسيرا إلى طهران وبقي فيها سجينا حتي وفاته (٣)

ولعل مما تجدر الإشارة إليه أنه على الرغم من الهزيمة التي أحقت بالشيخ قضيف فإن السلطات الفارسية لم تستطع أن تتجاهل الأسيرة القاسمية في لنجة حيث بادر الدرايايكي بتنصيب أحد شيوخ القواسم حاكما عليها تحت التبعية الفارسية ولم تكذ تنقضي أكثر من سنتين على ذلك الوضع حتى قام الشيخ محمد بن خليفة الشقيق الأصغر للشيخ على بمحاولة لطرد الحامية الفارسية من لنجة واستعادة القواسم لنفوذهم وعلى الرغم من أنه قد تمكن من إسقاط قلعة لنجة بالفعل وأجبر الحامية الفارسية على التسليم إلا أن السلطات الفارسية في بوشهر لم تلبث أن استردت

(١) Government of India , Precis of the affairs of the Persian Coast and Islands 1854 - 1905 Calcutta , 1906

(٢) مصطفى عقيل ، مرجع سبق ذكره ص ص ٤٣٧ - ٤٣٨ .

(٣) فالح حنظل ، مرجع سبق ذكره ، الجزء الثاني ، ص ٦٧٩ .

أن استردت سيطرتها وكانت الهزيمة التى منى بها القواسم فى عام ١٨٨٩ سببا فى سقوط إمارتهم فى لنجة (١) .

ويمكننا أن نحدد بسقوط إمارة لنجة بداية لمشكلة الجزر ويرجع السبب فى ظهور تلك المشكلة إلى أن الحكومة المركزية فى طهران لم تكتف بفرض سيطرتها على إمارة لنجة وإنما تجاوزت ذلك بإصدار تعليماتها إلى السلطات التابعة لها فى الخليج بفرض سيطرتها على الجزر العربية التى تواجه تلك الإمارة وهى جزيرة صيرى وأبو موسى وطنب الكبرى والصغرى وبنى فرارو وغيرها . وتنفيذاً لتلك التعليمات بادرت السلطات الفارسية بإرسال بعض القطع البحرية التى تمكنت بواسطتها من احتلال جزيرة صيرى ورفع العلم الفارسى عليها وكان ذلك تمهيدا للسيطرة على ما يجاورها من جزر غير أنها لم تلبث أن أوقفت عملياتها على أثر احتجاج الحكومة البريطانية بعد أن أثار حكام القواسم فى الشارقة ورأس الخيمة مسألة تبعية تلك الجزر لهم وحملوا الحكومة البريطانية مسئولية المحافظة على ممتلكاتهم بحكم التزاماتها بحمايتهم (٢) وبينما تقاعست السلطات البريطانية عن الاحتلال الفارسى لجزيرة صيرى إلا أن جزر أبو موسى والطنبين ظلت موضع نزاع بين بريطانيا باعتبارها ممثلة لمصالح رأس الخيمة والشارقة وبين الحكومة الإيرانية حتى الاحتلال الإيرانى لتلك الجزر فى نوفمبر من عام ١٩٧١ وتحوله منذ ذلك الحين إلى نزاع بين إيران ودولة الإمارات العربية المتحدة .

وقبل أن نستعرض المراحل المختلفة لذلك النزاع الذى استغرق أكثر من مائة عام تجدر الإشارة إلى أن الخلاف حول ملكية الجزر قد ظهر فى بداية الأمر بين حكام

(١) مصطفى عقيل ، مرجع سبق ذكره ص ٤٤٠ .

(٢) فالج حنظل : مرجع سبق ذكره ، الجزء الثانى ، ص ص ٦٧٩ - ٦٨١ .

القواسم فى لنجة وقواسم الساحل العمانى فى الشارقة ورأس الخيمة ولم يلبث أن تعقد بصورة أكبر حين طالبت إمارات عربية أخرى بملكية تلك الجزر بينما لم تكن الحكومة الفارسية حتى سقوط إمارة لنجة فى عام ١٨٨٩ طرفا فى ذلك النزاع وفيما يبدو أن الجزر فى تلك الفترة المبكرة لم تكن تثير اهتمام الحكومة الفارسية بل لعلها لم تكن تعرف شيئا عنها لعدم وضوح أهميتها الاقتصادية فضلا عن عدم توافر الاحتياجات الضرورية للمعيشة وندرة مياه الشرب بها ومن ثم لم يكن يتردد عليها سوى جماعة من الصيادين أو الرعاة وانحصرت أهميتها فى لجوء بعض السفن إليها وقت الضرورة كما كانت ملجأ للعرب المقيمين على السواحل المجاورة لها عندما يتعرضون للضغوط من قبل السلطات الفارسية فى الخليج .

ولعل ما يؤكد أن الحكومة الفارسية لم تكن تبدى اهتماما بتلك الجزر عدم ورود شئ يذكر عنها فى المصادر الفارسية الخاصة بتاريخ الخليج ويركز على تلك الحقيقة أحد الباحثين العرب فى دراسته عن السياسة الإيرانية فى الخليج بعد رجوعه إلى العديد من المصادر الفارسية التى كتبت فى القرن التاسع عشر (١) وحتى فى المصادر الإيرانية الأكثر حداثة التى رجعنا إليها ومن بينها تاريخ الخليج السياسى "لصادق نشأت" و"مطالعاتى درباب بحرین وسواحل وجزایر خلیج فارس" لعباس إقبال لا نجد إشارات واضحة عن تلك الجزر . غير أن الروايات المتناقلة والمكاتبات المحلية بين قواسم الشارقة والمقيمة البريطانية فى الخليج أو بينهم وبين القواسم فى لنجة تشير إلى تبعية تلك الجزر لقواسم الساحل العمانى كما يبدو ذلك واضحا فى

رسالة بعث بها الشيخ سلطان بن صقر حاكم الشارقة ١٨٠٣ - ١٨٦٦ إلى

١ - مصطفى عقيل : السياسة الإيرانية فى الخليج على عهد ناصر الدين شاه ١٨٤٨ - ١٨٩٦ ،

الدوحة ، ١٩٨٧ ، ص ٤٤٤ .

الكولونيل لويس بلي Pelly المقيم البريطانى فى الخليج فى ديسمبر ١٨٦٤ بأن
جزر أبو موسى وطنب الكبرى والصغرى هى من ممتلكات الشارقة بينما تخص
جزيرة صيرى فرع القواسم فى لنجة (١) ومن المعروف أن إمارة رأس الخيمة كانت
تابعة للشارقة آنذاك ولذلك لم تنص الرسالة على تبعية الطنين لها .

ويمكننا استخلاصاً من المصادر البريطانية ومن المكاتبات المحلية أن نؤكد بأن
إيران لم يسبق لها أن فرضت سيطرتها على تلك الجزر أو مارست أى نفوذ عليها
كما أن الادعاءات الإيرانية التى تركز على تبعية الجزر لإمارة لنجة تبدو واهية لأن
حكام القواسم فى لنجة كانوا مستقلين تماماً عن السلطات الفارسية وإن كنا نستثنى
مع ذلك بعض الفترات القصيرة التى أعلن فيها بعض الشيوخ المفتصبين للحكم
تبعيتهم لفارس وأيدوا تبعية تلك الجزر للسلطات الفارسية ونعنى بذلك الشيخ
يوسف بن محمد السابق إشارتنا إليه والذي لم يستغرق حكمه فى لنجة أكثر من
سبع سنوات ومن الطبيعى أن يضعف قيمة الإدعاء الإيراني إذا ما عرفنا أن الشيخ
يوسف كان مفتصباً للحكم ومن ثم كان فى حاجة إلى تدعيم مركزه أمام معارضيه
بالاعتماد على التأييد الفارسى وبالإضافة إلى ذلك حاولت إيران تدعيم مطالبها
على تلك الجزر بادعائها بأنها كانت تتلقى رسوماً من القواسم فى لنجة وحتى إذا
افترضنا أن بعض شيوخ لنجة كانوا يدفعون رسوماً للسلطات الفارسية فإنه من
الصعب التدليل على أن هذه الرسوم كانت تنسحب على تلك الجزر وخاصة أن
الحكومة الإيرانية قد عجزت عن إظهار الوثائق الخاصة بإيصالات تلك الرسوم (٢)

(١) محمد مرسى عبد الله : دولة الإمارات العربية المتحدة وجيرانها، الكويت ١٩٨١ ، ص ٣٢٥ .

(٢) مصطفى عقيل : مرجع سبق ذكره ، ص ٤٥٣ .

ومن ناحية أخرى فإن سقوط حكم القواسم فى لنجة فى عام ١٨٨٩ لا يعطى لإيران حق السيطرة على تلك الجزر بدعوى تبعيتها لإمارة لنجة إذ أن تلك التبعية مع افتراض حدوثها لا تنفى الصفة العربية عنها .

إذا كانت السلطات الفارسية قد توقفت عن مواصلة زحفها على جزر أبوموسى والطنين بعد احتلالها لجزيرة صبرى فى عام ١٨٨٩ فلم يكد يمضى أقل من أربعة عشر عاما حتى عادت الحكومة الفارسية إلى إثارة تلك المشكلة فى السنوات الأولى من القرن الحالى ويرجع ذلك إلى ما ترتب على خضوع لنجة للسلطات الفارسية من هجرة تجارها الأثرياء إلى جزيرة أبو موسى خاصة حين أخذت تلك السلطات فى تطبيق القوانين الجمركية التى صدرت فى عام ١٩٠١ على الموانى التابعة لها . ولما كانت جزيرة أبو موسى قد نأت عن التبعية الفارسية فقد أدى ذلك إلى انتعاشها الاقتصادى وخاصة بعد أن اتخذتها كثير من شركات الملاحة الأجنبية بمثابة مركز توزيع لتجارتها بدلا من ميناء لنجة وليس من شك فى أن الازدهار الاقتصادى الذى حققته جزيرة أبو موسى كان من وراء تجديد مطالبة الحكومة الفارسية بها فضلا عن الجزر المجاورة لها . وخوفا من أن تقدم السلطات الفارسية على احتلالها طلب المقيم البريطانى فى الخليج من حاكم الشارقة فى إبريل ١٩٠٣ أن يبادر برفع علم ساحل الصلح البحرى على جزيرة أبو موسى والطنين وقد ظل ذلك العلم مرفوعا لأكثر من عام حتى أصدر وزير الخارجية الفارسية خير الدولة تعليماته إلى السلطات الفارسية فى بوشهر بالتحرك إلى تلك الجزر وبادرت تلك السلطات بإرسال قوة مسلحة على ظهر سفينة العوائد " مظفرى " وتمكن المسيو دامبرين Damprain وهو من الخبراء البلجيكيين الذين استعانت بهم الحكومة

الفارسية لتنظيم جماركها مع بعض مساعديه من إنزال علم الشارقة ورفع العلم الفارسي بدلا منه ^(١) .

وقد أثارت تلك الحادثة التي وقعت في مارس عام ١٩٠٤ ردود فعل شديدة لدى الدوائر البريطانية في حكومة الهند التي كانت تخشى في أن تكون البعثة الروسية في طهران من وراء تلك التحركات الفارسية خاصة وأن روسيا كانت من القوى الأوروبية المناوئة للإنجليز وكانت تعمل على عدم تمكينهم من إنشاء قواعد لهم عند مدخل الخليج معتمدة في ذلك على توثيق العلاقات بينها وبين الحكومة الفارسية وخاصة بعد أن تم عقد معاهدة سرية بين الدولتين في مارس ١٩٠٣ وعلى الرغم من أن بنود تلك المعاهدة التي أفصح عنها فيما بعد كانت تستثنى الأقاليم الجنوبية لفارس من أي نشاط روسي ^(٢) إلا أن اللورد كيرزون Curzon نائب الملك في الهند كان يبدى تخوفا ملحوظا من خطورة المنافسة الروسية لبريطانيا في الخليج فضلا عن استيائه الشديد من عدم استقبال السلطات الفارسية له الاستقبال اللائق به كنائب للملك أثناء الزيارة التي قام بها إلى سواحل الخليج في نوفمبر ١٩٠٣ ولذلك طلب من وزارة الخارجية البريطانية الموافقة على أن تقوم حكومة الهند بإرسال بعض القطع البحرية وبرفقتها مندوب عن حاكم الشارقة لكي تزيل الأعلام الفارسية وإخلاء الجزر من أي وجود فارسي فيها ولكن وزارة الخارجية البريطانية التي كانت أكثر مرونة في علاقاتها الدولية من حكومة الهند قررت الاكتفاء بتوجيه احتجاج شديد اللهجة وترك المجال مفتوحا للحكومة الفارسية لكي تخفض أعلامها بنفسها ولعدم إراقة

(١) ج . ج . لوريمر : مصدر سبق ذكره ، القسم التاريخي ج ٢ ص ١١٣٢ - ١١٣٣ .

(٢) صادق نشأت : تاريخ الخليج السياسي ، ترجمة أحمد كمال حلمي وتحقيق بدر الدين

الخصوصي ، الكويت ١٩٧٢ ، ص ٢٢٠ .

ماء الوجه أنكرت وزارة الخارجية الفارسية ، خلافا للواقع ، فى ردها على الاحتجاج البريطانى علمها بالحادث وأصدرت تعليماتها على الفور بانسحاب حامياتها العسكرية التى استقرت فى أبو موسى وطنب الكبرى وإزالة الأعلام الفارسية وإن كانت قد أكدت فى ردها على الاحتجاج البريطانى أحقيتها فى السيادة على تلك الجزر وطالبت بعدم رفع أعلام أى من الأطراف المتنازعة حتى الانتهاء من إيجاد حل لتلك المشكلة إلا أن الحكومة البريطانية تجاهلت تلك المطالب (١) وبادرت برفع علم عمان المتصالحة فى ١٤ يونيه ١٩٠٤ ، وظل ذلك العلم مرفوعا فوق جزيرتى طناب الكبرى والصغرى حتى وقع الاحتلال الإيرانى للجزيرتين فى نوفمبر ١٩٧١ بينما ظل علم الشارقة مرفوعاً على جزيرة أبو موسى ثم استبدل بعلم دولة الإمارات العربية المتحدة فى ٢ ديسمبر ١٩٧١ حتى أعلنت إيران مؤخرًا انفرادها بالسيادة على تلك الجزيرة فى سبتمبر من عام ١٩٩٢ .

وليس من شك فى أن رفع الأعلام العربية على الجزر موضع النزاع وعدم توقف رفعها إلا لفترات قصيرة لم تتجاوز عدة أسابيع وعلى وجه التحديد من نهاية إبريل ١٩٠٣ إلى ١٤ يونيه ١٩٠٤ إنما يقدم فى حد ذاته دليلاً قوياً على ممارسة السيادة العربية على تلك الجزر وفضلاً عن ذلك كان لحكام الشارقة ورأس الخيمة يستوفون الرسوم من المشتغلين فى مهنة الصيد ومن غواصى اللؤلؤ ومن رعاة الإبل والماشية من جراء استخدامهم لتلك الجزر ومن البديهي أن فرض الرسوم يعد تأكيداً لأعمال السيادة التى ظل الحكام فى رأس الخيمة والشارقة يمارسونها دون انقطاع ، وإلى جانب فرض تلك الرسوم كان لحكام الشارقة ورأس الخيمة حق منح الامتيازات

١ - روز مارى زحلان : النزاع حول الجزر العربية ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، جامعة

الكويت إبريل ١٩٧٦ ص ٢٤ وما بعدها .

الخاصة باستغلال الموارد الطبيعية فى تلك الجزر أو إصدار التراخيص بإقامة بعض المنشآت الحيوية بها وليس من شك فى أن تمتعهم بتلك الحقوق يؤكد تبعية تلك الجزر لهم ويمكن الإشارة بصدد ذلك أنه فى عام ١٩٠٦ منح حاكم الشارقة شركة الونكههاوس wonkhaus الألمانية امتيازاً لاستغلال أكسيد الحديد فى جزيرة أبو موسى وعلى الرغم من أن ذلك الامتياز قد ألغى فى العام التالى فإن ذلك لم يكن بسبب اعتراض الحكومة الفارسية وإنما كان بسبب معارضة الحكومة البريطانية التى اعتبرت منح حاكم الشارقة لذلك الامتياز اخلافاً بمعاهدة ١٨٩٢ التى كانت تلزمه بعدم منح أى امتياز فى أراضيه إلا لمن توافق عليه الحكومة البريطانية خاصة وأن التنافس الألمانى البريطانى كان قائماً على أشده فى منطقة الخليج ومن ثم اضطر حاكم الشارقة إلى الغائه فى أكتوبر ١٩٠٧ وذلك بعد أن أدخلت السلطات البريطانية فى روعه بأنه إذا تم اكتشاف الأكسيد وأصبحت الجزيرة تتمتع بأهمية اقتصادية فإن ذلك سيثير الأطماع الفارسية فيها . ومع ذلك فإن صلاحية حاكم الشارقة فى منح أو إلغاء الامتياز إنما تؤكد تبعية الجزيرة له .

وكان لحاكم الشارقة صلاحيات أيضاً فى جزيرتى طنب الكبرى والصغرى بحكم تبعية إمارة رأس الخيمة للشارقة ^(١) وظهر ذلك وضحا فى عام ١٩١٢ حين استطاع المقيم البريطانى فى الخليج برسى كوكس Cox أن يحصل من الشيخ صقر بن خالد القاسمى على ترخيص بإقامة فئار لإرشاد السفن عند مدخل الخليج وبهذه المناسبة تم تبادل المراسلات بين الجانبين وفيها أكد المقيم البريطانى لحاكم الشارقة على أهمية إقامة فئار فى الجزيرة التابعة له وهى طنب الكبرى لإرشاد السفن نظراً للموقع الذى تتمتع به الجزيرة عند مدخل الخليج وفى الرد الذى تلقاه المقيم البريطانى من حاكم الشارقة فى ٢٢ أكتوبر ١٩١٢ أكد الأخير موافقته على منح الترخيص مع التشديد

(١) تم انفصال رأس الخيمة عن إمارة الشارقة فى عام ١٩٢١ .

على ملكيته للجزيرة وبشرط أن يبقى علمه مرفوعا عليها وقد أجابه المقيم البريطاني بأنه من المرغوب فيه دائما أن يستمر علمه قائما كما أن إنشاء فنار في الجزيرة يؤكد ملكيته لها وأن حقوقه لن تضار بإنشاء ذلك الفنار ، ^(١) وليس من شك في أن اتصال برسى كوكس المباشر بحاكم الشارقة ودون رجوعه إلى السلطات الفارسية في الخليج إنما يؤكد ملكية الشارقة لتلك الجزيرة وفضلا عن ذلك فإنه حين أثارت الحكومة الفارسية اعتراضها على حصول السلطات البريطانية في الخليج على ذلك الترخيص أجاب الوزير البريطاني المفوض في طهران بناء على المشاورات التي تمت بينه وبين السير برسى كوكس بأن ملكية الجزيرة لحاكم الشارقة ليست موضع شك وأنه من الأفضل ألا تثير الحكومة الفارسية تلك المشكلة من جديد لأن إثارتها قد تؤدي إلى إثارة مشكلة جزيرة صيرى التي سبق واحتلتها السلطات الفارسية وتفاوضت السلطات البريطانية عن ذلك الاحتلال في عام ١٨٨٩ . وعلى الرغم من توقف الادعاءات الفارسية لعدة سنوات إلا أن السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الأولى شهدت تجديد تلك الادعاءات فقد ترتب على انفصال رأس الخيمة عن الشارقة واعتراف الحكومة البريطانية بتبعية الطنبيين لها مع التأكيد على تبعية جزيرة أبو موسى للشارقة أن احتجت الحكومة الفارسية على استقرار وضعية الجزر على ذلك النحو وأخذت في إثارة العديد من الأزمات ففي عام ١٩٢٣ أوعزت لسلطاتها في بوشهر بإرسال بعض القطع البحرية إلى جزيرة أبو موسى بهدف تفقد مناطق الأكسيد الأحمر بها حيث كانت الحكومة الفارسية تعمل على أن يمتد نطاق الامتياز الذي منحه لاحدى الشركات العاملة في أراضيها إلى جزيرة أبو موسى وعلى أثر ذلك بادر السير برسى لورين Loraine الوزير البريطاني المفوض في طهران

(١) Percy Cox to Sheikh Saggar Bin Khahid and from Chief of Shargah to Percy Cox no 8 - 9 - 10 , October 1912 in treaties and engagements in force between the British Government and the Trucial Chiefs of Arab Coast, Calcutta, 1913- see also Aitchison , C.U. op . cit., vol.XI, P. 258 ff.

بالكتابة إلى حكومته لابلغها بحقيقة الوضع وردت وزارة الخارجية البريطانية بإصدار تعليماتها إلى ممثلها في طهران بأن يلفت نظر الحكومة الفارسية إلى ما حدث في عام ١٩٠٤ حين امتثلت السلطات الفارسية لإرادة البريطانية وبادرت بإزالة الأعلام الفارسية من الجزر ومن ثم فإن تجديد الادعاءات الإيرانية سوف يدفع بالحكومة البريطانية إلى اتخاذ اجراءات أكثر تشدداً .

وعقب انتهاء تلك الأزمة ظل الموقف متسماً بالهدوء النسبى حتى يوليو من عام ١٩٢٨ حين أقدمت السلطات الإيرانية في الخليج بالتعرض لاحدى السفن الشراعية التابعة لامارة دبي كانت في طريقها من طنب الكبرى إلى خصب حيث اقتيدت إلى ميناء لنجة وصودرت حمولتها من المواد التموينية وتم اعتقال ركابها بعد أن اتهمتهم السلطات الإيرانية بالاشتغال في عمليات التهريب وقد أدى هذا الحادث إلى إثارة حكام الساحل العماني وكاد الموقف يتطور إلى حدوث مواجهة بين السلطات البريطانية والسلطات الإيرانية في الخليج^(١)، غير أن وزارة الخارجية البريطانية اكتفت بطلب اعتذار من الحكومة الإيرانية عن تسببها في وقوع ذلك الحادث كما طلبت تعويضاً عن الأضرار التي لحقت بالسفينة وركابها وأكدت في مذكرة بعثت بها إلى الحكومة الإيرانية بأنها لن تتحمل من الآن فصاعداً أية ادعاءات جديدة على أبو موسى والطنين،^(٢) بينما ردت الحكومة الإيرانية على المذكرة البريطانية بتأكيد حقوقها على تلك الجزر وأبدت دهشتها في عدم اعتراف السلطات البريطانية

(١) F . O . 371 / 13010 incident arising out of seizure of Dhow at Dubai by persian officials , July , 1928

(٢) F . O . 371 / 13721 Status of Islands of Tamb , Abu Musa and Sirri , Documents Showing rights of Trucial Coast Arabs , 1929

بصلاحيتها في ممارسة الاجراءات اللازمة على سفن تشتغل بتجارة التهريب^(١) ،
وذهبت إلى أبعد من ذلك في إدعائها بحقوق السيادة على جميع الساحل العربى من
الخليج بدءاً من إمارة الكويت شمالاً إلى سلطنة مسقط وعمان جنوباً مؤكدة أن
جميع سكان ذلك الساحل رعايا تابعين لها وأنها بصدد إصدار جوازات سفر إيرانية
لهم^(٢). وكان من الطبيعى أن تتصدى الحكومة البريطانية لتلك الادعاءات بالتركيز
على معاهدات الحماية التى عقدتها مع حكام الامارات العربية والتى من شأنها عدم
اعترافها بوجود ثمة علاقات بين إيران أو غيرها من الدول وبين أولئك الحكام^(٣) .
ومما هو جدير بالذكر أن الادعاءات الإيرانية على الخليج بدأت تأخذ طابعاً قومياً
فى أعقاب سقوط الأسرة القاجارية وقيام الأسرة البهلوية بزعامة رضا شاه بهلوى
ومن ثم تميزت سنوات حكمه ١٩٢٥ - ١٩٤١ بالمنازعات المستمرة التى قامت بينه
وبين الحكومة البريطانية وخاصة حين أخذ يوجه ضرباته المتتالية ضد الامتيازات
الأجنبية فى إيران ولم يلبث أن طلب من الحكومة البريطانية أن تبادر بسحب
قواعدها العسكرية التى أقامتها فى باسيدو وهنجام متعللاً بحاجة إيران إلى تلك
المواقع لرسو سفن أسطولها الجديد ، ولما كانت الدوائر البريطانية فى الخليج لا يزال
يحدوها الأمل فى استمرارية الابقاء على قواعدها البحرية فى السواحل الإيرانية
فقد اقترحت الحكومة البريطانية على الحكومة الإيرانية الدخول فى مباحثات لتسوية
الخلافات القائمة بينهما وقد استغرقت تلك المباحثات ما يقرب من ستة أعوام وعلى

(١) India office, Confidential B.297 , 1928

(٢) I . O . B . 403 The Trucial chiefs 1908 - 1928

(٣) جمال زكريا قاسم : الخليج العربى دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٩١٤ / ١٩٤٥ القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٣٠٧

وجه التحديد بين عامى ١٩٢٩ و ١٩٣٤ نوقشت فى خلالها بنوداً لمشروع معاهدة بريطانية إيرانية لم يقدر لها أن تخرج إلى حيز التنفيذ .

ولا يهمننا من تلك المباحثات سوى مايتعلق منها بجزر أبوموسى والطنبين إذا كانت المشكلات المتعلقة بتلك الجزر واصرار الحكومة البريطانية على أن تعترف الحكومة الإيرانية بالمعاهدات التى عقدتها مع الحكام العرب فى الخليج من أهم العقبات الرئيسية التى اعترضت سير تلك المباحثات وأدت إلى توقفها فى نهاية الأمر (١).

ويتضح من العروض التى قدمتها إيران خلال مفاوضاتها مع بريطانيا ضعف الأسانيد التى كانت تعتمد عليها فيما يتعلق بادعاءاتها على تلك الجزر . وعلى الرغم من أن المفاوض البريطانى كان يحاول فى كثير من الأحيان ترضية إيران على أمل أن تظل بريطانيا محتفظة بقواعدها البحرية على بعض الجزر والسواحل الإيرانية إلا أن الحكومة البريطانية لم تستطع التسليم بالادعاءات الإيرانية على جزر أبو موسى والطنبين ولعل ذلك مما دفع بالمفاوضين الإيرانيين إلى تقديم عروض تقضى بشراء الحكومة الإيرانية لجزيرة طنّب مقابل موافقتها على تأجير قاعدة هنجام للبحرية البريطانية غير أن الحكومة البريطانية كانت عاجزة عن إتمام تلك الصفقة خاصة وأن حاكم رأس الخيمة التى كانت تتبعه تلك الجزيرة كان من أكثر الحكام العرب فى الخليج شدة وعناداً حيث أعلن رفضه القاطع بيع جزيرته مهما كان الثمن الذى سوف تقدمه له إيران (٢) .

Memorandum of Certain Aspects of the Situation in the Persian (١)

Gulf between His Majesty's Government in the United Kingdom and the Persian Government , 1931 See also Memorandum of Persian claim to Tamb and Abu Musa , 1934 F . O . 371 /18901.

Question of persian Purchasing Tamb From Sheikh of Sharjah 1929.

(٢)

ولعل مما يشير الانتباه أن الحكومة الإيرانية كانت تركز فى ذلك الوقت على جزيرة طنب الكبرى أكثر من تركيزها على جزيرة أبو موسى ويرجع ذلك إلى أن الجزيرة الأولى أقرب إلى سواحلها هذا بالإضافة إلى أن السلطات الجمركية الإيرانية كانت تعتبر تلك الجزيرة المركز الرئيسى لعمليات تهريب المئون والأسلحة وما قد تؤدي إليه تلك العمليات من إضرار باقتصاد إيران أو إخلال بأمنها القومى وكان اهتمام الحكومة الإيرانية بجزيرة طنب دافعا لكى توالى تقديم عروض أخرى ومن بين تلك العروض التنازل عن إدعاءاتها فى جزيرة أبو موسى مقابل اعتراف الحكومة البريطانية بملكيتها لجزيرة طنب ولم يجد هذا العرض بدوره تجاوبا من بريطانيا التى أوضحت عدم قدرتها على التنازل عن أراضى مملوكة لحكام مشمولين بحمايتها ضد رغباتهم. ثم كان هناك عرض آخر قدمه المفاوضون الإيرانيون ويقضى بتأجير الحكومة الإيرانية جزيرة طنب الكبرى لمدة خمسين عاما وقد بذل المفاوضون الإيرانيون جهداً كبيراً لحث المفوضين البريطانيين للموافقة على ذلك العرض خاصة وأن ذلك سيدفع بالحكومة الإيرانية إلى الموافقة على تأجير جزيرة هنجام لبريطانيا لاستمرار اتخاذها قاعدة للأسطول البريطانى فى الخليج كما أن حصول الحكومة الإيرانية على عقد إيجار جزيرة طنب قد يكون فيه تعويضاً وارضاءاً للرأى العام الإيرانى عندما يعرض مشروع المعاهدة البريطانية الإيرانية على المجلس النيابى للموافقة عليه رغم ما أشارت إليه بعض بنود تلك المعاهدة من تخلى إيران عن إدعاءاتها الإقليمية فى كل من البحرين وجزيرة أبو موسى^(١).

واستجابة لذلك العرض الأخير طلبت الحكومة البريطانية من مقيمها السياسى

١ - محمد مرسى عبد الله ، مرجع سبق ذكره ص ٣٦٢ .

فى الخليج مناقشة الأمر مع حاكم رأس الخيمة وتحت المساعى البريطانية أبدى الأخير موافقته على تأجير جزيرته فى مايو ١٩٣١ بعد أن وضع شروطا صعبة لم تكن قابلة للتنفيذ إذا أصر على احتفاظه بحقوق السيادة على الجزيرة وأن يبقى مثله فيها ويستمر رفع العلم الخاص به وألا يتدخل أحد فى شئون رعاياه وأن يتمتع باعفاءات جمركية كما اشترط أيضا أن تقوم الحكومة الإيرانية بدفع الإيجار السنوى مقدما وأن تضمن الحكومة البريطانية تنفيذ تلك الشروط^(١)، وفيما يبدو أن الحكومة البريطانية رأت أنه لا جدوى من تبليغ تلك الشروط إلى الحكومة الإيرانية خاصة بعد أن أخذت العلاقات البريطانية الإيرانية طريقها إلى التوتر وبعد أن استقر رأى حكومة الهند البريطانية على التحول بقاعدتها البحرية من هنجام إلى البحرين^(٢). ومع ذلك فقد تكررت المحاولات الإيرانية للاتصال مباشرة بحاكم رأس الخيمة متخفية بذلك السلطات البريطانية غير أن تلك المحاولات لم تحقق نجاحا يذكر ازاء الموقف المتصلب للشيخ تجاه العروض الإيرانية التى وجد فيها مساسا بسيادته الإقليمية^(٣).

وعلى أثر توقف المفاوضات البريطانية الإيرانية فى عام ١٩٣٤ وضع تشدد الحكومة البريطانية ازاء المحاولات التى كانت تبذلها إيران للوصول إلى منطقة النفوذ البريطانى فى الخليج والتى وضحت فى الزيارات المتكررة التى كانت تقوم بها بعض القطع البحرية الإيرانية إلى الجزر الثلاث واستمرار جهودها الرامية لإيجاد

(١) F. O. 371 / 15278 Islands of Tamb - Posistion in regard to Anglo - Persian Treaty Negotiations , Proposed Lease of Tamb to Persian Government , May , 1931.

(٢) Fenelon , G . B . , op . cit . P., 15.

(٣) F. O. 371 / 16852 Alleged Persian attempt to obtain lease of Tamb.

اتصالات مباشرة مع حاكم رأس الخيمة مستغلة الضائقة المالية الناجمة عن كساد مواسم الغوص على اللؤلؤ خلال حقبة الثلاثينيات وإن كان من الملاحظ في نفس الوقت أن الحكومة البريطانية لم تعد تبدي اهتماماً بالادعاءات الإيرانية سواء على الجزر أو غيرها من مناطق الخليج الأخرى ولعلها قد أدركت ضعف تلك الادعاءات وحتى إذا ما اتجهت الحكومة الإيرانية لاثارتها لدى عصبة الأمم فإنها ستواجه بردود فعل معاكسة وقد يصل الأمر إلى تدعيم الوجود البريطاني في الخليج باعتباره ضروريا لحماية " الشعوب الصغيرة " .

ومع أن جزيرة طنب الكبرى كانت موضع اهتمام الحكومة الإيرانية فقد أخذت جزيرة أبو موسى تجذب الانتباه إليها منذ عام ١٩٣٤ حين منح حاكم الشارقة ترخيصا للكوماندور بايلدون R . Bayldon لفحص الأكسيد الأحمر في الجزيرة لحساب شركة الوادي الذهبي وحين قام بعض مهندسي الشركة بزيارة الجزيرة وجاءت نتائج الفحص مشجعة بادرت الشركة بالحصول على امتياز للاستغلال في نوفمبر ١٩٣٤ وليس من شك في أن حاكم الشارقة وجد في منحه لذلك الامتياز علاجاً للأزمة المالية الحادة التي كان يعاني منها ^(١) ، وعلى أثر ذلك قدمت الحكومة الإيرانية احتجاجاً ضد منح حاكم الشارقة لذلك الامتياز واعتبرته لاغيا وكأنه لم يكن Null & Void ^(٢) .

ولعل مما يسترعى الانتباه أن المواقف المتشددة لبريطانيا ضد الإدعاءات الإيرانية لم تكن تهدف بها إلى حماية الحقوق المشروعة للحكام العرب وإنما كانت ترتبط إلى حد

(١) Fenelon , G . B . , op . cit . P., 15.

(٢) F . O . 371 / 18911 - Bahrein Intelligence Report No 3 , 1935

انظر أيضا : لؤى بحرى : الأطماع الإيرانية في جزيرة أبو موسى ، بغداد ١٩٧٢ .

كبير بتوتر العلاقات بينها وبين إيران خاصة في خلال السنوات الأخيرة من عهد رضا شاه بهلوى ولعل ما يؤكد ذلك أنه بعد تنحيته عن الحكم في عام ١٩٤١ وتولية ابنه محمد رضا بهلوى فترت المواجهة البريطانية لإيران وخاصة بعد أن أصبح الشاه الجديد حليفا لها في الحرب العالمية الثانية ومن ناحية أخرى أدت ظروف الحرب إلى توقف الادعاءات الإيرانية على جزر الخليج حتى عادت إيران تجدد مطالبها على تلك الجزر في عام ١٩٤٨. وقد حاولت إيران أن تستغل انضمامها إلى حلف بغداد في عام ١٩٥٥ وللحلف المركزي في عام ١٩٥٩ لكي تحصل على تنازلات من بريطانيا عن تلك الجزر بيد أنها فشلت في تحقيق أهدافها ولا يعزى ذلك إلى الموقف البريطانى الذى لم يعد متشدداً مع إيران كما كان عليه الحال من قبل وإنما يرجع إلى مواجهة إيران بالمد العربى الذى أخذ تياره ينساب إلى إمارات الخليج العربى عقب الحرب العالمية الثانية وازداد انسياقا نتيجة الأحداث المتتالية التى شهدتها العالم العربى بدءاً من الحرب العربية الإسرائيلية في عام ١٩٤٨ ونشوب ثورة يوليه ١٩٥٢ والعدوان الثلاثى على مصر في عام ١٩٥٦ وقيام الجمهورية العربية المتحدة ونشوب ثورة قموز في العراق في عام ١٩٥٨^(١). ومن ثم أخذت إيران تتصدى لتلك الاتجاهات القومية باعتمادها على بريطانيا وعلى غطاء دولى يضمن لها التحرك في منطقة الخليج فبالإضافة إلى تكثيف إدعاءاتها الإقليمية على البحرين أقدمت على احتلال جزيرة أبوموسى خلال المناورات المشتركة التى أجرتها البحرية الإيرانية مع الأسطول الأمريكى في مارس ١٩٦٤ في نطاق عضوية إيران للحلف المركزي غير أنها سارعت بالجلء عن الجزيرة بعد عشرين يوماً من انزال

(١) جمال زكريا قاسم: الخليج العربى دراسة لتاريخه المعاصر ١٩٤٥-١٩٧١ القاهرة ١٩٧٤، ص ٢٣ .

(٢) سيد نوفل : الأوضاع السياسية لامارات الخليج العربى الكتاب الثانى - إمارات الساحل

العمانى، ط ٢ ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ٩٤ .

قواتها إثر الاحتجاجات العربية العنيفة واضطر وزير الخارجية الإيرانية إلى التصريح بأن الانزال الإيراني كان مناورة عسكرية طارئة وبادرت السلطات البريطانية في الخليج بإرسال سفينة حربية عليها بعض الجنود ومندوبين من حاكم الشارقة لانتزاع العلامات البحرية التي كان من شأنها إدخال جزيرة أبو موسى في المياه الإقليمية الإيرانية .

وعلى الرغم من أن الحكومة البريطانية كانت ملتزمة بالمحافظة على حقوق السيادة الإقليمية للحكام العرب المشمولين بحمايتهم في منطقة الخليج إلا أنه كان واضحا التغير الذي بدأ يظهر في السياسة البريطانية من حيث التنسيق مع إيران بهدف مواجهة التحديات التي كانت تتعرض لها المصالح الغربية في منطقة الخليج ومن ثم أصبح ذلك التنسيق يمثل حجر الزاوية لأمن الخليج وضمان الملاحة الدولية في مضيق هرمز . وقد وضع التنسيق البريطاني الإيراني خلال فترة الانتقال التي حددتها الحكومة البريطانية منذ اعلان سياستها الخاصة بالانسحاب في يناير ١٩٦٨ حتى تصفية وجودها العسكري قبل نهاية عام ١٩٧١ وفي خلال تلك السنوات الثلاث قامت الحكومة البريطانية بمساعي مكثفة لضمان استقرار الأمن وتسوية بعض المطالب الإقليمية ^(١) في الوقت الذي لعبت فيه السياسة الأمريكية دورا كبيرا في استغلال نزعة الشاه التوسعية واعداده ليقوم بدور الشرطي أو الوكيل الذي يحافظ على المصالح الغربية وفي مقدمتها النفط وظهر ذلك واضحا في زيادة حجم التسليح الإيراني والوقوف إلى جانبه في فرض هيمنته السياسية على الخليج .

(١) Hussain Sirriyeh , Security and Stability in the Gulf , Background to United States Policy , Center For Contemporary Arab Studies Georgetown University , London 1984 , pp . 44 - 46

ولعل ذلك مما دفع بالولايات المتحدة الأمريكية إلى تأييد استيلائه على جزر الخليج الثلاث^(١) خاصة بعد أن أخذ يركز على الأهمية الاستراتيجية لتلك الجزر مبدئياً قلقه من احتمال سيطرة عناصر يسارية عليها على أثر تصاعد الثورة في إقليم ظفار وتحول جبهة تحرير عمان إلى جبهة يسارية أعلنت الاطاحة بالمصالح الغربية والأنظمة السياسية الحاكمة وطالبت بتحرير عمان والخليج العربي بكامله .

وبينما أعلن الشاه تخطي إيران عن إدعاءاتها التقليدية في البحرين إلا أنه طالب العرب أن يتخلوا في المقابل عن تشددهم بالنسبة لجزر الخليج الثلاث وأكد في العديد من التصريحات التي أدلى بها بأن تلك الجزر تابعة لإيران ولا يسع إيران سوى استردادها سلمياً أو باستخدام القوة إذا ما لزم الأمر،^(٢) وإلى جانب تصريحات الشاه صدرت تصريحات أخرى من رئيس حكومته أمير عباس هويدا أكد فيها حاجة إيران لتلك الجزر لحماية مصالحها وثرواتها وأنها ستدافع عن مجراها المائي بكل ما لديها من قوة بحرية وبرية وجوية^(٣)

ومما يسترعى الانتباه أن التصريحات الإيرانية التي كان يدلى بها الشاه أو المسئولون في حكومته كانت تختلف في لهجتها بين أساليب التهديد أو الترغيب كتقديم المساعدات الاقتصادية والاجتماعية لمارتي الشارقة ورأس الخيمة لقاء تنازلهما عن تلك الجزر ، غير أنه مع اقتراب انتهاء الوجود العسكري البريطاني من الخليج بدأت تتصاعد حدة الادعاءات الإيرانية ففي مايو ١٩٧٠ هددت الحكومة الإيرانية باستخدام القوة ضد شركة أوكسيتندال Occidental البريطانية التي تقوم

(١) عبد الله الأشعل : الاطار القانوني والسياسي لمجلس التعاون الخليجي، الرياض ١٩٨٣، ص ٦٩

(٢) جابر الراوي : المرجع السابق ص ٤٢٩ .

(٣) نفسه ، ص ٤٢٩ وما بعدها .

باستغلال النفط في إمارة الشارقة إذا لم توقف عملياتها التنقيبية في جزيرة أبو موسى مما اضطر الحكومة البريطانية إلى إصدار تعليماتها إلى تلك الشركة بوقف عملياتها في الجزيرة . وفي أكتوبر من نفس العام أكدت الحكومة الإيرانية معارضتها التامة لقيام اتحاد بين الامارات العربية ما لم يتم التوصل إلى حل لمشكلة الجزر ويصدد ذلك صرح أردشيرزاهدي وزير الخارجية الإيرانية بأن بلاده لن تعترف بالاتحاد بل وستقاومه (١) .

وعلى أثر تسليم إيران باستقلال البحرين في أغسطس عام ١٩٧١ أخذ الشاه يعمل على تثبيت صورته في المنطقة بتكثيف مطالبته بالجزر الثلاث وأشار إلى أنه إذا كانت المحاولات السابقة التي بذلها والده من أجل استرداد تلك الجزر قد أحبطتها بريطانيا فإن الأمور قد تغيرت الآن إذ أصبح لديه أسطولاً من السفن والطائرات التي يمكنه بواسطتها أن يتحدى بريطانيا ويعيد الجزر إلى السيادة الإيرانية . (٢) ويظهر من ذلك التصريح محاولة الشاه أن يعطى انطباعاً بأنه يعمل على استرجاع سيادة سابقة لإيران على تلك الجزر حال الانجليز دون ممارستها لها ومثل ذلك الادعاء لا يستند على أي أساس من الصحة التاريخية ويؤكد ذلك ما صرح به السير ويليام لوس Luce الذي كان يشغل من قبل منصب المقيم البريطاني في الخليج ، ثم عهدت إليه حكومة المحافظين القيام بزيارات استطلاعية إلى دول وإمارات الخليج قبيل تنفيذ سياسة الانسحاب من أن الحكومة البريطانية لم تستول على تلك الجزر من إيران وتسلمها للحكام العرب وقت دخولها منطقة الخليج إذ أن

(١) جابر الراوى : مرجع سبق ذكره ، ص ٤٢٩ أنظر أيضا محمد مرسى عبد الله ، مرجع سابق ص ٣٨٢ .

(٢) محمد عزيز شكري: مسألة الجزر في الخليج العربي وموقف القانون الدولي ، دمشق ١٩٧٢ ، ص ٤٢٩ - ٤٣٠ .

الجزر عربية طبقا لوثائق الخارجية البريطانية وحكومة الهند وتقارير المقيمة البريطانية في الخليج (١) .

وليس من شك في أنه كان بوسع الحكومة البريطانية لولا تساهلها مع إيران أن تحتفظ بوضعيه تلك الجزر لأصحابها الأصليين ولعل ما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن حاكم الشارقة بادر على أثر التهديدات الإيرانية بتكليف أحد الخبراء القانونيين بأعداد تقرير مدعم بالأسانيد التاريخية والقانونية حول جزيرة أبو موسى وقد ثبت من هذا التقرير الذي أرسل حاكم الشارقة نسخا منه إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية وإلى المسئولين في الدول العربية في يوليو من عام ١٩٧١ أن جزيرة أبو موسى كانت منذ أقدم تاريخ سجل في الوثائق البريطانية ملكا للشارقة وأكد الخبير القانوني أن قضية امتلاك الشارقة للجزيرة ستكون غير قابلة للنقاش إذا ما قدمت للتحكيم الدولي وأنه بغض النظر عن إثبات الملكية ، فإن التهديد الإيراني باستخدام القوة العسكرية للسيطرة على جزر الخليج هو انتهاك صريح لميثاق الأمم المتحدة الذي يحظر تغيير حالات إقليمية مثبتة بواسطة القوة أو التهديد باستخدامها (٢) .

وفيما يبدو أن بريطانيا التي ظلت تدافع عن حقوق الشارقة ورأس الخيمة في تبعية تلك الجزر لهما طوال فترة وجودها في منطقة الخليج قد أدركت أن انسحابها من الخليج سيؤدي حتما إلى احتلال إيران لتلك الجزر ويظهر ذلك فيما رددته الصحف

(١) جابر الراوى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٣٦ - ٤٣٧ .

(٢) انظر بصدد ذلك تقرير كوارد تشانس في ٢٣ يوليو ١٩٧١ إلى المستر نورث كات أيلي

مستشار حاكم الشارقة حول ملكية الشارقة لجزيرة أبو موسى ، نجيب رياض الرئيس : صراع الواحات والنفط - هموم الخليج العربي ١٩٦٨ - ١٩٧١ ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٢٧٣ - ٢٧٥ .

البريطانية من أنه من الأفضل أن تقوم بريطانيا بتسليم تلك الجزر لإيران قبل أن تنهى وجودها العسكرى وبذلك يمكن حصر مشكلة الجزر بينها وبين إيران لأن الاحتلال الإيراني للجزر بعد انسحابها سيؤدى إلى إثارة المشكلات بين العرب وإيران وما سترتب على ذلك من إشاعة حالة من التوتر وعدم الاستقرار فى المنطقة (١) وانطلاقاً من تلك المفاهيم حاولت الحكومة البريطانية التوصل إلى حلول سلمية لتلك المشكلة وظهر ذلك واضحاً فى الدور الذى قام به السير ويليام لوس والذى تميز بالوساطة وليس بالدفاع عن السيادة الإقليمية للشارقة ورأس الخيمة . وعلى الرغم من أن المبعوث البريطانى ومعاونوه كانوا يكتنون إعجاباً لموقف الشاه تجاه البحرين ويرون أنه ينبغى أن يأخذ العرب موقفاً معتدلاً فى مسأله الجزر والوصول إلى حلول سلمية مع إيران فإن الدول العربية فى الخليج خاصة السعودية والكويت كانت تنظر إلى قضية استقلال البحرين على أنها حق مقرر وليست صفقة تجارية وأنه لا توجد ثمة رابطة بين المسألتين .

وعلى أى الأحوال فقد تميزت الأسابيع القليلة التى سبقت الاحتلال الإيراني للجزر بمباحثات مكثفة بين إيران وكل من حاكم الشارقة ورأس الخيمة بوساطة ويليام لوس وفى خلال تلك المباحثات أصر الحاكمان على إصدار بيان تؤكد فيه الحكومة الإيرانية احترامها لسيادتهما على الجزر الثلاث مما أدى إلى انهيار تلك المباحثات ومع ذلك فقد كان للمساعى البريطانية أثرها فيما يتعلق بما صار إليه الوضع بالنسبة لجزيرة أبو موسى فعلى حين رفض حاكم رأس الخيمة أية حلول تقس سيادته

(١) A . G . Duke, The Union of The Arab Amirates, Middle East Journal, (١)

Summer , 1972 , P. 27

الإقليمية على الطرفين أبدى حاكم الشارقة استعدادَه للتوصل إلى حل سلمي حرصاً على إقامة علاقات طيبة مع إيران ، ^(١) واقترح بصدد ذلك إحالة موضوع النزاع إلى التحكيم الدولي أو هيئة الأمم المتحدة غير أنه لم يجد استجابة من الحكومة الإيرانية حينما أدرك أن الدول العربية ليست على استعداد لمواجهة إيران عسكرياً أو حتى دبلوماسياً لأن قضية الأراضي العربية الواقعة تحت الاحتلال الاسرائيلي كانت هي القضية الملحة آنذاك فقد قبل الاتفاق مع إيران فيما يتعلق بجزيرة أبو موسى خاصة بعد أن كثفت إيران تصريحاتها باستخدام القوة العسكرية . وفي ١٨ نوفمبر ١٩٧١ وجه خطاباً إلى وزير الخارجية البريطانية أكد فيه قبوله للترتيبات المبينة في مذكرة التفاهم التي تم الاتفاق عليها مع الجانب الإيراني وجاء الرد الإيراني في ٢٥ نوفمبر ١٩٧١ بقبول الترتيبات المتفق عليها والخاصة بجزيرة أبو موسى ^(٢) والتي وقع عليها كل من الشيخ خالد حاكم الشارقة وعباس علي حلقبري وزير الخارجية الإيرانية والسير دو جلاس هيوم وزير الخارجية البريطانية .

وتشتمل مذكرة التفاهم على مقدمة وستة بنود تم الاتفاق عليها بضمان الحكومة البريطانية وفيها أكدت إيران والشارقة بأنهما لن يتخليا عن المطالبة بأبو موسى ولن تعترف أي منهما بمطالب الأخرى وقد نصت الترتيبات المتفق عليها على وصول قوات إيرانية واحتلال مناطق ضمن الحدود المبينة في خريطة أرفقت بالمذكرة ، وعلى أن يكون لإيران صلاحيات كاملة في المناطق المحتلة بقواتها كما نصت الترتيبات من ناحية ثانية على أن تمارس الشارقة صلاحياتها الكاملة على بقية أنحاء الجزيرة وعلى أن يتمتع مواطنو إيران والشارقة بحقوق متساوية للصيد في المياه الإقليمية

(١) جابر الراوي : مرجع سبق ذكره ، ص ٤٤٣ .

(٢) محمد عزيز شكري : مرجع سبق ذكره ، ص ٣٦ .

للجزيرة والتي حددت باثنتي عشر ميلا بحريا ^(١) .

وعلى أثر موافقة الشارقة على تلك الترتيبات وجه الشيخ خالد بن محمد أمير الشارقة بيانا إلى مواطنيه من إذاعة صوت الساحل أعلن فيه تسوية الأوضاع مع إيران فيما يتعلق بجزيرة أبو موسى كما صدر بيان من ديوان الحاكم في ٣٠ نوفمبر ١٩٧١ حرص على التأكيد بأن الترتيبات التي تم الاتفاق عليها لن تمس نظرة الشارقة في سيادتها على الجزيرة إذ سيبقى علمها مرفوعاً على مركز الشرطة وعلى الدوائر الحكومية كما سيظل المواطنون المقيمون في الجزيرة تحت سلطة واختصاص حكومة الشارقة وتستمر شركة بيوتزجاز آند أويل بالكشف والتنقيب عن النفط والمصادر الطبيعية في الجزيرة ومياهاها الإقليمية وأنه سيجرى تقسيم دخل تلك المصادر مناصفة بين الشارقة وإيران . وتضمن البيان النص على توقيع اتفاقية للمساعدات المالية سوف تحصل الشارقة بمقتضاها على مبلغ مليون ونصف مليون من الجنيهات الاسترلينية سنويا ولمدة تسع سنوات على التوالي في صورة إعانة يجرى انفاقها في مصالحها العامة على أن تتوقف إيران عن دفع تلك الأعانة السنوية حين يبلغ دخل الشارقة من النفط ثلاثة ملايين من الجنيهات وعند ذلك يتم تقسيم الدخل بالتساوي بين الجانبين ^(٢) .

وعلى الرغم من العبارات الهادئة التي وردت في ذلك البيان إلا أنه كان من الواضح أن الاتفاق الذي تم التوصل إليه قد أبرم تحت التهديد الإيراني باستخدام القوة العسكرية ومن ثم يمكن القول أن الشارقة قد أجبرت على قبول ذلك الاتفاق

١ - انظر بيان الاتفاق بين الشارقة وإيران حول جزيرة أبو موسى الصادر عن ديوان حاكم الشارقة وملحقاتها - حريدة

الاتحاد أبو ظبي ١٩٧١/١١/٣٠ ، محمد مرسى عبد الله ، دولة الامارات العربية المتحدة وجيرانها ص ٤٨٣ - ٤٨٤ .

٢ - محمد عزيز شكرى : المرجع السابق ص ٤١ - ٤٢ .

نتيجة ظروف قسرية . ولعل مما تجدر الإشارة إليه أيضا أنه على الرغم من أن الاتفاق نص على نزول قوات إيرانية في الجزء الأعلى من الجزيرة مما كان يعنى أنه قد أصبح هناك سيادة مشتركة إلا أن الاتفاق لم يشر بصراحة إلى الأمور المتعلقة بالسيادة . ومن ناحية أخرى كان الشيخ خالد بن محمد حاكم الشارقة حريصا على التركيز على مجموعة من الأسباب التي برر بها موقفه ففي حديث أدلى به لإحدى الصحف العربية ذكر أن الدول العربية لم تتخذ أية إجراءات ايجابية تجاه النوايا الإيرانية وأكد أن إيران لم تكن لتسلم بقيام دولة الإمارات العربية المتحدة قبل أن تصل إلى حل لانتهاء مشكلة الجزر وأن بريطانيا كانت حريصة على إنهاء تلك المشكلة قبل تنفيذ انسحابها النهائي من الخليج فضلا عن أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت مساندة لإيران ونتيجة لتلك الظروف جميعها لم يكن أمامه من سبيل سوى التفاهم مع إيران أو على حد قوله " ماذا أستطيع أن أفعل فأنا حريص على قيام الاتحاد وعلى عروبة الجزر وعلى حقن دماء أبناء شعبي " (١) .

وعلى العكس مما ذهب إليه حاكم الشارقة فإن الشيخ صقر حاكم رأس الخيمة قد رفض التوصل إلى اتفاق مع إيران رغم التحذيرات المتكررة التي وجهها إليه السير ويليام لوس بأن إيران سوف تحتل جزيرتي طنب الكبرى والصغرى ما لم يصل إلى تسوية بشأنهما وأن الحكومة البريطانية لن تعتبر نفسها مسئولة عن ذلك وهي بصدد إنهاء علاقاتها التعاهدية مع رأس الخيمة وغيرها من الإمارات العربية في الخليج (٢) ولعل مما تجدر الإشارة إليه أن الشيخ صقر لم يستجب للعروض الإيرانية

(١) جريدة الأنوار ، بيروت ٨/١٢/١٩٧١ ، سجل الآراء ، حول الوقائع السياسية في البلاد العربية ،

بيروت ١٩٧١ .

(٢) جمال زكريا قاسم : الخليج العربي ، دراسة لتاريخه المعاصر ١٩٤٥ - ١٩٧١ ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ٢١٧ .

التي أبدت فيها إيران استعدادها لشراء الجزيرتين مقابل خمسة عشر مليوناً من الجنيهات الاسترلينية تدفع على مدى تسع سنوات إلى جانب منح رأس الخيمة ٤٩٪ من أية ثروة نفطية أو موارد طبيعية أخرى يتم اكتشافها في هاتين الجزيرتين وقد رد الشيخ صقر على تلك العروض التي حملها إليه السير ويليام لوس " بأننا لن نتخلى أبداً عن أرضنا ولسنا مستعدين للدخول في صفقات لبيع أراضيها " (١) .

اختلفت السياسة الإيرانية بشأن جزر الخليج الثلاث عن سياستها إزاء البحرين فبينما أعلنت بأنها لن تلجأ إلى استخدام القوة في ضم البحرين إلى أقاليمها اتبعت سياسة الاحتلال القسري بالنسبة لجزيرتي طنب الكبرى والصغرى والاحتلال السلمي المستند إلى اتفاق مع إمارة الشارقة بالنسبة لجزيرة أبو موسى (٢) .

بدأت إيران عملياتها العسكرية باحتلال جزيرة طنب الكبرى في ٣٠ نوفمبر ١٩٧١ حين حطت بعض الطائرات من طراز الهليكوبتر التابعة لسلاحها الجوي على الجزيرة في نفس الوقت الذي أحاطت بها بعض القطع البحرية وعلى أثر الانزال الإيراني حدثت بعض المناوشات بين أفراد الشرطة المحلية البالغ عددهم ستة أشخاص وبين بعض الجنود الإيرانيين مما أسفر عن مقتل أربعة أفراد من العرب بينما قتل ثلاثة آخرون من القوات الإيرانية وفر كثير من السكان أو طردوا من الجزيرة بينما بقي الآخرون تحت سيطرة السلطات الإيرانية . أما فيما يتعلق بجزيرة طنب الصغرى فقد تم احتلالها دون وقوع اشتباكات مسلحة نظراً لخلوها من السكان

(١) محمد عزيز شكرى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٥ .

(٢) حسين البحارنه ، دول الخليج العربى الحديثة ، علاقاتها الدولية وتطور الأوضاع السياسية والقانونية والدستورية فيها ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٧٧ - ٧٨ .

وفى نفس الوقت أيضا نزلت بعض القوات الإيرانية فى جزيرة أبو موسى واحتلت الجزء الأعلى منها ^(١) .

وبينما أعلنت حكومة الشارقة أنه قد سبق لها أن تفاهمت مع إيران على وضعية جزيرة أبو موسى أعلنت رأس الخيمة استنكارها الشديد لوقوع العدوان على أراضيها وأشار البيان الذى صدر عن ديوان الحاكم أن قوة الشرطة التابعة للامارة تصدت بشجاعة للهجوم الإيرانى المباغت وبادر الشيخ صقر القاسمى حاكم رأس الخيمة بتقديم احتجاج شديد اللهجة إلى الحكومة البريطانية محملا إياها مسئولية ذلك العدوان وعدم التزامها بحماية ممتلكاته الإقليمية بحكم ما يربط الامارة من معاهدات مع بريطانيا لم يكن قد تم الغاؤها بعد ، فى الوقت الذى سارع فيه العراق باعلان وقوفه إلى جانب رأس الخيمة ، وعن طريقه تم إبلاغ السكرتير العام للأمم المتحدة ومجلس الأمن ورؤساء الدول العربية بالاحتلال الإيرانى كما أرسل حاكم رأس الخيمة إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية مجموعة من الوثائق والأسانيد التاريخية التى تؤكد حقوقه على الجزيرتين المحتلتين ولم يلبث أن أعلن بأنه على استعداد لاستقبال أية قوة عربية للدفاع عن الجزر التى احتلتها إيران سواء كانت من دولة عربية واحدة أو من عدة دول عربية وذهب إلى أبعد من ذلك فى الدعوة إلى القيام بحملات انتقامية ضد المصالح الاقتصادية البريطانية والإيرانية فى العالم العربى مؤكدا أن الواجب القومى الأول لدولة الامارات العربية المتحدة هو تخليص تلك الجزر من الاحتلال الإيرانى ومشيرا إلى أن الشرط الرئيسى لانضمام إمارته إلى الدولة الاتحادية الجديدة هو تبنيتها موقفا متشددا من العدوان الإيرانى وعدم

١ - تقرير الأمين العام لجامعة الدول العربية ، دور الانعقاد السابع والخمسين ، ١١ مارس ١٩٧٢ ، ص ٢٦ .

إقامة علاقات مع إيران وترحيل جميع الإيرانيين من الإمارات التابعة لها .
ولعل مما تجدر الإشارة إليه أن الاحتلال الإيراني للجزر حدث قبل يوم واحد من
إلغاء المعاهدات التي كانت تربط الامارات العربية ببريطانيا وقبل يومين اثنين من
إعلان قيام دولة الامارات العربية المتحدة ومن الواضح أن توقيت الاحتلال على
ذلك النحو كان ينبئ بحدوث اتفاق بين بريطانيا وإيران كان الهدف منه عدم احراج
الدولة الناشئة وتحمل الحكومة البريطانية عنها نقمة الرأي العام العربي .
وكان مما يخفف الإحراج أيضا عن تلك الدولة أن إمارة رأس الخيمة التي وقع
العدوان الإيراني على أراضيها لم تكن قد انضمت إليها بعد . أما الاحتلال
الإيراني لبعض المواقع في جزيرة أبو موسى فقد بدا وكأنه أمر مشروع بحكم
الاتفاقية المبرمة بين إمارة الشارقة وإيران ^(١) .

وعلى الرغم من تلك المبررات النظرية فإن المجلس الأعلى للاتحاد وهو السلطة
العليا في دولة الإمارات العربية المتحدة لم يتردد في الاجتماع الذي عقده في الرابع
من ديسمبر ١٩٧١ عن إصدار بيان استنكر فيه العدوان الإيراني وعبر عن غضب
حكام الإمارات تجاه أسلوب القوة الذي استخدمته إيران ، وفضلا عن ذلك فقد
اتسمت ردود الفعل المحلية لمواطني الدولة بالاستياء البالغ الذي ظهر في تعرض
المصالح الإيرانية لبعض الأضرار التي نجمت عن مظاهرات الاحتجاج التي قامت
في بعض الإمارات سيما في الشارقة ورأس الخيمة ودبي وغيرها .

وعلى أثر وقوع الاحتلال حاولت الحكومة البريطانية تبرير موقفها بابداء أسفها
الشديد لعدم توصل حاكم رأس الخيمة إلى اتفاق مع إيران على غرار الاتفاق الذي
أبرم مع الشارقة رغم العروض السخية التي قدمتها الحكومة الإيرانية له وأملت ألا

Duke , A . J . , op .cit . pp . 286 - 287

(١)

يعلق العرب أهمية كبيرة على احتلال إيران لجزيرتين صغيرتين بالقياس إلى النجاح الذي أحرزته السياسة البريطانية في معالجة قضايا الخليج الأخرى كاستقلال قطر والبحرين وإعلان قيام دولة الإمارات العربية المتحدة وطالبتهم بتكثيف جهودهم لتوثيق العلاقات بينهم وبين إيران ^(١) .

أما عن الجامعة العربية فعلى الرغم مما أولته من اهتمام كبير بمسألة الاحتلال الإيراني للجزر وهو الأمر الذي بدا واضحا في المناقشات التي أثيرت خلال الجلسات التي عقدت في السادس والسابع من ديسمبر ١٩٧١ إلا أن مجلس الجامعة لم يستطع مع ذلك التوصل إلى قرارات حاسمة تدين العدوان إذ لم تسفر القرارات التي صدرت عن مجلس الجامعة عن أمور إيجابية سوى التأكيد نظريا على عروبة الجزر باعتبارها جزءا من الوطن العربي استنادا إلى التاريخ والواقع والقانون وينبغي أن تؤول السيادة عليها إلى أصحابها الشرعيين . وبصدد ذلك كلفت الجامعة العربية أمينها العام المساعد بزيارة منطقة الخليج بهدف تقصى الحقائق ووضع تقرير عن حقيقة الموقف في الوقت الذي تولت فيه اللجنتان السياسية والقانونية للجامعة إعداد دراستين عنيتا فيهما بابرار المقومات الجغرافية والتاريخية وحقوق السيادة العربية على الجزر الثلاث ، ^(٢) وإن كان مما يشير الانتباه عدم توصل وزراء خارجية الدول العربية إلى قرار جماعي ضد إيران ويرجع ذلك إلى تغلب الاتجاهات العربية الداعية إلى التقارب العربي الإيراني ومن ثم فقد اكتفى مجلس

(١) جمال زكريا قاسم : الخليج العربي دراسة لتاريخه المعاصر ١٩٤٥ - ١٩٧١ ، ص ٢١٨ .

(٢) تقرير الأمين العام إلى مجلس جامعة الدول العربية في دور الانعقاد العاشر السابع والخمسين، ١١ مارس ١٩٧٢ ، ص ص ٢٨ - ٢٩ .

الجامعة العربية في القرارات التي أصدرها بالتأكيد على أن الاحتلال الإيراني للجزر إنما يعرض الصداقة العربية الإيرانية للخطر ^(١) ، في الوقت الذي أعلنت فيه إيران تمسكها بموقفها وطالبت الجامعة العربية بتكثيف جهودها لمنع العراق من إثارة المشاكل ضدها .

ولعل مما تجدر الإشارة إليه أن العراق كان من أكثر الدول العربية تحدياً لإيران ويعزى ذلك إلى صراعه التقليدي معها وحتى قبل وقوع العدوان الإيراني على الجزر كان قد طالب في ١٣ نوفمبر ١٩٧١ بتكوين تحالف عربي لمواجهة الأطماع الإيرانية في الخليج ^(٢) ، وعلى أثر وقوع الاحتلال بادرت الحكومة العراقية بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع إيران ^(٣) ، وطالبت جميع الدول العربية أن تحذو حذوها وتقطع علاقاتها مع إيران وبريطانيا في الوقت الذي أصدرت فيه الأحزاب والمنظمات وبعض المؤسسات العراقية العديد من البيانات التي شجبت فيها العدوان باعتباره يستهدف عروبة الخليج ويمهد للمخططات الإمبريالية في المنطقة ويؤدي إلى وجود مرتكزات وثوب استعمارية ضد حركات التحرر الوطني فضلاً عن الاستحواذ على الموارد الطبيعية التي تحتويها أراضي الجزر الثلاث ^(٤)

(١) المرجع السابق ، ص ٢٩ .

(٢) Fred Halliday : The Iranian Revolution in international affairs
programme and Practice center for Contemporary Arab Studies
Georgetown University , Washington D . C . Croom - Helm , london
& Canberra , 1984 , P . 21.

(٣) لؤي بحري ، مرجع سبق ذكره ص ص ٥ - ٦ .

(٤) انظر بصدد ذلك البيانات الصادرة عن الأحزاب والمنظمات الوطنية في العراق عن العدوان الإيراني للجزر الثلاث وكذلك المنشورات التي أصدرتها جمعية الدفاع عن عروبة الخليج والمذكرات التي رفعتها إلى الشيخ زايد رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة وكذلك التقرير الصادر عن مشاريع مصلحة الموانئ العراقية والذي يؤكد أن جميع جزر الخليج تسكنها قبائل عربية.

وكانت الجمهورية الليبية من أوائل الدول العربية التي حذت حذو العراق حين أعلنت شجبها للعدوان وبادرت بتأميم شركة البترول البريطانية العاملة في أراضيها وأطلقت عليها شركة الخليج العربي كما سحبت أرصدها الاسترلينية من بريطانيا ردا على ما اعتبرته مؤامرة وتواطئا بينها وبين إيران^(١).

وظهرت ردود الفعل قوية في الكويت حين طالب مجلس الأمة الكويتي باتخاذ اجراءات مشددة ضد الأطماع الإيرانية في الخليج ووافق المجلس على التجنيد الإجباري لأول مرة في تاريخ الكويت كما طالب وزير الدولة الكويتي وزراء الخارجية العرب باتخاذ استراتيجية عربية موحدة وفاعلة لمواجهة العدوان الإيراني^(٢). وفي دولة الإمارات العربية المتحدة كاد الاحتلال الإيراني للجزر أن يؤثر على الوضع الاتحادي للدولة وحدث ذلك حين دبر الشيخ صقر بن سلطان القاسمي الحاكم السابق لإمارة الشارقة في ٢٥ يناير ١٩٧٢ مؤامرة لاغتيال الشيخ خالد بن محمد حاكم الشارقة الذي عقد اتفاقا مع إيران بشأن جزيرة أبو موسى ومندوبه الذي استقبل القوات الإيرانية التي نزلت في الجزيرة ، ورغم عدم استبعادنا الدوافع الشخصية من وراء هذه المؤامرة فإنه مما لا شك فيه كانت بمثابة رد فعل للاحتلال الإيراني للجزر^(٣) ، وقد كشفت التحقيقات التي أجرتها السلطات الاتحادية في دولة الامارات إثر اغتيال حاكم الشارقة على أنه كان هناك مخططا يستهدف إلغاء الشارقة لاتفاقيتها مع إيران والانسحاب من دولة الامارات حيث تؤسس اتحاداً

(١) جمال زكريا قاسم ، الادعاءات الإيرانية في الخليج العربي ، من أعمال المؤتمر الدولي للتاريخ بغداد ، مارس ١٩٧٣ .

(٢) سيد نوفل ، مرجع سبق ذكره ، الكتاب الثاني ، ص ص ٣٣ - ٣٤ .

(٣) جمال زكريا قاسم: الخليج العربي دراسة لتاريخه المعاصر ١٩٤٥/١٩٧١، ص ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

بينها وبين رأس الخيمة التي لم تكن قد انضمت بعد إلى الدولة الاتحادية ^(١) .
وقد أثارت مشكلة الجزر على المستوى الدولي حين تقدمت كل من العراق وليبيا والجزائر وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية بطلب عرضها على مجلس الأمن وقد بدأ المجلس مناقشته لتلك المشكلة في الثامن من ديسمبر ١٩٧١ حيث طالب مندوبو الدول العربية باتخاذ اجراءات تأديبية ضد بريطانيا لعدم الوفاء بالتزامات الحماية بموجب معاهداتها مع الإمارات العربية ووصف المندوبون العرب ما قامت به إيران باعتباره خرقاً صريحاً لميثاق الأمم المتحدة وأن الاحتلال الإيراني للجزر كان تواطئاً بينها وبين بريطانيا وبتأييد من الولايات المتحدة الأمريكية ^(٢) .

وبينما ارتكزت وجهة النظر العربية خلال مناقشة تلك المشكلة على حقوق السيادة العربية وانتهاك إيران لمبدأ تصفية الاستعمار وعدم التزامها بالطرق السلمية لتسوية المنازعات الدولية ارتكزت وجهة النظر الإيرانية إلى أن الجزر تشكل جزءاً من الأقاليم الإيرانية ^(٣) . ونتيجة لاختلاف وجهتي النظر العربية والإيرانية لم يستطع مجلس الأمن أن يصل إلى قرار بشأنها ومن ثم قرر تأجيل النظر في تلك المشكلة مع السماح لطرف ثالث بالتوسط بغية الوصول عن طريق الدبلوماسية الهادئة إلى تسوية يرضى بها الجانبان المتنازعان ^(٤) . وعلى الرغم من أن إيران قد اعترفت رسمياً بدولة الامارات العربية المتحدة وتبادلت التمثيل الدبلوماسي معها إلا أن ذلك

(١) Duke, A J., Op. cit., pp. 286-287

(٢) جريدة الأنوار ، بيروت ١٩٧١/١٢/٩ ، سجل الوقائع والآراء السياسية في العالم العربي ، بيروت ١٩٧١ .

(٣) جريدة الأنوار ، بيروت ١٩٧١/١٢/٩ انظر أيضاً حسين القطيفي ، مرجع سابق ، ص ٧٨ .

(٤) United Nations Official Records, Security Council Provisional Records qth December , 1971

الاعتراف لم يثن الدولة عن موقفها الرافض للاحتلال واستمرار مطالبتها بعودة الجزر إلى سيادتها الإقليمية .

وقد يكون من المناسب أن نعرض لأهم الادعاءات التي بررت بها إيران سيطرتها على تلك الجزر والتي ورد ذكرها سواء في التصريحات التي كان يدلي بها الشاه أو المسؤولين في حكومته أو عند مناقشة المشكلة في مجلس الأمن الدولي . وتبدو المبررات الأمنية والاستراتيجية من أهم الادعاءات التي اعتمدت عليها إيران لتبرير سيطرتها على تلك المشكلة غير أن تلك الادعاءات تفقد فاعليتها لعدم استنادها إلى أسس من الشرعية الدولية فموقع الجزر قرب مضيق هرمز لا يعطى لإيران مبرراً للانفراد بحماية ذلك المضيق الحيوى إذ أنه ليس ممراً إيرانياً خاصاً بها وإنما هو مضيق دولى حيث تشارك سلطنة عمان إيران فى الاشراف عليه هذا فضلاً عن أن أمن الخليج ليس قاصراً على إيران وحدها وإنما يهم دول المنطقة جميعها^(١) .

ومن الادعاءات الأخرى التي استندت عليها إيران هي ما ورد فى بعض الخرائط التي ترجع إلى النصف الثانى من القرن التاسع عشر من اعتبار تلك الجزر تابعة لإيران حيث ظهرت ملونة بنفس اللون الذى لونت به السواحل الإيرانية غير أن تلك الادعاءات لا تنهض دليلاً كافياً لصحة الادعاءات الإيرانية إذا أن الخرائط التاريخية أو الجغرافية لا يعتد بها فى التسليم بصحة المطالب الإقليمية حيث تحتفظ هيئات التحكيم الدولية عن التسليم بما جاء بها لعدم معرفة مصدر المعلومات التي اعتمد عليها رساموها إلا إذا كانت ملحقة بوثائق تؤكد مصدر تلك المعلومات^(٢) ، فضلاً عن ذلك فإنه لما كانت الخرائط التي تعللت بها الحكومة

(١) جابر الراوى ، مرجع سابق ص ٤٤٠ .

(٢) محمد عزيز شكرى ، مرجع سابق ص ص ٣٤ - ٣٥ .

الإيرانية خرائط بريطانية فإن مما يضعف من أهميتها التأكيدات التي صدرت عن السلطات البريطانية نفسها خلال فترة الوجود البريطاني في الخليج والتي كانت تنفي بشكل قاطع تبعية تلك الجزر لإيران وتؤكد تبعيةها للشارقة ورأس الخيمة ومن المسلم به قانونا أن الاعتراف الصريح يسمو على الاعتراف الضمني أو المفترض .

أما ما استندت عليه إيران في تبرير احتلالها بأنها قد استردت سيادة سابقة بعد ثمانين عاما من انتزاع بريطانيا للجزر الثلاث وتسليمها إلى رأس الخيمة والشارقة كما نص على ذلك البيان الذي أصدره رئيس الوزراء الإيراني عند إعلان نيا احتلال القوات الشاهنشاهية المسلحة لتلك الجزر في ٣٠ نوفمبر ١٩٧١ فهي بدورها مبررات واهية لأنها تفترض خضوع الجزر لإمارة القواسم في لنجة ومن ثم أصبحت تابعة تلقائيا لإيران منذ سقوط هذه الإمارة في أيدي الفرس في عام ١٨٨٩ . ومن الواضح أن تلك المبررات تتناقض تاريخيا مع ما سبقت الإشارة إليه من تبعية الجزر الثلاث لقواسم الشارقة ورأس الخيمة . وحتى إذا أخذنا بصحة الادعاءات الإيرانية من حيث التأكيد على أن تلك الجزر كانت تابعة لإمارة لنجة فإن ذلك لا يعطى لإيران حق المطالبة بها لأن قواسم لنجة كانوا يمارسون حكما عربيا مستقلا عن سلطة الحكومة الفارسية . فضلا عن ذلك فإن تصريح رئيس الوزراء الإيراني كان ينضوي في حقيقته على اعتراف ضمني بأن إيران لم تمارس سيادة فعلية على الجزر الثلاث خلال الثمانين عاما التي ورد ذكرها، وحتى إذا ما اقتصرنا على تلك السنوات فهي تعد في حد ذاتها كافية لتأكيد الحياة العربية الفاعلة . وعلى الرغم مما أثارته إيران من أن سيطرة العرب على تلك الجزر لا تعطى لهم الحق في المطالبة بالتقادم حيث أنها لم تتوان عن تقديم احتجاجاتها المستمرة ضد السيطرة العربية على الجزر

فإن تلك الاحتجاجات لا يعتد بها قانوناً لعدم اقترانها بالبحث فى أصول النزاع ومن ثم فهى لاتعدو كونها نوعاً من "الاحتجاجات الورقية" التى لا قيمة لها (١) .

ولعل المبرر الهام الذى استندت عليه إيران فى التأكيد على مشروعية احتلالها لبعض المواقع فى جزيرة أبو موسى هى الاتفاقية التى تمت بينها وبين إمارة الشارقة وإن كانت النظرة المتأنية فى الظروف التى سبقت توقيع تلك الاتفاقية تؤكد أن إيران قد فرضتها قسراً بتهديداتها المتواصلة لإمارة الشارقة باستخدام القوة العسكرية مما يضع الاتفاقية تحت دائرة الإكراه ويجعلها تنافى وقواعد القانون الدولى العام من حيث امكانية الاعتداد بها كوثيقة ملزمة للطرف المضار ناهيك عن إن إيران وليست الشارقة هى التى قامت بانتهاكها أخيراً (٢) .

لم تسفر ردود الفعل العربية والخليجية الناجمة عن رفض الاحتلال الإيرانى لجزر الخليج الثلاث عن نتائج إيجابية إذ لم تلبث أن طغت الاحداث العربية والاقليمية والعالمية على تلك المشكلة بما فى ذلك حرب أكتوبر ١٩٧٣ وأزمة الطاقة العالمية وتعاضم الدور الذى كانت تقوم به إيران لفرض هيمنتها وسعيها لى تكون أكبر قوة ضاربة فى منطقة الخليج . ومن ثم كان من الطبيعى بعد أن أطيح بالنظام الامبراطورى ابان قيام الثورة الإسلامية فى فبراير ١٩٧٩ أن يبدأ النظام الجديد صفحة جديدة فى العلاقات العربية الإيرانية خاصة منذ أن ظهر من التصريحات الأولى التى صدرت عقب قيام الثورة اتجاه قادتها إلى اسقاط نظرية التوسع الاقليمى التى كان ينتهجها الشاه مما كان يبشر بالأمل والتفاؤل (٣) . غير أنه لم تكد

(١) حسين القطيفى ، مرجع سابق ص ٧٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٤ .

(٣) محمد مرسى عبد الله ، مرجع سابق ، ص ٣٨٥ .

تمضى بضعة شهور حتى ظهرت النزعة التوسعية من جديد فى السياسة الإيرانية حتى وصل الأمر إلى تجديدها الادعاءات السابقة على البحرين والمطالبة باعادة النظر فى شأنها لأن موافقة المجلس الإيراني على استقلالها على عهد الشاه من الأمور التى لا تقرها الثورة الإسلامية (١) .

وقد أدت تلك التصريحات إلى إثارة قلق كبير لدى دول الخليج العربية التى أدركت أن النظام الثورى فى إيران لا يختلف فى توجهاته التوسعية عن النظام البهلوى السابق يضاف إلى ذلك ما روجه القادة الإيرانيون الجدد عن اتجاههم إلى تصدير الثورة إلى الدول المجاورة لهم مما جعل أهدافهم أكثر خطورة من أهداف الشاه الخاصة بأحياء الامبراطورية الفارسية القديمة (٢) . وكان لتلك التوجهات أثرها فى القلاقل التى نشبت فى بعض دول الخليج خاصة الكويت والبحرين والمملكة العربية السعودية ناهيك عن التهديدات الإيرانية باغلاق مضيق هرمز خلال الحرب العراقية الإيرانية بما يحتله هذا المضيق من حيوية بالغة (٣) ولم تجد محاولات الحكام العرب فى الخليج للحوار مع النظام الإيراني أى تشجيع نتيجة التصريحات الإيرانية التى بدأت تأخذ شكلا متشددا وأكثر عنفا (٤) .

(١) Halliday . F, op . cit., p.24 see also John Bulloch, A portrait of

Kuwait ,Qatr, Bahrein and the United Arab Emirates,london 1984, p . 52

(٢) محمد حسنين هيكل ، مدافع آية الله ، قصة إيران والثورة ، القاهرة ١٩٨٥ ، ص ٢٥١ .

(٣) نفسه ، ص ٢٥١ .

(٤) عن الأضرار التى ألحقها إيران بكل من الكويت والمملكة العربية السعودية انظر ، خطاب وزير خارجية الكويت فى الأمم المتحدة سبتمبر ١٩٨٧ ، والمذكرة السعودية الخاصة بقطع العلاقات مع حكومة الجمهورية الإسلامية الإيرانية ١٩٨٩ ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية العدد ٥٥ ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

غير أن التطورات السريعة التي حدثت على الساحة الخليجية بدءاً من نشوب حرب الخليج الأولى والاحتلال العراقي للكويت ونشوب حرب الخليج الثانية كان لها تأثيرها على قضية الجزر التي لم تعد في ظل توالى تلك الاحداث تشغل الرأي العام العربى أو الخليجى ومن ثم ظلت كامنة حتى تفجرت مرة أخرى بعد أن هدأت أحداث الخليج وبعد تراجع دور العراق السياسى والعسكرى وذلك حين أقدمت إيران على تطبيق سلسلة من الاجراءات الادارية بداية من مارس عام ١٩٩٢ استهدفت بها الانفراد بسيادتها على جزيرة أبو موسى حيث أصرت السلطات الإيرانية فى الجزيرة على مراجعة الهويات التى يحملها المواطنون والوافدون وقامت باغلاق المؤسسات التابعة لدولة الإمارات العربية المتحدة ونشر قواتها العسكرية فى القسم الخاص بالدولة مما أدى إلى مغادرة كثير من السكان للجزيرة فى الوقت الذى منعت فيه أيضاً دخول الوافدين العاملين لدى دولة الامارات العربية من خلال الميناء الذى أقامته فى القسم التابع لها ما لم يكن لديهم سمة دخول إيرانية كما ربطت بقاءهم فى الجزيرة بحصولهم على تأشيرات تحدد فترات إقامتهم ومن الواضح أن السلطات الإيرانية قد استغلت فرصة عدم وجود ميناء عربى لكى تنفرد باتخاذ تلك الاجراءات المقيدة لحركة المرور والاقامة فى الجزيرة (١) .

وعلى أثر تعنت السلطات الإيرانية فى تطبيق تلك الاجراءات دارت اتصالات بين دولة الامارات العربية وإيران انتهت باستثناء المدرسين من الحصول على تلك التأشيرات وعلى الرغم من ذلك فلم تكذ تنقضى أربعة أشهر وعلى وجه التحديد فى ٢٤ أغسطس ١٩٩٢ حتى عادت الأمور إلى التوتر مرة أخرى حين أقدمت السلطات الإيرانية على منع إحدى السفن التابعة لدولة الامارات من الوصول إلى

(١) مركز الدراسات السياسية - جامعة القاهرة ، ورقة عمل حول المشكلات الحدودية الراهنة فى

منطقة الخليج أكتوبر ١٩٩٢ .

الجزيرة بعد ثلاثة أيام من احتجازها في عرض البحر وتبع ذلك أن أعلنت إيران صراحة بأن الجزيرة بكاملها قد أصبحت تابعة لها وقامت بعد ذلك بإصدار التنظيمات الادارية التي جعلت من الجزر الثلاث محافظة إيرانية جديدة عاصمتها أبو موسى منتهكة بذلك الاتفاقية التي سبق أن عقدها مع إمارة الشارقة في نوفمبر ١٩٧١ بشأن تجميد وضع السيادة على تلك الجزيرة .

وقد ترتب على تصاعد حدة الموقف الإيراني أن أفصححت دولة الإمارات العربية المتحدة عن نزاعها مع إيران لما عدته من مساس بسيادتها الاقليمية خاصة وأن الوضع لم يعد قاصراً على مشكلة الجزر الثلاث وإنما أصبح يتعلق بالسلطة الاتحادية ذاتها إذ أن التغاضي عن الاجراءات الإيرانية سيجعل إمارتى الشارقة ورأس الخيمة على وجه خاص تشعران بضعف السلطة المركزية للدولة كما أن المجال سيصبح مفتوحاً لكى تسيطر إيران على جزر عربية أخرى خصوصاً تلك الجزر التى تحيط بها الحقول النفطية ولاسيما جزيرة داس التابعة لإمارة أبو ظبى . ومن ثم بادرت دولة الإمارات بطرح نزاعها مع إيران على المستويات الاقليمية والعربية والدولية بعد فشل المساعى التى قام بها وزير خارجيتها لاحتواء تلك الأزمة ولم يعد النزاع قاصراً على جزيرة أبو موسى فحسب وإنما امتد نطاقه بحيث شمل جزيرتى طنب الكبرى والصغرى السابق احتلالهما من قبل إيران فى الوقت الذى حاولت فيه إيران التعتيم على الأزمة باثارة موضوعات لا تمت إليها بصلة كاتهامها لدولة الإمارات بزيادة سقف انتاجها النفطى وخسارة إيران تبعاً لذلك لملايين من الدولارات ومطالبة دولة الإمارات أن تدفع لها تعويضات عن الخسائر التى منيت بها فى حربها مع العراق مما أعاد إلى الأذهان نفس الدعاوى التى كان يرددها النظام

العراقي ضد الكويت إبان عدوانه عليها فى أغسطس ١٩٩٠ .
ولعل مما تجدر الإشارة إليه أن دولة الامارات العربية تعاملت مع مشكلة الجزر باعتبارها قضية اتحادية وليست مشكلة خاصة بإمارة الشارقة أو رأس الخيمة ويبدو ذلك واضحا فى الرسالة التى بعث بها الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة إلى الرئيس الإيرانى فى ١١ مايو ١٩٩٢ والتى أكد فيها على اعتبار الاتفاقيات المعقودة بين أية إمارة من الامارات التابعة للدولة قبل الاتحاد وبين الدول المجاورة لها تعد اتفاقيات بين تلك الدول ودولة الامارات العربية المتحدة وكان ذلك ردا على محاولة إيران حصر الخلاف بينها وبين إمارة الشارقة حول جزيرة أبو موسى ورفضها التعامل مع دولة الامارات على اعتبار أن الاتفاق الخاص بتلك الجزيرة قد أبرم أساسا بينها وبين الشارقة وكانت إيران تهدف بذلك إلى عزل الشارقة عن السلطة الاتحادية للدولة والتعامل معها ضمن علاقات خاصة وغير متكافئة .
وقد وجدت دولة الامارات دعما لموقفها السياسى وحقوق سيادتها من كثير من المنظمات العربية والخليجية كما يظهر ذلك واضحا فى العديد من البيانات والقرارات التى صدرت خلال النصف الأول من سبتمبر ١٩٩٢ ومن بينها بيان جده الصادر عن مجلس التعاون لدول الخليج العربية وبيان الدوحة الصادر عن المجلس الوزارى لدول ميشاق دمشق وبيان القاهرة الصادر عن المجلس الوزارى لجامعة الدول العربية وقد استنكرت تلك البيانات جميعها الاجراءات التى اتخذتها إيران مؤخرا فى جزيرة أبو موسى لما تمثله من انتهاك لوحدة أراضي دولة الامارات وطالبت إيران باحترام مذكرة التفاهم مع الشارقة مع التأكيد بأن جزيرة أبو موسى أصبحت من مسئولية الحكومة الاتحادية والرفض التام لاستمرار الاحتلال الإيرانى لجزيرتى طنّب الكبرى والصغرى .

ونتيجة للدعم الذى تلقته الإمارات العربية من الدول العربية والخليجية حاولت إيران احتواء الموقف باعلانها بأنها سوف تصرح لمواطنى الشارقة بالاستمرار فى الإقامة داخل الجزيرة وأن الاجراءات التى اتخذتها لا تخرج عن كونها اجراءات أمنية مما يعنى أنها منحت لنفسها مسئولية الحفاظ على الأمن دون مشاركة دولة الإمارات وأكدت أن جزيرة أبو موسى جزيرة صغيرة لا تبرر تلك الضجة الكبيرة المفتعلة حولها متجاهلة أن الأمور المتعلقة بالسيادة الوطنية لا تقاس بالمساحة الجغرافية ، غير أنه إزاء تصاعد حدة الخلاف أخذت إيران توجه تحذيراتها للدول العربية بصفة عامة زاعمة أنه لو تم الأخذ بمنطق التاريخ فإن العرب سيكونون هم الخاسرين دون غيرهم وإنه إذا كان لابد من التمسك بمطالب تاريخية فإن من حق طهران العودة بمطالبها على البحرين بل وعلى أجزاء من العراق ، وطلبت من دولة الامارات والدول العربية المساندة لها ألا تقع ضحية لمخططات أجنبية مؤكدة أن تصعيد تلك الأزمة ليست سوى مؤامرة دبرتها بعض القوى الأجنبية لتبرير وجود قواتها العسكرية فى المنطقة فى إشارة واضحة إلى الولايات المتحدة الأمريكية بينما علل كثير من المراقبين أن اتجاه إيران للانفراد بالسيادة على جزيرة أبو موسى يرتبط بنائها لقاعدة بحرية عميقة من أجل الغواصات التى قامت بشرائها مؤخرا من روسيا ومن ثم أصبحت إيران هى التى تخلق المبرر والذريعة لاستمرار الوجود الأجنبى فى الخليج خاصة بعد أن أخذت فى تعزيز قواتها العسكرية فى الجزيرة وأقامت فيها بعض القواعد الصاروخية .

ومع تأزم الموقف بين إيران ودولة الإمارات العربية المتحدة حاول العراق رغم تردى أوضاعه السياسية والاقتصادية والعسكرية إحياء تقاليد المروثة فى الصراع مع

إيران ومحاولا فى الوقت نفسه التقارب مع دولة الإمارات العربية وذلك بتوجيه اتهاماته العديدة إلى إيران بأنها أصبحت تشكل خطرا على دول الخليج العربية . أما مصر وسوريا وهما الدولتان المشاركتان فى التوقيع على ميثاق دمشق فقد أعلنت كل منهما دعمها السياسى لدولة الإمارات وقام وزير خارجية سوريا بمحاولة للوساطة بين الجانبين أسفرت عن اجراء مباحثات فيما بينهما غير أن تلك المباحثات كان مقدرا لها ألا تصل إلى نتائج إيجابية حيث أخذت إيران تؤكد حتى قبل بدايتها بأن سيادتها على الجزر الثلاث بات أمرا مفروغا منه مما أوضح التناقض فى الموقف الإيرانى بين رغبتها فى تسوية النزاع وبين استمرارها فى فرض سيطرتها . وعلى الرغم من أن المباحثات بين إيران ودولة الإمارات قد أجريت بالفعل إلا أنها لم تلبث أن توقفت قبل اتفاق الطرفين على جدول للأعمال بينما حمل كل طرف الطرف الآخر مسئولية فشل تلك المباحثات إذا أوضح البيان الذى صدر عن دولة الامارات العربية المتحدة فى ٢٨ سبتمبر ١٩٩٢ إصرار الجانب الإيرانى على رفض مناقشة مسألة احتلال جزيرتى طنب الكبرى والصغرى أو إحالة المشكلة إلى التحكيم الدولى مما ترتب على ذلك تعذرا لاستمرار فى مناقشة المسائل المتعلقة بجزيرة أبو موسى ومن بينها التزام إيران بمذكرة التفاهم الخاصة بها وعدم التدخل فى ممارسة دولة الامارات لولايتها الكاملة على الجزء المخصص لها والغاء كافة التدابير والاجراءات التى وضعتها إيران على أجهزة الدولة فى أبو موسى وعلى مواطنيها والمقيمين فيها وحرص البيان على التأكيد بأن السيادة على الطنين كانت منذ أقدم العصور ولا تزال لدولة الإمارات العربية المتحدة إذ أن الاحتلال الناجم عن استخدام

القوة العسكرية لا يكسب الدولة المحتلة سيادة على الاقليم المحتل مهما طال الزمن (١) :
أما البيان الذى صدر عن وزارة خارجية الجمهورية الإسلامية الإيرانية فى ٢٩
سبتمبر ١٩٩٢ فقد حمل وفد الإمارات مسئولية توقف المباحثات لاصراره على
طرح مسائل ليست لها علاقة بالمسائل المطروحة حول جزيرة أبو موسى وقد حرص
البيان على التأكيد على أن طرح إدعاء السيادة على أية أرض فى المنطقة بمقدوره أن
يدخلها فى سلسلة جديدة من الادعاءات والخلافات مما سيكون له مضاعفات خطيرة
تضر بأمنها وتخدم الأطماع الأجنبية فيها (٢) .

وعلى أثر وضوح الخلاف بين الجانبين وتعذر التقريب بين وجهات النظر مضت
دولة الامارات العربية فى تحركاتها السياسية غير أنها كانت حريصة فى الوقت
نفسه على عدم الوصول بالمشكلة إلى حد القطيعة بينها وبين إيران ، وحاولت
إقناعها بأن استمرار احتلالها للجزر بدعوى منع التدخل الأجنبى تبرير واهى ولا
أساس له من الصحة لأن دولة الإمارات ترفض التدخل الأجنبى فى أراضيها وقد
حرصت دولة الامارات على التأكيد أيضا بأن الاحتلال الإيرانى للجزر لا يعطى
للدولة المحتلة سندا لممارسة سيادتها لأنه تم بالقوة العسكرية كما أن سنوات ذلك
الاحتلال لا يمكن مقارنتها بالفترة الطويلة لممارسة السيادة العربية على تلك الجزر
فضلا عن أن دولة الامارات لم تسكت عن هذا الاحتلال ولم تتنازل عن حقوقها

(١) انظر البيان الصادر عن دولة الإمارات العربية المتحدة فى ١٩٩٢/٩/٢٨ بشأن توقف
المباحثات مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية . ملحق (د) من الدراسة التى أعدها هيئة الاستعلامات
المصرية عن الخلاف بين دولة الإمارات العربية المتحدة وإيران ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص ٦٢ - ٦٣ .

(٢) انظر البيان الصادر عن وزارة خارجية الجمهورية الإسلامية الإيرانية حول جزيرة أبو موسى فى

٢٩ سبتمبر ١٩٩٢ ، المرجع السابق ، ص ٦٤ - ٦٥ .

ضمننا أو صراحة فضلا عن أن موقف الوطنيين فى تلك الجزر لم يشر علنا إلى قبولهم بالسيادة الإيرانية (١) .

وقد يكون من المناسب فى ختامنا لتلك الدراسة أن نصل إلى تقرير الحقائق التالية :
أولا : ليس من شك فى أن السلوك الإيرانى الأخير ضد السيادة الاقليمية لدولة الامارات العربية المتحدة قد أضعاف جهدا طويلا تم فيه بناء جسور من الصداقة بين إيران والدول العربية وقد قويت تلك الجسور نتيجة معارضة إيران للاحتلال العراقى للكربت حين أعلنت رفضها التوسع والاستيلاء على الأرض بالقوة وهو أمر أخذت فى ممارسته على الجزر العربية مما يتناقض مع ما ذهبت إليه .

ثانيا : انه لا ينبغى النظر إلى النزاع القائم حاليا بين دولة الإمارات العربية المتحدة وإيران على أنه مشكلة خاصة بدولة الإمارات وحدها وإنما يتعين النظر إلى ذلك النزاع باعتباره مشكلة تهدد الأمن الخليجى بصفة خاصة والأمن القومى العربى بصفة عامة .

ثالثا : انه على الرغم من أنه لا يوجد ثمة خلاف على أن الطرق المشروعة لاستعادة دولة الإمارات سيادتها ورد العدوان على أراضيها قد تصل إلى حد استخدام القوة للدفاع عن حقها الشرعى وهذا الحق يعود للدولة المعتدى على أراضيها كما يعود للدول الأخرى لاسيما الدول العربية التى قد تتطوع فى الدفاع الجماعى إلا أن استخدام هذا الحق المقرر قانونا قد يؤدى إلى الاخلال بالأمن فى المنطقة وقد يستغل من بعض القوى الأجنبية لتكثيف وجودها العسكرى فيها .

رابعا : ان استخدام بديل آخر للبديل السابق وهو أسلوب المقاطعة الدبلوماسية

(١) مذكرة من أبناء طنب الكبرى إلى الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الامارات العربية المتحدة

٢٤ ديسمبر ١٩٧٢ يعلنون فيها موقفهم برفض الاحتلال الإيرانى .

والاقتصادية لن يقدر له النجاح خاصة وأن هناك من الدول العربية والخليجية ومن بعض إمارات دولة الإمارات العربية ذاتها من له علاقات وثيقة مع إيران وحريصة على الحفاظ على علاقات حسن الجوار ، ومن ثم فليس هناك من سبيل سوى سلوك الطرق السلمية التى تمكن الدولة صاحبة الحق من ضمان سيادتها الاقليمية .

خامسا : إن ما أقدمت عليه إيران من انتهاك السيادة الاقليمية لاحدى الدول العربية فى الخليج يرجع إلى غياب قوة إقليمية فى المنطقة يمكنها أن توقف الأطماع التوسعية ومن ثم فإن الضمان الفعلى لمنع تكرار تلك الأزمات هو تطوير مجلس التعاون لدول الخليج العربية وزيادة فاعلية مؤسسات العمل العربى الجماعى حتى تكون قادرة على تأمين ردود فعل قوية ضد أى انتهاك للسيادة العربية .

وأخيرا فإنه مع التسليم بأن دولة الإمارات العربية المتحدة تمتلك القانون والشرعية إلا أنها لا تمتلك القوة القادرة على حماية سيادتها ومن ثم تبرز من جديد تلك القضية الشائكة وهى هل تأتى الحماية من الخارج كما حدث فى الأزمة العراقية الكويتية أم أن المنطقة قادرة على حماية سيادتها وثرواتها ... وإلى أن يتم حسم تلك المشكلة فليس هناك من مخرج سوى اللجوء إلى الشرعية الدولية والالحاح على رفض الاحتلال وهو ما لجأت إليه دولة الإمارات العربية المتحدة أخيرا حين أحالت النزاع بينها وبين إيران إلى هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولى وذلك للحيلولة دون اكتساب العدوان الإيرانى على أراضيها صفة الحيازة الفاعلة أو الهادئة كما حدث ذلك فى العديد من الأراضى العربية السلبية .

ولعل التجارب التاريخية السابقة كفيلة بتوعية العرب بخطورة التفريط فى حقوقهم المشروعة حتى لا تقع فى زوايا النسيان

المصادر والمراجع

أولاً : الوثائق - العربية

- بيان الأحزاب والمنظمات الوطنية فى العراق عن العدوان الإيرانى على جزر الخليج الثلاث ، ديسمبر ١٩٧١ .
- البيانات الرسمية الصادرة عن دولة الإمارات العربية المتحدة والجمهورية الاسلامية الإيرانية عن توقف المباحثات بشأن مشكلة أبو موسى والطنين سبتمبر ١٩٩٢ .
- تقارير الأمين العام لجامعة الدول العربية فى أدوار الانعقاد العادى لمجلس الجامعة والخاصة بمسألة الجزر .
- تقرير بعثة الجامعة العربية إلى إمارات الخليج العربى نوفمبر ١٩٦٤ .
- مذكرة من أبناء طنب الكبرى إلى رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، ديسمبر ١٩٧٢ .

- الأجنبية :

Aitchison . C . U

A Collection of Treaties , Engagements and Sanads
Relating to India and Neighbouring Countries vols x -
xi Calcutta 1892

- Bombay government.

Selections From The Records of Bombay
Government , vol xxiv . Bombay 1856

- Foreign office (united Kingdom)

- The Trucial chiefs B , 403 1908 - 1928

- Incident Arising out of Seizure of Dhow at Dubai
by Persian officials , July 1928

- Status of Islands of Tamb, Abu Musa and Sirri - -
Documents Showing rights of Trucial Coast of Arabs,
1929

- Question of Persian Purchasing Tamb from The
Sheikh of Shargah, 1929

- Island of Tamb - Position in regard to Anglo -
Persian Treaty negotiations , Proposed lease of Tamb
to Persian government, 1931

- Memorandum of Certain aspects of the Situation
- in the Persian Gulf between His Majesty's Govern-
ment in the United Kingdom and The Persian
Government , 1931

- Island of Tamb - alleged Persian attempts to obtain lease of Tamb and unsatisfactory behaviour of The Sheikh . 1932
- Memorandum of Persian Claim to Tamb and Abu Musa 1934
- Bahrein Intelligence report No 3 , 1935
- Government of India (Department of state)- Treaties and Engagments in force between the British Government and the Trucial Sheikhs of the Arab Coast , Calcutta , 1913
- India office
- Annual Report of Trucial Oman, 1935
- Precis of the affairs of the Persian Coast and Islands , 1854 -1905 , Calcutta , 1912
- United Nations official Records
- SecurityCouncil Provisional Records , ath December , 1971

ثانيا : المصادر والدراسات

أ - العربية :

- جابر إبراهيم الراوى :

الحق العربى فى الجزر العربية الثلاث وموقف القانون
الدولى من اكتساب الأقاليم عن طريق القوة . من أعمال
المؤتمر الدولى للتاريخ ، بغداد ، مارس ١٩٧٣ .

- جمال زكريا قاسم :

- الخليج العربى ، دراسة لتاريخ الإمارات العربية فى
عصر التوسع الأوروبى الأول ١٥٠٧ - ١٨٤٠ ،
القاهرة ١٩٨٥ .

- الخليج العربى ، دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠
- ١٩١٤ ، القاهرة ١٩٦٦

- الخليج العربى ، دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٩١٤
- ١٩٤٥ ، القاهرة ١٩٧٣

- الخليج العربى ، دراسة لتاريخه المعاصر ١٩٤٥ -
١٩٧١ ، القاهرة ١٩٧٤ .

- مختارات من وثائق الكويت والخليج العربى المحفوظة فى
دور السجلات البريطانية ، جامعة الكويت ، ١٩٧٢ .

- الادعاءات الإيرانية فى الخليج العربى ، مجلة الجمعية
المصرية للدارسات التاريخية ، العدد العشرون .

- حسين بن علي الوحيدي الخنجي

تاريخ لنجة حاضرة العرب على الساحل الشرقي للخليج ،
دبي ، دولة الإمارات العربية المتحدة . ١٩٨٥ .

- روز هاريس زحلان

النزاع حول الجزر ، مجلة دراسات الخليج العربي والجزيرة
العربية ، جامعة الكويت ، إبريل ١٩٧٦ .

- سليم طه التكريتي

الصراع على الخليج العربي ، بغداد ١٩٦٦ .

- سيد نوفل

الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي - الكتاب
الثاني ، إمارات الساحل العماني ، معهد البحوث والدراسات
العربية ، القاهرة ١٩٧٢ .

- شفيق الرشيدات

عرستان ، الجزء العربي المفتصب ، من أعمال المؤتمر التاسع
لاتحاد المحامين العرب ، القاهرة ، فبراير ١٩٦٧ .

- صادق نشأت (ميرد آماد)

تاريخ الخليج السياسي ، مترجم عن الفارسية وتحقيق بدر
الدين عباس الخصوصي ، طبعة أولية ، الكويت ١٩٧٢ .

- عبد الله الأشعل

الاطار القانوني والسياسي لمجلس التعاون الخليجي، الرياض ١٩٨٣ .

- عبد الأمير محمد أمين

القوى البحرية العربية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر ، بغداد ١٩٦٦ .

- المصالح البريطانية في الخليج العربي ، مترجم ، مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، بغداد ١٩٧٧ .

- عبد الحسين القطيفي :

الجزر العربية الثلاث في الخليج العربي ، من أعمال المؤتمر الدولي للتاريخ ، بغداد ، مارس ١٩٧٣ .

- عبد السلام عبد العزيز فهمي

تاريخ إيران السياسي في القرن العشرين ، القاهرة ١٩٧٣ .

- عبد العزيز عبد الغني :

علاقة ساحل عمان ببريطانيا ، دراسة وثائقية في العلاقات التعاهدية ، دار الملك عبد العزيز ، الرياض ، ١٩٨٢ .

- عبد القوي فهمي

القواسم ونشاطهم البحري ١٧٤٧ - ١٨٥٣ ، رأس الخيمة ، دولة الإمارات العربية المتحدة ، ١٩٨٣ .

- فالح حنظل :

المفصل في تاريخ الإمارات العربية المتحدة ، جزآن ، نشر لجنة التراث والتاريخ - أبو ظبي ، دولة الإمارات العربية المتحدة ، ١٩٨٣ .

- **لؤى بحري**

الأطماع الإيرانية فى جزيرة أبو موسى ، بغداد ١٩٧٢.

- **لوريمر (ج . ج)**

دليل الخليج - القسم التاريخى ، مترجم ، سبعة مجلدات
الدوحة قطر ، ١٩٦٧.

- **لاندن (ر . ج)**

عمان منذ ١٨٥٦ ، مترجم ، القاهرة ١٩٧٠ .

- **هايلز (س . ب)**

الخليج ، بلدانه وقبائله . مترجم ، وزارة التراث القومى والثقافة
، سلطنة عمان ، ١٩٨٦.

- **محمد بهجت سنان**

الشخصية العربية للخليج العربى والاحتلال الإيرانى للجزر
العربية الثلاثة ، بغداد ١٩٧٢.

- **محمد حسنين هيكل**

مدافع آية الله ، قصة إيران والثورة ، القاهرة ، ١٩٨٥.

- **محمد عزيز شكرى**

مسألة الجزر فى الخليج العربى وموقف القانون الدولى، دمشق

١٩٧٢

- **محمد هرسى عبد الله**

دولة الإمارات العربية المتحدة وجيرانها ، الكويت ١٩٨١ .

- مركز الدراسات السياسية (جامعة القاهرة)

ورقة عمل حول المشكلات الحدودية الراهنة في منطقة

الخليج أكتوبر ١٩٩٢

- مصطفى عقيل

سياسة إيران في الخليج العربي على عهد ناصر الدين

شاه ، ١٨٤٨ - ١٨٩٦ الدوحة ، قطر ، ١٩٨٧ .

- نادرة نعيم زكي

دراسة حول الخلاف بين دولة الإمارات العربية المتحدة

وإيران ، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة ١٩٩٢ .

- نجيب رياض الرئيس

صراع الواحات والنفط (هموم الخليج العربي ١٩٦٨ -

١٩٧١) بيروت ١٩٧٣ .

- ويلسن (أرنولد)

تاريخ الخليج - مترجم - وزارة التراث القومي والثقافة ،

سلطنة عمان ، ١٩٨١

الأجنبية :

- Bulloch , John.

The Gulf , A portrait of Kuwait . Qatar , Bahrain and
The U . A . E , london 1984

- Curzon , George N.

Persia & The Persian Question 2 vols , london
1892

- Duke , Anthony John.

The Union of The Arab Emirates , prospects and
problems , Middle East Journal , Summer , 1972

- Fenelon , K , G.

The United Arab Emirates , an Economic and
Social Survey, London , 1973

- Halliday , Fred.

The Iranian Revolution in International Affairs,
Programme and Practice, Center for Contemporary
Arab Studies , Georgetown , washington D . C
Croom - Helm , london 1984

- Hawley , Donald.

The Trucial States , london , 1970

- Kelly , J .B

Britain and The Persian Gulf 1795 - 1880 London , 1968

- Low , Charles

History of the Indian Navy 1613 - 1863 , 2 vols
London 1877

- Niebuhr , Carsten.

-Travels Through Arabia and other Countries in the
East,Edinburgh 1792

- Description de l, Arabie , Copenhagen, 1772

-Owen , Roderick

The Golden Buble , Arabian Gulf Documentary
London 1957

- Palgrave, William Gifford .

- Narrative of a year's Journey through Central and
Eastern Arabia 1862 - 1863 , 2 vols, London 1865

- Personal Narrative of a Journey through Central
& Eastern Arabia , London 1877

- Sirriyeh , Hussain

Security and Stability in the Gulf , Background to
United States Policy , Center for Contemporary Arab
Studies , Croom - Helm , London , 1984

- Sykes ,Sir Percy .

A History Of Persia , 2 vols , London , 1951

- Whigham , N . J.

The Persian Problem , london , 1903

ثالثا : الدوريات العربية والأجنبية :

- سجل الآراء حول الوقائع السياسية في البلاد العربية ، دار الابحاث والنشر ، بيروت ، ١٩٧١ .

- مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، جامعة الكويت ع ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ١٩٨٩ .

- المجلة المصرية للدراسات التاريخية ، ع ٢٠ .

- Middle East Journal , Summer , 1972

**" امارة أبو ظبي
في عهد زايد بن خليفة "**

١٨٥٥ - ١٩٠٩

الدكتور / محمد حسن العيدروس

كلية الاداب - جامعة الإمارات

امارة أبو ظبي في عهد زايد بن خليفة

مقدمه :- نبذة عن التاريخ السياسي لامارة أبو ظبي

أولاً : اختيار زايد بن خليفة لتولى السلطة في امارة أبو ظبي

(أ) - حكم سعيد بن طحون وخلعه .

(ب) - اختيار زايد بن خليفة لحكم عام ١٨٥٥

(ج) - محاولة سعيد بن طحون استعادة الحكم عام ١٨٥٦

(د) تمرد ابن عرار في العين عام ١٨٥٨ .

ثانياً : تطور امارة أبو ظبي في عهد زايد بن خليفه

(١) - الاقتصاد :

(أ) - الغوص على اللؤلؤ

(١) جزيرة دما

(٢) جزيرة أبو ظبي

(ب) - اقتصاد اللؤلؤ

(١) دور القطاع الخاص في اقتصاد اللؤلؤ

(٢) دور القطاع العام في اقتصاد اللؤلؤ

(ج) الزراعة

(د) التجارة

(٢) - بناء قلعة الجاهلي

(٣) - التنظيم الادارى والسياسى

ثالثا : عوامل نجاح زايد بن خليفة فى حكمه واستقرار امارته

(١) - عدم وجود اسباب للمواجهة مع بريطانيا

(٢) - الصداقة التقليدية بين ابو ظبى وعمان

(٣) - خبرة زايد بن خليفة بشؤون الامارات العربية

رابعا : بعض ماقيل عن شخصية زايد بن خليفة

خامسا : وفاة زايد بن خليفة عام ١٩٠٩

امارة ابو ظبى فى عهد زايد بن خليفة

مقدمة : نبذة عن التاريخ السياسى لامارة ابو ظبى :-

ان التاريخ السياسى لامارة ابو ظبى بدأ فى عام ١٧٦٠ حين استوطنتها قبيلة البوفلاج تحت زعامة رئيسها دياب بن عيسى وقد تركز حكم البوفلاج من بنى ياس فى امارة ابو ظبى على مر السنين ^(١) ، ويعتبر شخبوط بن دياب هو المؤسس الاول لامارة ابو ظبى وقد حكم الامارة فى الفترة ما بين ١٧٩٣ الى عام ١٨١٦ اذ يقترن عهده بنقل مركز حكمه من واحة " ليوا " الى جزيرة أبو ظبى ويرجع نزوح بنى ياس الى أبو ظبى فى صيف عام ١٧٩٧ وتم اتخاذ هذه الجزيرة عاصمة لهم وبها اصبحوا يشكلون قوة بحرية يمارسون نشاطهم الملاحة فى الخليج العربى ، بينما بقى موطنهم الأصلى فى " ليوا " فى أطراف الربع الخالى ^(٢) ، وكان ذلك الاستقرار على ساحل الخليج العربى خطوة هامة لها تأثيرها الكبير على وضع الامارة السياسى والاقتصادى وفى عام ١٨١٦ تنازل الشيخ شخبوط بن دياب عن الحكم لابنه محمد الذى ظل يحكم الامارة مدة عامين ثم خلفه أخوه طحنون الذى حكم حتى وفاته عام ١٨٣٣ ^(٣) وتبعه أخوه الشيخ خليفة بن شخبوط ١٨٣٣ - ١٨٤٥ ، وخلفه سعيد بن طحنون ثم حكم ابن عمه زايد بن خليفة بن شخبوط جد حاكم ابو ظبى ورئيس دولة الامارات العربية المتحدة حاليا الشيخ زايد بن سلطان بن زايد بن خليفة .

أولا : اختيار زايد بن خليفة لتولى السلطة فى إمارة أبو ظبى

(أ) حكم سعيد بن طحنون وخلعه :

بعد نهاية حكم الشيخ خليفة بن شخبوط تولى سعيد بن طحنون حكم إمارة أبو ظبى خلال الفترة ما بين ١٨٤٥ الى ١٨٥٥ ، وطيلة هذه الأعوام تواترت على إمارة أبو ظبى سنوات قاسية فى مواجهة الأخطار الخارجية وكان سعيد صلبا وقويا فى مواجهتها وفى الدفاع عن حدود إمارته من الاعتداءات الخارجية (٤) .

واستطاع بحكمته ان يستميل الى جانبه قبائل النعيم والعوامر والظواهر وغيرها من قبائل المنطقة وقد اشتهر عنه انه كان قاضيا قديرا يفصل فى المنازعات بين مواطنيه طبقا لأحكام الشريعة الاسلامية وحفظ اصول الدين (٥) .

وتبدو قضية خلع سعيد بن طحنون مثيرة للجدل والنقاش ولكنه ليس مجال بحثنا ولكن سوف نورد روايتين عنها ، أحدهما للاستاذ فالح حنظل ويقول فيها : -
بأن أخوين من رعاياه اقتتلا فقتل احدهما الآخر وعندما جىء بالجانى الى سعيد ابن طحنون اصدر حكمه عليه بالاعدام وفقا للشريعة الاسلامية ، وتوسل اليه والده وابدى استعداداه لدفع الدية او الجزاء القضائى المادى الا ان سعيد أصر على تنفيذ حكم الاعدام وذهب ابواه يتوسلا بأعيان ووجهاء " بنى ياس " : للعفو عن القاتل ولكن جهود هؤلاء لم تنجح واصر سعيد على الاعدام وفى المدينة تجمهرت الناس وصاروا يتناقلون القضية ، ويبدو ان الأمر أخذ صورة تحد بين سكان أبو ظبى وبين الحاكم وفى ساعة من ساعات الغضب اصدر الشيخ سعيد امره بتنفيذ حكم الاعدام فى القاتل فأعدم ، مما أحدث هرجا ومرجا فى المدينة واستاء الناس من هذا الحاكم ولجأوا للسلاح وهاجموا قصر الحصن وتبادلوا اطلاق النار مع حاميته مما نتج عنه

هروب سعيد بن طحنون . (٦)

اما الرواية الثانية " للوريمر " والذي يقول فيها : -

انه عندما سأل " كامبل " المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى ، سعيد ابن طحنون عن سبب هربه فأجاب بأن جماعة من رعاياه كانوا قد ارتكبوا بعض العمليات الاجرامية وانه اصر على القصاص والعقاب من مرتكبيها ، وحدد هذه الجريمة بأنها وقعت لسفينة تابعة لتاجر بحرينى يدعى عبدالكريم وقد جنحت فى مياه خور العديد وان بعض افراد بنى ياس هاجموا السفينة وقتلوا عبدالكريم ورياتها ونهبوها ثم تبين انها من فعل احد الأخوين ولذا فانه عزم على قتل الجانى الشقيق الاكبر ، وبناء على وعد من سعيد بن طحنون بالايامه بأى ضرر جاء اخوه لمقابلته لكن سعيدا لم يتخلى عما نوى عليه ونفذ حكم الاعدام وقام الناس الى السلاح وبعد ان احتفى سعيد بن طحنون فى قلعته زمنا بادر الى الفرار واستقر بجزيرة " قيس " على الساحل الشرقى من الخليج العربى ومعه معظم ما يملكه من ماشية ومتاع (٧) . ويقال بأن سعيد قد قرر اتخاذ قرار مفاجىء وأمر عددا من حراسه ان يجهزوا له سفينته الخاصة وان يحملوها باحتياجاته الخاصة وان يملأ مخازنها بالطعام والزاد ، وفى نفس الليلة ترك مدينة ابو ظبى ومعه اخوه حمدان متجها الى جزيرة " قيس " وسكانها من القبائل العربية واوصى أخوه صقر بأن يتولى السلطة ومهام الحكم وقد يرجع ذلك الى شعوره بأنه اصبح غير مرغوب من شعبه اما سكان ابو ظبى فيبدو انه لم يشعر احد منهم بخروج سعيد حتى اقرب المقربين اليه ، وعندما توجه بعض رعاياه الى مجلسه كعادتهم كل يوم وجدوا اخاه صقرا يجلس مكان اخيه فى صدر المجلس واجاب بأن سعيد مصاب بمرض وحمى لا تمكنه من الحضور واستمرت

الامور كما هي دون ان يعرف احد الى أن وصلت سفينة احد تجار المواشى من الساحل الشرقى للخليج العربى الى مدينة ابو ظبى فاذا بأحد ركايبها يخبرهم بأن سعيد موجود فى جزيرة " قيس " وهنا ثار كبار اعيان البلاد ودخلوا الى مجلس صقر واجبروه على ان يعترف لهم بالحقيقة فلما اعترف لهم بما حدث فقرر زعماء بنى ياس اسقاط حكم سعيد بن طحنون ^(٨) وطلبوا من صقر ان يغادر مدينة ابو ظبى .

اما بريطانيا فكانت قد اعطت لنفسها الحق فى التدخل بالنزاعات المحلية حسب تفسيرها لمعاهدة الهدنة البحرية الدائمة لعام ١٨٥٣ ورغم ان هذه المعاهدة تتعلق بالمنازعات البحرية فيما بين الامارات الا ان دورها لم ينحصر فى هذا المجال بل راحت تتدخل فى الشؤون الداخلية للامارات من تنصيب حاكم او عزله بطريقة مباشرة او غير مباشرة حسب مصلحتها فقد نجد فى قضية الشيخ سعيد عندما تعرض لمشاكل داخلية تتعلق بامور السلطة وثار بعض افراد عشيرته المناوئين له ووقف رعاياه ضده . ولم تكن بريطانيا راغبة فى دعم سلطة سعيد الذى اصبح مهزوزا امام رعاياه وخشية من ان التدخل بجانبه قد يؤدى الى مزيد من التعقيد لوضعها فقد غضت النظر عما يجرى فى ابو ظبى ، حتى تم طرد سعيد وتولى زايد بن خليفه الحكم ولو ان بريطانيا تريد بقاء سعيد فى الحكم لعززت موقفه ولما تززع عن سدة الحكم ^(٩) .

(ب) : اختيار زايد بن خليفه للحكم عام ١٨٥٥ :-

وبعد ان هرب سعيد ثم اخوه صقر ، اجتمع كبار اعيان البلاد وقرروا اختيار زايد ابن خليفه ابن عم الحاكم المخلوع لتنصيبه حاكما على ابو ظبى وكان زايد وقتذاك لدى اخواله فى بلدة " اللية " فى الشارقة ^(١٠) واخواله من قبيلة " السودان " التى

كانت تحت زعامه خاله الشيخ عبدالله ابو الهول السويدي ، وذهب وفد رفيع المستوى من بنى ياس وقابل زايد واخبروه بقرارهم كمايد وبارك هذا القرار حاكم دوى سعيد بن بطى وهو اول من اعترف بحكمه ، وعاد زايد الى ابو ظبى وىرفقته اخوه ذياب والدته فتلقاه الشعب بالفرحة وفتحوا له ابواب قلعة الحصن واطلقت المدافع نيرانها بقدم زايد ابتهاجا بالحاكم الجديد (١١) .

وبذلك تكون قبيلة بنى ياس قد اختارت زايد بن خليفه لحكم الامارة عام ١٨٥٥ ، وقدر لهذا الحاكم الجديد ان يدير شؤون الامارة لفترة طويلة كماقدر له ان يقوم بدور كبير فى تاريخ ابو ظبى والامارات العربية (١٢) ، على أن عصر زايد لم يخل من احداث جسام اثرت فى تاريخ ابو ظبى فعندما تم اختياره خلفا لسعيد بن طحنون لم يجد الطريق ممهدا ولكنه استطاع بسياسته ودرأيته ان يذل العقبات التى اعترضته ويتخطى الصعاب (١٣) .

ويقول الكاتب البريطانى " كلود موريس " بأنه فى عام ١٨٥٥ برز فجأة رجل كتب له ان يصبح شخصية أسطورية حيث أعتبر بطل الامارات العربية فى أيامه هو زايد بن خليفه المعروف بزايد الكبير الذى تولى الحكم من عام ١٨٥٥ الى عام ١٩٠٩ لقد كان محظوظا خلال فترة حكمه بشكل ملحوظ ويرغم مواجهته كل العوامل المثبطة التى تواجه عادة الزعماء فى هذه البرية المجذبة الحارقة شق زايد الكبير طريقة بنجاح بعدما اصر على ان يكون حاكما وحالفه الحظ فى ذلك دوما (١٤) .

اما حمدى تمام فيقول : بأن زايد كان لايزال شابا فى العشرين من عمره عندما استلم مقاليد الحكم خلفا لابن عمه سعيد بن طحنون اذا اجتمعت لزايد وهو فى هذا

السن المبكر الشجاعة والرأى وحسن التصرف وقد حالفه توفيق كبير من الاستقرار والهدوء والتلاحم بين القبائل (١٥) . ويعتبر زايد من الحكام الذين حكموا اطول فترة فى تاريخ اماره ابو ظبى الى يومنا هذا (١٦) .

وبدا زايد بن خليفه بن شخبوط بن دياب بن عيسى بن نهيان بن فلاح مهام الحكم فى اماره ابو ظبى فى عام ١٨٥٥ وقضى ايامه الاولى فى ترسيخ قواعد الحكم وتوزيع المناصب فعين اخاه ذياب نائبا عنه فى شؤون الحكم كما سلم خاله عبدالله بالهول السويدي منصبا مهما ولم يعارض زايد فى حكمه الا ولدان من ابناء عمه وهما ذياب وسلطان اولاد هلال بن شخبوط اما اخوهما الثالث خليفه بن هلال فكان احد اعوانه المخلصين ووقف مع زايد بكل قواه (١٧) .

(ج) : محاولة سعيد بن طحنون استعادة الحكم عام ١٨٥٦ :

كان سعيد بن طحنون يعيش فى جزيرة " قيس " وفجأة قرر استعادة حكمه ولكن لماذا ؟ علما بأنه كان على اطلاع بمجريات الامور فى ابو ظبى بعد تولية ابن عمه الحكم ولذا فانه ادرك حقيقة فقدانه للسلطة والامارة مما دفعته الى استعادة الحكم مهما كان الثمن ولهذا فلا بد من ان يجد حليف قوى يساعده ويسنده فى العودة الى حكمه ، وتوجه سعيد بن طحنون الى الشارقة وبصحبتة اخويه صقر وحمدان وبعض السفن ونزل فى بلدة " اللية " وكان فى استقباله احد اصدقائه من شيوخ البومهير ويدعى مانع بن بطى المهيرى واخذ الاثنان فى العمل لاعداد الخطط اللازمة للهجوم على ابو ظبى والاستيلاء عليها وكان التخطيط دقيق ومحكم (١٨)

وعندما وردت انباء عن وفاة سلطان عمان سعيد بن سلطان البوسعيدى وهو على ظهر المدمرة البريطانية " كوين فكتوريا " فى طريقة متوجها الى زنجبار من مسقط

وكان بالقرب من سواحل جزر " سيشل " لفظ انفاسه الاخيرة ونقل جثمانه الى زنجبار ودفن هناك وكانت ابو ظبي ترتبط بعلاقات تقليدية خاصة مع عمان فمجرد ورود هذا الخبر قرر زايد الذهاب الى مسقط لتقديم تعازيه الى ابنه الذي تولى الحكم هناك السلطان تويني الذي كان يحكم عمان اثناء حياة والده وحتى وفاته ثم اصبح سلطان عمان (١٩) .

وتوقف زايد بن خليفة ليلة واحدة في دبي ضيفا على الشيخ حشر بن مكتوم ثم غادرها الى مسقط . وكان سعيد بن طحنون يترقب الفرصة المواتية له فعندما علم بغياب زايد الى عمان قام بتجهيز سفنه بمقاتلين من آل بومهير بقيادة مانع بن بطي المهيري متوجها نحو جزيرة ابو ظبي التي لم يشعر سكانها الا والسفن ترسو امام الجزيرة وينزل منها اعداد كثيفة من المهاجمين الذين باشروا باطلاق النيران على المارة الذين هربوا الى منازلهم (٢٠) .

وهكذا حدث الهجوم المفاجيء على مدينة ابو ظبي والتي لم يتوقع سكانها هذا الهجوم من قبل سعيد بن طحنون والذي قد اتخذ من الشارقة قاعدة له ، وكان اسطوله يضم ثلاث سفن صغيرة يملك منها واحدة والثانية كانت تابعة لاحد المالكين من جزيرة " قيس " والثالثة حصل عليها وجلبها من " ابو حيل " في الشارقة واستطاع سعيد ان يمتلك المدينة التي قام اتباعه بنهبها وحرقتها (٢١) .

وتوجه سعيد بن طحنون على رأس مفرزة نحو قصر الحصن الذي كان فيه ذياب ابن خليفة نائب الحاكم وشقيق زايد بن خليفة مع والدته وحرسه الخاص ، الذين قاموا باغلاق ابواب الحصن ووضع المتاريس وصعدوا الى الابراج وباشروا باطلاق النار على المهاجمين ورغم شدة الهجوم الذي شنه اتباع سعيد بن طحنون الا انهم لم

يتمكنوا من اقتحامه نظرا للبسالة التي ابداهها افراد حرس الشيخ ذياب بن خليفه ،
مما جعل المهاجمين يكتفون بحصارها ، ونادى المنادى فى اسواق مدينة ابو ظبى بأن
الحكم قد عاد لسعيد بن طحنون ، وفى صباح اليوم التالى تمكنت بعض السفن
التابعة لزاید بن خليفه من الهرب الى دبی وتم ابلاغ حاكمها الشيخ سعيد بن بطى
عن المعارك التى جرت وعودة سعيد بن طحنون الى ابو ظبى وكان سعيد بن بطى
طريح الفراش لمرضه فطلب من ابن اخيه حشر بن مكتوم استلام قيادة الجيش والقيام
بدوره لابلاغ زايد والتشاور معه حول هذه القضية وعلى الفور ارسل حشر مفارز
ودوريات للعثور على زايد بن خليفه واستطاعوا ان يجدوه وهو فى طريق عودته من
مسقط قرب بئر ماء يسمى " غفر " وكان برفقته عشرة رجال من حاشيته وحرسه
الخاص وابلغ رجال حشر لزاید عن مجريات الامور فى ابو ظبى وطلبوا منه الانتظار
فى موقعه لحين وصول النجدات من دبی وابو ظبى وفى مساء اليوم التالى وصل
حشر بن مكتوم على رأس جيش كامل الى موقع زايد ووضع الاثنان خطة للقيام
بهجوم معاكس لاسترجاع ابو ظبى وعندما وصلت تلك القوات الى مقربة من منطقة
" المقطع " التى لم يكن هناك جسر للعبور يربط البر والجزيرة امر زايد قواته بالاختباء
وعدم القيام بأية حركة حتى لا يكتشف أمرهم من قبل دوريات وحرس سعيد بن
طحنون والذين يقيمون فى البرج المقام فى " المقطع " ويفقد معه عنصر المفاجئة وهنا
ذكرت روايتان عن كيفية عبور زايد بن خليفه وقواته من البر الى ساحل
الجزيرة (٢٢) :-

(١) : الرواية الاولى تقول :

بأن الحرس وضابط منطقة " المقطع " كانوا من أنصار زايد بن خليفه فلما رأوه

أنسحوا له المجال فقامت قواته بعبور الحاجز المائي بين البر والجزيرة .

(٢) : اما الرواية الثانية فتقول :

بأن زاید استعمل حيلة بارعة عندما اوعز الى بعض افراد من رجاله الاقوياء بأن يعبروا الماء سباحة الى جزيرة ابو ظبي ويشعلوا النيران في أماكن متفرقة خلف نقاط المراقبة التي توجد فيها أبراج " المقطع " باتجاه العاصمة ولما تقدم زاید الى نقطة البرج اوقفته القوة الموجودة هناك فطلب مقابلة ضابط النقطة والذي فوجيء بوجود زاید ومعه قوات كبيرة من الجنود فنصحته زاید بعدم المقاومة وطلب منه ان ينظر خلفه وان يرى أبو ظبي قد امتلأت بالنيران فأخبره زاید بأن القسم الأكبر من افراد قواته قد عبروا ودخلوا المعركة وهاهى النيران وان مايراه من قوة ليس الا جزء قليل من تلك القوة فقدم الضابط خضوعه مع حرسه لزاید وعبرت قوات زاید ومعه الشيخ راشد بن مكتوم الى داخل جزيرة ابو ظبي .

وفى صباح اليوم التالى بعد صلاة الفجر اطلق زاید اشارة بدء الهجوم ودارت المعارك العنيفة فى المدينة وحول قصر الحصن قتل فيه مانع بن بطى المهيرى من اتباع سعيد بن طحنون فى حين تمكنت قوات راشد بن مكتوم من كسر طوق الحصار الذى فرضه سعيد بن طحنون على ذياب بن خليفه وافراد عائلته وحرسه فى الحصن كما دارت معارك عنيفة فى أزقة المدينة وشوارعها انهزمت فيه قوات سعيد بن طحنون ، وهرب البعض فى حين حاول سعيد الهرب تجاه البحر للوصول الى سفينته ولكن افراد زاید تمكنوا من سعيد واحاطوه ولم يعرفوا ماذا يفعلوا به فارسلوا احدهم ليخبر زاید وعندما علم زاید الذى كان يقاتل على ظهر فرسه فى وسط المدينة بأن سعيد مطوق فى البحر اسرع متجها اليه على فرسه وقبل ان يخرج من احد ازقه

المدينة والمؤدية الى الشاطيء ولشدة سرعة الحصان وضيق الازقة اصطدم بخشبة بارزة من احد الجدران فسقط زايد من شدة الصدمة بينما خرج حصانه تجاه الشاطيء بدونه فظن الذين كانوا يطوقون سعيد بأن زايد قتل فقاموا واطلقوا نيران بنادقهم على سعيد فأصابوه بعدة رصاصات قاتلة وكانوا من قوات دوى الموالية لزايد ، وبعدها تم القبض على أخوى سعيد وهما صقر وحمدان وكان سعيد قويا وبعد من ابرز واشجع المقاتلين ومن اهم اثاره الجامع الذى كان يسمى بمسجد " العتيبات " وهذا المسجد قد بناه سعيد بن طحنون ويعتبر اول مسجد جامع كبير يتم بناءه من الحجارة والاجر فى ابو ظبى فى تلك الفترة التى كانت تبنى مساجدها من الخوص وسعف النخيل وقد قام خلف بن عبدالله العتيبه بترميم المسجد حديثا ولذا سمي بمسجد العتيبات (٢٣) . ويقع الآن مقابل السفارة البريطانية بالقرب من سوق الخضار واعيد بناءه حديثا بعد هدم المسجد القديم .

وقد يكون للسلطان بن صقر دورا فى عملية استعادة السلطة للحاكم السابق لآبو ظبى فى محاولة اعادة سعيد للحكم ويقول المؤرخ البريطانى " لوريمر " : - " ولما فشلت هذه المحاولة وقررت السلطات البريطانية اعتبار العملية عدوانا بحريا من جانب شيخ الشارقة واعتباره مسؤولا مسؤولية الشريك عن ائتلافه لمدينة آبو ظبى ووقع معظمه بأيدى البدو من حلفاء الشيخ الموجود آنذاك فيها ممن كان استدعاهم لمعاونته فى الدفاع عن المدينة " (٢٤) .

وهذا يعنى ان لبريطانيا علاقة غير مباشرة ، وخاصة انها كانت على علم بخروج سعيد بن طحنون من جزيرة " قيس " ومجيئه الى الشارقة ثم الاستعدادات التى تمت للشيخ سعيد فى الشارقة بالقرب من الوكيل السياسى البريطانى ومن غير المعقول

انه لم يكن يعرف بتلك الاستعدادات وخاصة ان الوكيل كان يعرف كل صغيرة فى المنطقة كلها فكيف لا يعرف بمجريات الامور بالقرب من مقره فى الشارقة ثم انه غضت بريطانيا طرفها فى الفترة التى ابحرت قوات سعيد من الشارقة الى ابو ظبى ؟ الم تكن تعلم ؟ وسكوتها اثناء القتال الذى دار فى أبو ظبى وكذلك سكوتها عندما استقرت الاحوال للشيخ سعيد بن طحنون ، ولم تتحرك الا بعدما استعاد زايد ابن خليفه جزيرة ابو ظبى بمساعدة شيخ دهبى ومقتل سعيد ونظرا لفشل العملية وحتى لا تتهم بريطانيا بان تورطها قد يشير عداء زايد بن خليفة عليها فانها فرضت غرامة على الشيخ سلطان بن صقر ومن ناحية اخرى كانت غير راضية بسياسة الزعيم القاسمى تجاه التواجد البريطانى فى الامارات العربية وكانت تريد تأديبه بطريقة غير مباشرة واتهمته بتورطه فى القضية فى حين انها لم تمنعه او تحذره قبل اشتراكه كما هو المتبع فى العادة وكانت بريطانيا تحذر قبل قيام اى شيخ بأى نوع من العمليات وبالعالي فان بريطانيا اظهرت نفسها بأنها لم تكن راغبة فى تولية سعيد الحكم ولذلك اتهمت سلطان بن صقر بهذا العمل وفرضت عليه غرامة كبيرة .

ففى عام ١٨٥٧ قرر المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى الكابتن " جونز فيلكس " ايفاد بعثه الى ابو ظبى لتقصي الحقائق عن الاحداث التى جرت فى العام الماضى ووصلت تلك البعثة وباشرت عملها وشاهدت اثار الدمار والخراب فى ازقة وشوارع المدينة وتدمير سوق البلدة وجزءا من قصر الحصن (٢٥) .

كما استمعوا الى عدد من افراد السكان الذين اشتكوا من اصببت ممتلكاتهم بأضرار فادحة وانهم قد خسروا الكثير بسبب الهجوم الذى شنه سعيد ورجاله ثم قامت اللجنة باجراء التحقيقات اللازمة لمعرفة اسباب الهجوم والقوى التى ساندتها

وقد توصلت الى نتيجة بأن سلطان بن صقر كان وراء هجوم سعيد وبعدها ارسل المقيم البريطاني رسالة الى سلطان بن صقر يبلغه فيها بنتائج اللجنة (٢٦) . وفيها اتهامات موجهة اليه بمساعدته لسعيد بن طحنون ، ويخبره بأن الحكومة البريطانية قد حددت الغرامة التي يجب أن يدفعها الزعيم القاسمي ، مبلغ وقدره خمسة وعشرون ألف جنيه تدفع على أقساط على أن يعفى الزعيم القاسمي من بعضها اذا أثبت حسن تصرفاته حسب المفهوم البريطاني ولكن مسلكه ظل لا يبرر على الاطلاق انقاص شيء من الغرامة مما قررت معه الحكومة البريطانية الزام دفع المبلغ المقرر حتى آخر دفعة من تلك الاقساط في شهر مايو عام ١٨٦٠ (٢٧) .

(د) : جهود ابن عرار في العين عام ١٨٥٨ .

ومن اهم المشاكل الداخلية التي تصدى لها زايد بن خليفة بعد محاولة سعيد هو حركة التمرد التي شهدتها منطقة العين وكادت ان تنفصل عن ابو ظبي في عام ١٨٥٨ ، عندما حاول احد اكبر زعماء المنطقة وهو الشيخ ابن عرار استغلال فرصة الاضطرابات التي وقعت في ابو ظبي فأعلن الانفصال واستقلال مدينة العين والمناطق المجاورة لها وخضع له معظم زعماء المنطقة مثل الشيخ محمد بن احمد وكان على زايد ان يواجه هذه الحركة بحزم فتصدى لابن عرار وقاتله بشدة طيلة عام ١٨٥٨ ، وقد ارسلت اماره دبي بعض قواتها لمساعدة زايد في حربه ضد ابن عرار ووقعت خسائر كبيرة بين الجانبين ، كما قدم الزعيم النعيمي في البريمي الشيخ محمد ابن علي الحمود الشامي مساعدته لزايد ، وانتهت المشكلة عندما تدخل أحد وجهاء دبي السيد عبدالله بن حريز ، وبذل جهوده ووساطته لدى الطرفين فاستسلم ابن عرار بكرمه وجوده فقد قال احد الشعراء مادحا :- (٢٨)

حنت وتبغى ابن عرار يشيبها
بينها وبينه حزم مايدرى بها
والقصيدة كناية عن الشاعر نفسه فهو يحدث ابن عرار على لسان الناقة اظهار
لكرمه . اما بقية زعماء منطقة العين فان زايد لم يتعرض لصلاحياتهم الخاصة
وأقرهم فى مناصبهم فقد كان فى " الجيمى " احمد بن هلال وفى " المعارض "
محمد بن مانع وفى " الهيلى " سعيد بن سلطان ، وبذلك استقر الوضع فى منطقة
العين وعادت الى سيادة اماره ابو ظبى .

ثانيا : تطور اماره ابو ظبى فى عهد زايد بن خليفة

لقد شهدت اماره ابو ظبى فى عهد زايد بن خليفة تطورا ملحوظا فى شتى
المجالات وكانت سياسته فى رفع مستوى بلاده وتطورها واضحة ولجج فيها
فعلا (٢٩) ، حيث انتعشت التجارة بين مدن وموانى اماره ابو ظبى وبين جيرانها من
مدن وموانى الامارات العربية وعمان وايضا التجارة الخارجية بدرجة اقل وشهدت
الزراعة اثناء حكمه توسعا ملموسا فقد كان زايد يهتم شخصا بها ، كما ساهم فى
انجاز العديد من المشاريع وخاصة فى منطقة العين كماركز حكمه بالادارة القوية
والرجال المخلصين اما علاقته بالقوى المجاورة (٣٠) فقد شهدت الصداقة والاحترام
المتبادل اضافة الى شخصية زايد المرموقة بين قبائل المنطقة وسوف نتطرق الى هذه
الامور : -

(١) : الاقتصاد :

لقد كانت اقتصاديات الامارة فى تلك الفترة الزمنية بسيطة وتعتبر اقتصاد بدائى

يعتمد على الجهد الجسماني ولكن مع ذلك استطاع زايد بسياسته وحسن ادائه ان يشجع مختلف الأنشطة الاقتصادية في الامارة واستطاع ان يكيف امارته مع هذه الموارد الاقتصادية المتواضعة .

(أ) : الغوص على اللؤلؤ :

وعند التطرق بالبحث على اقتصاديات امارة ابو ظبي في عهد زايد بن خليفة تبرز التجارة والغوص على اللؤلؤ وبناء السفن من اهم مصادر الدخل الرئيسية بجانب الزراعة وتبرز صناعة اللؤلؤ في المقدمة لما كانت تساهم به بنسبة عالية في الدخل القومي لاقتصاد ابو ظبي .

وكانت صناعة اللؤلؤ في عهد زايد العمود الفقري بالنسبة للاقتصاد الوطني وكان يشتغل بصناعة اللؤلؤ بصورة مباشرة او غير مباشرة معظم سكان امارة ابو ظبي وان صناعة اللؤلؤ كانت تساهم بنسبة كبيرة من مجموع الدخل القومي ويأتي الباقي من القطاعات الاخرى كالزراعة والتجارة والرعى وصيد الاسماك .

وساهم العنصر النسائي في عملية الغوص ذاتها ولكن على نطاق محدود وخاصة بالنسبة لسكان الجزر القريبة من المياه الضحلة حيث كانت النساء تعمل بمعزل عن الرجال ، واقتصاد اللؤلؤ اقتصاد حر يلعب فيه القطاع الخاص الدور الرئيسي بينما يكون دور القطاع العام محدود . (٣١)

وكان سكان الامارة يعتمدون على دخل اللؤلؤ لشراء حاجياتهم الضرورية واليومية من الارز والشاي والسكر والبن والمنسوجات القطنية والملابس والخشب وهذه المواد غالبا ماكانت تستورد من السواحل الهندية ونتيجة للاستقرار الذي شهدته الامارة في عهد زايد انتعشت الحياة الاقتصادية وخاصة بالنسبة لتجارة

اللؤلؤ والتي كانت لها سوق رائجة فى عواصم الدول الاوربية والهند واصبح لآبو ظبى من السفن والصيادين فى مفاصات اللؤلؤ " والهيرات " (٣٢) اكثراً مما كانت تملكه آية امارة اخرى وكانت نسبة صغيرة فقط من الصيادين تتألف من المحترفين اما الغالبية العظمى فكانت من قبائل البدو التى تقطن مختلف المناطق والاراضى التابعة لامارة آبو ظبى (٣٣) . ومن اهم موانئ اللؤلؤ فى امارة آبو ظبى : -

(١) : جزيرة دلمأ :

كانت اهم واغنى " المفاصات " و " الهيرات " للؤلؤ فى الخليج العربى تقع فى المنطقة الممتدة بين سواحل آبو ظبى وشبه جزيرة قطر ، ونظراً لوقوع جزيرة " دلمأ " فى وسط هذه المنطقة فى مياه آبو ظبى الاقليمية فانها اصبحت تتمتع بمركز هام واهتمام خاص وكانت تعتبر من اكبر مراكز الغوص فى وسط " الهيرات " فى مياه الخليج العربى وكان يتم عن طريقها تقديم المؤن والاحتياجات الضرورية اللازمة لعملية الغوص ويقصدها كل من صائدى اللؤلؤ وتجاره بين فترة واخرى فى اثناء موسم الغوص للتزود بماء الشرب والطعام وبيع وشراء مآلديهم من اللؤلؤ وبذلك اصبحت جزيرة " دلمأ " من اهم مراكز تجارة اللؤلؤ فى الخليج العربى كما كان يلجأ اليها عندما تشتد الرياح لوقوعها قرب " الهيرات " او " المفاصات " .

وجزيرة " دلمأ " مأهولة بالسكان طيلة فصول السنة ولكن عدد سكانها يرتفع فى موسم الغوص ويتصاعد الى حوالى عشرة اضعاف السكان فى غير موسم الغوص ثم يعودون الى عددهم الطبيعى فى فصل الشتاء وينشط سوقها التجارى فى موسم الغوص فيقصدها تجار اللؤلؤ من مختلف انحاء الخليج العربى والدول القريبة مثل الهند وان حركة البضائع والتجارة بمختلف انواعها تنشط فى جزيرة " دلمأ " اثناء

موسم الغوص وتكاد تكون الجزيرة من اهم الموانى فى الخليج العربى لصيد اللؤلؤ وتجارته^(٣٤) بعد البحرين والكويت .

(٢) : جزيرة ابو ظبى :

تأتى جزيرة ابو ظبى فى المرتبة الثانية بعد جزيرة " دلمى " من حيث اهميتها فى التجارة والغوص على اللؤلؤ ويقصدها العديد من تجار اللؤلؤ فى موسم الغوص وقيمون فيها طيلة الموسم للمتاجرة باللؤلؤ فيما بينهم من جهة والمتاجرة مع تجار ابو ظبى من جهة اخرى ثم تأتى جزيرة " غاغة " ولكنها لاترقى فى الاهمية جزيرتى " دلمى " و " ابو ظبى " ^(٣٥) وهناك موانى يقصدها صائد اللؤلؤ للالتجاء والاحتماء من الرياح والعواصف فقط وهذه الموانىء والجزر غير مأهولة بالسكان واهمها " جزيرة دبية " ، " جزيرة غشا " ، " جزيرة الصير " ، " جزيرة حالة مبرز " ، " جزيرة زركوه " ، " جزيرة فشت " ، " جزيرة أزرنه " .

وقد بلغ عدد السفن العاملة فى اسطول ابو ظبى بالنسبة لسفن الامارات الاخرى حوالى ٤١٠ سفينة والشارقة ٣٦٠ سفينة ودبى ٣٣٥ سفينة ورأس الخيمة ٧٠ سفينة ولعجمان ٤٠ سفينة وكانت ابو ظبى تحتل الدرجة الخامسة فى الشراء وفى قوة الاسطول البحرى العامل فى الخليج العربى وعبر البعاز^(٣٦) .

(ب) : اقتصاد اللؤلؤ :

وينقسم اقتصاد اللؤلؤ الى القطاع العام والقطاع الخاص من حيث دوره فى تنمية الاقتصاد الوطنى والدخل القومى لامارة ابو ظبى .

١: دور القطاع الخاص فى اقتصاد اللؤلؤ:

ان اقتصاد اللؤلؤ اقتصاد حر ولذا فان القطاع الخاص يلعب دورا مهما، وان تجارة اللؤلؤ تعتمد على عاملى العرض والطلب مما جعل اسعارها عرضة لتقلب الارتفاع والانخفاض مما يعرض الاقتصاد القومى لعدم الاستقرار ، ويشكل الفرد العنصر الأكثر أهمية بالنسبة لاقتصاديات اللؤلؤ وكان يتراوح متوسط الدخل السنوى للفرد العامل فى صيد اللؤلؤ بحوالى ١٥٠ روبية هندية والتاجر كان يتراوح دخله السنوى ما بين ٥٠٠ روبية وألف روبية تقريبا (٣٧) .

٢: دور لقطاع العام فى اقتصاد اللؤلؤ :

ويأتى دور القطاع العام أو الحكومى فى اقتصاديات اللؤلؤ فى المرتبة الثانية ومع ذلك فان دخل الامارة الرئيسى يأتى مما يتم جمعه من الضرائب على صناعة اللؤلؤ وتفرض الحكومة سهم بحار واحد على كل سفينة بغض النظر عن الكبر او صغر السفينة وترسل الحكومة ممثلا عنها فى موسم الغوص الى الموانىء الرئيسة للؤلؤ ويقوم هذا الممثل بجمع ما يمكن جمعه من اموال عينية ومادية وخاصة من تجار اللؤلؤ كل حسب مقدرة المادية .

ويمكن القول بأن " مفاصات " اللؤلؤ فى ابو ظبى كانت مسموح بها لجميع العاملين فى الغوص سواء كانوا من امارة ابو ظبى او خارجها ولا يحق لأى فرد او قبيلة ان تستأثر بأحد هذه المفاصات دون غيرها ويدفعوا مبالغ معينة كضريبة الدخل الى ممثل حاكم ابو ظبى والذي كان يتخذ من جزيرة " دلمة " مقرا له ، وهذا ماأضاف عوائد جديدة للدخل القومى وساعد على نمو وازدهار امارة ابو ظبى الى جانب الجهود الذى بذلها زايد بن خليفة فى الحفاظ على هذه المكانة الاقتصادية لعملية

الغوص واستخراج وتجارة اللؤلؤ حتى أصبح هذا العصر الذهبي لتجارة اللؤلؤ (٣٩) .
وكان يقال بأن أحسن أيام الرفاه والرخاء الذى عم ابو ظبى فى تاريخها كان
يعرف باسم عهد صيد اللؤلؤ او عصر اللؤلؤ وظهر فى الواقع خلال النصف الثانى
من حكم زايد بن خليفة واستمر هذا العصر المزدهر اثناء عهد ابنائه الذين خلفوه فى
الحكم واستمروا فى تشجيع وتطوير هذه الصناعة واعداد السفن وامتدادها بالرجال
ذوى الخبرة بالغوص (٤٠) .

(ج) : الزراعة :

تعتبر الزراعة من أقدم المهن فى ابو ظبى وخاصة فى منطقة العين وفى واحات "
ليوا " حيث التربة الصالحة للزراعة وتتوفر المياه العذبة للرى . ومنطقة العين الاولى
من حيث اهميتها للزراعة وكان سكانها يعملون بالزراعة اثناء حكم زايد من
النصف الثانى من القرن التاسع عشر بالطرق القديمة حتى بداية النصف الثانى من
القرن العشرين حيث اصبحوا بعدها يستخدمون الآلات الحديثه.
وتزرع فى ابو ظبى أنواع عدة من الاشجار والنباتات تتناسب والظروف الطبيعية
والمناخية ونوعية التربة ، واهم هذه الاشجار النخلة واهم النباتات البرسيم فالنخلة
كانت اولى الاشجار التى زرعت منذ القدم فى أمانة أبوظبى وخاصة منطقة العين
و" ليوا " . وفى عهد زايد بن خليفة كان السكان يعملون فى زراعة النخيل فى
أماكن محدودة مثل واحات " ليوا " التى قدر بها ثلاث وثلاثون الف نخلة وقرى
منطقة العين حوالى ثلاثون الف نخلة تقريبا (٤١) .

وكان زايد بن خليفة محبا للزراعة وذلك تمشيا مع تقاليد الأسرة فى رعاية شؤون
الزراعة والرى فى منطقة العين وخاصة منطقة الجاهلى وعلى الحدود الجنوبية الغربية

وهي منطقة صالحة للزراعة اضافة الى مناطق اخرى ولذا قام بانشاء بعض المزارع هناك كما نشطت مجموعات من قبائل ابو ظبي وخاصة بنى ياس والعوامر والظواهر في بناء المزارع والبساتين وتعمير المنازل في منطقة العين ونمت هذه المنطقة بسرعة في عهد زايد الى درجة اصبحت معها تنافس مدينة البريمي العمانية المجاورة لها ، وقرر زايد تقوية نفوذه واعطاء المنطقة اهمية فقام ببناء " حصن الجاهلي " وسط مزارع وقرى منطقة العين^(٤٢) .

وقام زايد باعادة حفر " الجاهلي " الدائري المندثر وقد استمر العمل في اصلاحه ستة عشر شهرا ، كما أنشأ ابنه الأكبر الشيخ خليفه بن زايد مزرعة ومستوطنة جديدة غرب قرية " الهيلي " واطلق عليها اسم " المسعودي " وحفر لها فلجا هو فلج " المسعودي " وقد استمر هذا الفلج حوالي اربعة عشر شهرا^(٤٣) .

(د) : التجارة :

كان سكان ابو ظبي يمتهنون التجارة منذ القدم ويرجع ذلك الى طبيعة اماره ابو ظبي وموقعها على الخليج العربي بشواطئ طويلة تصل الى حوالي ٥٠٠ كيلو متر اضافة الى الجزر العديدة المتناثرة في مياه الخليج العربي والتي كان بعضها مأهولة بالسكان ، وكانوا يمتلكون الاساطيل التجارية الشرعية ونقلوا عليها بضائعهم المحلية مثل اللؤلؤ والاسماك المجففة والتمور والجلود الى البلدان المجاورة ، ومقابل ذلك كانت تعود منها حاملة لابو ظبي ما تنتجه تلك البلدان من مواد غذائية ومنسوجات قطنية ، وكانت تجارة اللؤلؤ تشكل العمود الفقري بالنسبة للتجارة الخارجية^(٤٤) لامارة ابو ظبي في عهد زايد بن خليفه .

اما في المناطق الداخلية فنظرا لارتباطهم بالزراعة وخاصة منطقة " العين " و

ليوا" فانهم كانوا يتاجرون بالمنتجات الزراعية مع سكان السواحل والبلدان المجاورة لامارة ابو ظبي وكانت قوافل الجمال هي الوسيلة الرئيسية لنقل منتجات تلك المناطق الى المناطق الاخرى التي تحمل التمر والفحم النباتي والمنتجات الزراعية وتعود محملة بالبضائع المستوردة من الخارج الى الموانئ الساحلية اضافة الى منتجات المدن الساحلية مثل الاسماك المجففة والسكان البدو الرحل فقد كانوا يمتنون الرعى ولذلك تاجروا بالابل والاغنام والماعز والجلود والوبر والصوف ومن اهم الاسواق الرئيسية في اماره ابو ظبي : سوق مدينة ابو ظبي وسوق مدينة العين وتتم فيها المتاجرة بين السلع المستوردة من الخارج والمعدة للتصدير، وكانت تفرض بعض الرسوم الجمركية التي لا تتعدى ٢٪ على البضائع المستوردة اما البضائع المصدرة فكانت معفاة من كافة انواع الضرائب . (٤٥)

(٢) : بناء قلعة الجاهلي :

اهتم زايد بالبناء والعمران حيث اقام العديد من الحصون والقلاع وغيرها من المرافق العامة وقام باصلاح وتجديد الاقلاج وجعل عليها شبكة ري للمزارع والبساتين ومن اهم اعماله في فن البناء والعمارة هو تشييد وبناء قلعة " الجاهلي الكبير " والتي استغرقت بنائها عدة اعوام وقد افتتحها زايد رسميا وسجل على مدخلها تاريخ البناء عام ١٣١٦هـ الموافق ١٨٩٨ م وكتبت هذه الابيات على مدخل القلعة (٤٦) :

فتح باب الخير في باب العلا هل فيه السعد وبالعليا المنيفه

فتهان العز قالت ارخو دار جد شاد زايد بن خليفه

(٢) : التنظيم الاداري والسياسي :

لقد اهتم زايد بن خليفه بالشؤون الادارية والسياسية وكان يعتمد على الرجال

المخلصين له فى مختلف المراكز وفى بداية حكمه كان يعتمد على اخوه الشيخ ذياب بن خليفه وابن عمه خليفه بن هلال ، ولكن بعد مقتله فى معركة الجرف عام ١٨٧٣ ، أصبح يعتمد كثيرا على ابنه الاكبر الشيخ خليفه بن زايد فى جميع الامور الداخلية كما انه تولى قيادة جيش ابو ظبى فى كثير من المعارك المهمة وخاصة المعارك التى كانت مع قطر وكان زايد يعتمد على ابنه خليفه فى المهمات السياسية الخاصة الى حكام الامارات العربية وسلاطين عمان فى مسقط وايضا فان الشيخ خليفه بن زايد لعب دورا كبيرا فى حل الخلافات والمنازعات التى كانت تنشب بين القبائل ولسمعته بينهم قانهم كانوا يستجيبون لنصائحه واقواله ويمكن القول بأن خليفه كان الساعد الاول والايمى اثناء فترة حكم زايد بن خليفه اما الرجل الثانى بعد الشيخ خليفه فقد كان احمد بن هلال والذى شغل منصب والى منطقة العين ومثلا لزايد ، وكان يعتمد عليه زايد فى كثير من امور تلك المنطقة ومعظم المراسلات كانت تتم عن طريقه وانه كان همزة الوصل بين زايد ومقر الحكم فى مدينة ابو ظبى ومنطقة العين والمناطق الشمالية من عمان.

واستمر فى منصبه حتى مجىء حكم حفيده الشيخ شخبوط بن سلطان بن زايد ابن خليفه.

ثالثا : عوامل نجاح زايد بن خليفه فى حكمه واستقرار امارته :

لقد امتد حكم زايد لفترة طويلة حوالى نصف قرن من عام ١٨٥٥ الى عام ١٩٠٩ ، وذاع صيته ليس فى الامارات العربية وانما خارجها^(٤٧) . ووصلت اماره ابو ظبى فى عهده اقصى درجات اتساعها ونفوذها وامتد سلطانه على الساحل حتى خور العديد غربا اما فى الداخل فكان سلطان عمان قد فوضه لادارة اراضيه

فى اقاليمه الشماليه مثل الظاهره فوصل نفوذه حتى مدينه " عبرى " وبذل زايد جهوده لتحقيق تحالف بين قبائل وحكام الامارات العربيه تحت لوائه وكاد ينجح لولا تنبه الحكومه البريطانيه لاتساع نفوذه وخططه فى الامارات العربيه فوقفت فى وجه زايد وضد طموحاته لتحقيق الوحدة وافشلتها بريطانيا لرغبتها فى ابقاء الحاله القائمه من التجزؤ والتمزق كماهى عليه الحال وكان زايد قد ورث اماره تنمو وتتسع وتهيأله الى جانب ذكائه وقوة شخصيته وشجاعته وفروسيته^(٤٨) ، عدة عوامل للنجاح مما تركت بصماته واضحه فى تاريخ الامارات العربيه الحديث وهى كمايلى :

(١) : عدم وجود اسباب للمواجهه مع بريطانيا :

لم تكن هناك اسباب للمواجهه بين ابو ظبى وبريطانيا فى البحر كتلك التى حدثت بين القواسم وبريطانيا فى الوقت الذى شكلت قبائل ابو ظبى قوة برية فى " الظفرة " و " العين " ومنطقه " اكدن " جنوب " ليوا " وكان القواسم فى صدام مع البريطانيين فى الخليج العربى فى اوائل القرن التاسع عشر ، سببا فى اضمحلال نفوذهم وتجزؤ امارتهم كان نشاط قبائل ابو ظبى بعيدا عن الصدام مع البريطانيين ، احد اسباب نموهم كقوة برية محليه كبيره فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر تحت زعامة زايد^(٤٩) ، ويقول " كيلى " :- " ان قبائل ابو ظبى كانوا يمثلون مصدر القوة للبوفلاج ولذا فعندما شرعت القوة البحريه للقواسم تتضاءل فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ظلت القوة العسكريه " للبوفلاج " سليمه لم تتأثر ووصلت هذه القوة ذروتها فى عهد زايد بن خليفه " (٥٠) .

(٢) : الصداقه التقليديه بين ابو ظبى وعمان :

لقد ورث زايد عن اجداده العلاقه والصداقه التقليديه عبر الاحداث التاريخيه مع

سلاطين عمان ، فبينما كان القواسم منذ نشأتهم فى عداء شديد مع حكام وسلاطين البوسعيد فى عمان ، كان " البوفلاج " اصدقاء لهم وفى الوقت الذى كان القواسم يمثلون زعامة الحزب الهنائى المتحالف مع حكام عمان وكانت للصدقة الشخصية والقوية بين زايد وفيصل بن تركى سلطان عمان دورها فى اتساع نفوذ زايد بين اقاليم عمان الشمالية فى " الظاهرة " وحتى بادية الامارات وذلك عندما اسند سلطان عمان ادارة تلك الاراضى لزايد بن خليفة حتى مدينة عبرى كما هيأت الأحداث الكبرى لزايد فى وسط وشرق الجزيرة العربية الامن فى منطقة البريمى الذى ساعده على انجاز بعض طموحاته فى الامارات العربية ويقول " د . مرسى " (٥١) :-

" لقد ربط القواسم تاريخهم وازدهارهم مع الحركة الاصلاحية ودولة آل سعود فى نجد لهذا ما أن سقطت الدرعية عام ١٨١٨ حتى كانت الحملة البريطانية تدك قاعهم عام ١٨١٩ اما " البوفلاج " فقد اكتسبوا اسما لمقاومتهم هم واهالى ابو ظبى وهم قليلو العدد - جحافل الحملات السعودية وقد ساعدت اماره ابو ظبى صحراؤها الواسعة الممتدة فى التغلب على القوات السعودية وهى تعبرها فى طريقها الى عمان ومن ابرز مواقعهم مع السعوديين معركة العانكة ١٨٤٩ أيام الشيخ سعيد ابن طحنون وقد عاصر الشيخ زايد بن خليفة فترة افول الدولة السعودية الثانية الذى بدأ بوفاته اميرها فيصل بن تركى عام ١٨٦٥ وانتهت هذه الدولة فيما ترك الامير عبدالرحمن بن فيصل وابنه عبدالعزيز الرياض لاجئين الى الكويت عام ١٨٩٢ ."

(٣) : خبرة زايد بن خليفة بشؤون الامارات العربية :

ان اقامة زايد فى الامارات الشمالية وخاصة فى دبی والشارقة اكسبته معرفة كبيرة بتلك المناطق فى ايام صباه الاولى وفى شبابه مما كان له ابلغ الاثر فى اكتساب

الخبرة والحنكة السياسية نظرا لاختلاطه بالشيوخ والتجار والموظفين البريطانيين مما انعكس ذلك عليه بعد تولى مقاليد الحكم والادارة فى اماره ابو ظبى خلفا للشيخ سعيد بن طحنون فان زايد لم يجد الطريق ممهدا ولم يخل عصره من احداث جسام اثرت فى تاريخ الامارة ولكنه بحنكته ودرايته السياسيه استطاع ان يزيل تلك العقبات ويتخطى الصعاب باقامة علاقات الصداقة مع القواسم^(٥٢) .

ففى البداية حدث صدام بينه وبين القواسم وقتل فيها الشيخ خالد بن سلطان اثناء مبارزته مع زايد وكان الشيخ خالد من اعلام حكام القواسم وفارسا من فرسانهم وكانت هذه بداية الصعود لنجمه^(٥٣) ، واستطاع بعدها ان يعقد حلفا وصداقة قوية مع القواسم والتي استمرت طوال فترة حكمه . كما ورث زايد الصداقة والعلاقة المميزة مع حكام دى من " البوفلاسه " الذين كانوا عضدا له فى ايام الشدة والازمات وكان زايد خير عون لهم وساعدهم فى جميع احتياجاتهم . وبهذه العوامل استطاع زايد بن خليفه ان يصبح من اقوى حكام الامارات العربية فى تلك الفترة وبحكم هذه المدة الطويلة ويسود عهده الامن والاستقرار والنمو والتقدم ليس فى اماره ابو ظبى وانما فى معظم ارجاء الامارات وسلطنة عمان وهذا راجع الى سياسته وحكمته فى شؤون تلك المنطقة .

رابعا : بعض ما قيل عن شخصية زايد :

لقد قيل عن شخصية زايد الكثير من قبل ابناء المنطقة وشیوخ القبائل وحكام الامارات والاداريين والمسؤولين البريطانيين وغيرهم ولكننا سوف نعرض هنا بعض ما قيل عن هذه الشخصية من قبل المؤرخين والكتاب الذين كتبوا فى التاريخ الحديث عن المنطقة والبعض منهم عاصره فى تلك الفترة وفى ما يلى هذه الاقوال :-

١ = يقول الكاتب اليمنى عوض العرشانى (٥٤) :

" لقد لعب دورا بارزا فى حياة ابو ظبى القبلية والسياسية والمشىخات المجاورة وقد صاهر لاسباب سياسية مجموعة من قبائل الساحل العمانى وكان مشهورا بالقوة والشجاعة والحزم والجود والكرم والسماحة والحلم والشهامة والرحمة وتلك من الصفات العربية الحميدة التى اتسم بها اجداده العرب وهذه الصفات المعنوية بالاضافة الى الصفات الجسدية المتمثلة بضخامة الجسم وكثافة اللحية وطوله الفارع".

٢ = اما "جون دانيال" الذى كتب عن امارة ابو ظبى فيقول :- (٥٥)

" يعتبر زايد بن خليفة من اعظم الحكام فقد حكم اطول فترة فى تاريخ امارة ابو ظبى وحافظ على وحدة اراضى امارته من أية اعتداءات خارجية " .

٣ = اما العقيد " هايلز" المعتمد السياسى البريطانى فى مسقط فقد قام

فى عام ١٨٧٥ بزيارة الى واحة البريمى ليضيف دليلا جديدا الى الدلائل الكثيرة القائمة على مدى قوة زايد الكبير فقد ارسل تقريرا الى لندن جاء فيه (٥٦) :-

" ان القبيلة الرئيسية هى قبيلة بنى ياس وان رئيسها الشيخ زايد بن خليفة وهو رجل قوى الشخصية وهو الرجل الوحيد الذى يتمتع حقيقة بالنفوذ والسلطة فهو وقبيلته يتزعمان كل المناقشات فى البريمى " .

٤ = ويذكر لنا " بيرسى كوكس " الذى عاصر زايد وكان معتمدا

سياسيا فى مسقط فى عام ١٩٠٢ ثم اصبح مقيما بريطانيا فى الخليج العربى وقد زار ابو ظبى مرتين عندما اصبح مقيما والتقى فى المرتين بزايد فيقول : (٥٧)

" نعتقد ان زايد يقوم بعمله بارادة الله وان الايمان وحده هو مصدر قوته وحالفه

الحظ كما حالف اسلافه فى تقويم الانكليز الصابرين لقوته وكان اكثر حظاً فى منازعاته او مصاعبه المحلية القليلة مع جيرانه السعوديين حول واحة البرمى الواقعة على حدود عمان وابو ظبى والعربية السعودية لقد بنى زايد الكبير نفوذ بنى ياس فى هذه الواحة مع ان هناك قبائل اخرى أكبر عددا كانت تدفع الجزية راضية لزايد". ثم يقول :

" ظل زايد الكبير ابرز حاكم فى شرق الجزيرة العربية لثلاثين سنة وامتد نفوذه فى كل الاتجاهات وحالف الحظ ايضا بنى ياس عموماً عندما بدأ زعماء القبائل البعيدة عنهم اميالا يطلبون وساطة زايد الكبير فقد عرف انه رجل ذو صداقات كثيرة بين البدو وانه صديق الجميع واستمد قوته باستمرار من اصوله وكان يتمتع بعاطفة عفوية طبيعية تجاه المعوزين والمضطهدين وقد جنى بنو ياس الخير من امتنان القبائل الاخرى له " .

٥ = ويقول " كلارنس مان " والذي عاش فى الشرق الاوسط وهو ضابط ومؤرخ امريكى (٥٨) :

" بأن الشيخ الحالى لابوظبى ، زايد بن خليفة يحكم اماره حدودها مترامية الاطراف وهو اقوى شخصية فى امارات الساحل المتصالح ويمتد سلطانه الى البرمى وعبرى فى سلطنه مسقط ثم يقول :-

" كان الشيخ زايد من الحكام الذين يزداد سمعتهم فى الشرق الاوسط فى تلك الفترة " .

٦ = اما المؤرخ البريطانى " جى . بى . كيلس " فيقول (٥٩) :

" بأن الطبيعة المطلقة لصلاحيات زايد فى المناطق الواقعة بين " الظفرة " و
" الظاهرة " لم تتعرض لتحدى فى السنوات الثلاثين الاخيرة من حكمه باستثناء
هجمات شيخ قطر على " ليوا " فى الثمانينات من القرن الماضى وعودة آل سعود
الى الحكم فى نجد فى نهاية القرن . ولم يسبق لأى من حكام البوفلاج او غيرهم من
شيوخ الساحل ان يمارس نفس السلطان الذى وصل اليه زايد فى شرق الجزيرة
العربية ولا يرجع السبب فى هذا الى شخصية الشيخ زايد وكفايته وحدهما ولا الى
الظروف المحددة لهذه الفترة كعدم وجود قوة وهابية طاغية فى نجد وانما يرجع الى ان
ابو ظبى كانت دائما القوة الاقليمية القيادية بين مشيخات الساحل .

٧ = ويقول " حمدى زمام " مؤلف كتاب القائد والمسيرة :- (٦٠)

" ولقد قدر لهذا الحاكم ان يدير شؤون اماره ابو ظبى مدة طويلة ما بين (١٨٥٥ -
١٩٠٩) كما قدر له ان يقوم بدور كبير فى حياة اماره ابو ظبى او فى تاريخ
ساحل عمان حتى لقبه الجميع اجلالا وتقديرا " بزايد الكبير " بعد ان اصبح بلامنازع
اقوى شيوخ الامارات المتصالحة وتقدمت البلاد فى عهده الى مصاف القوى الكبرى
بفضل ادراكه للمتغيرات السياسية فى المنطقة " .

خامسا : وفاة زايد عام ١٩٠٩

وفى عام ١٩٠٩ توفى زايد الكبير وزعيم بنى ياس وقائد البوفلاج وزعيم
القبائل الهنائية بعد ان حكم اربعة وخمسين عاما ثم دفن فى مقبرة تقع على سفح تل
وهلبى صغير فى منطقة " البطين " قرب مركز شرطة النجدة الان وقد رثاه الشعراء
من كل حذب وصوب وهذا الزعيم الذى دانت له ابو ظبى والاقسام الشمالية من

سلطنة عمان فى منطقة " الظاهرة ؛ وكانت كلمته مسموعة لدى الشرقيين فى " الفجيرة " وحكام دى والشحيين فى منطقة رؤوس الجبال " . وبلغت القوة العسكرية لابوظبى اقصاها فى عهده ولعل بعض هذه الابيات للشاعر النبى على بن دين الكلبى تروى لنا لمحات براقة من مناقبه :- (٦١)

بلغ سلامى والتحية بتعريف	ولاتستوى راعى حكى هبى
رده بالى من بيته على بوحياين معاطيف	بوشارع بين اللحية انقادى
ياولد منته اليود والكرم والضيف	يدك على شيخ الحضر والبواى
قم افشر وأقبل الواصيف والصيف	قم اسرحوا وانتوا هداكم الهادى
مايلحق دونه عبير مواقيت	ودونه دراويز عليها رصادى
دونه غدير السلال سوافنا طيف	وحزب البحر دونه سوى سوادى
هل بالضيوف المأخذ وأبا المساليف	ولاهانهم وقت سفينه شدادى
صلاة رى عهد لحلام والطيف	محمد المبعوث يوم الزحامى

لقد توفى زايد الكبير وترك شؤون اماره ابو ظبى وهى مثال للأمن والنظام امانة فى ايدي ابنائه واحفاده من بعده فقد اجتمع مجلس " البوفلاج " ومعهم شيوخ واعيان بنى ياس لانتخاب الحاكم الجديد ففوضوا الأمر الى ابنه الاكبر الشيخ خليفة ابن زايد ولكنه لم يكن راغبا فى الحكم والسيادة بل كان يفضل ان يعيش هادئا فى مزارعه فى مدينة العين وضواحيها فقرر المجتمعون ان تؤول المشيخة الى ابنه الثانى طحنون ، الذى حكم ثلاث سنوات ١٩٠٩ - ١٩١٢ وبعد وفاته عرض الحكم اماره ابو ظبى على الشيخ خليفة بن زايد مرة الثانية ولكنه رفض مثلما رفضها فى المرة الاولى (٦٢) فتولى أخوه حمدان الذى حكم فى الفترة من ١٩١٢ - ١٩٢٢ وبعدها حكم الشيخ سلطان بن زايد فى الفترة من ١٩٢٢ الى ١٩٢٦ وهو والد

الشيخ زايد حاكم ابو ظبي ورئيس دولة الامارات وبعد وفاة الشيخ سلطان خلفه في الحكم اخو الشيخ صقر بن زايد والذي حكم من عام ١٩٢٦ الى ١٩٢٨ وبعد ذلك تولى الحكم الشيخ شخبوط بن سلطان بن زايد اكبر ابناء الشيخ سلطان بن زايد سنا فقد حكم ثمانية وثلاثين عاما من عام ١٩٢٨ الى عام ١٩٦٦ ثم تولى الحكم شقيقه الشيخ زايد بن سلطان بن زايد بن خليفة في السادس من اغسطس عام ١٩٦٦ حاكم امارة ابو ظبي ورئيس دولة الامارات العربية المتحدة حاليا .

الهوامش :

- ١ - د . حسين محمد البحارنه - دول الخليج العربى الحديثه ص ٢٤
(2) Suzanne St. ALbans - GreenGrows The Oil - p.36
- ٣ - د . جمال زكريا قاسم - دولة الامارات العربية المتحدة (دراسة مسحية شاملة) ص ٤٧
(4) John Daniels - Abu Dhabi aportrait - p . 25
- ٥ - حمدى تمام - زايد بن سلطان ال النهيان ص ٢٤
- ٦ - فالح حنظل - المفصل فى تاريخ دولة الامارات العربية المتحدة ج٢ ص ٥٦٩
- ٧ - ج . ج . لوريمر - دليل الخليج - القسم التاريخى ج٢ ص ١١٦٤
(8) John Daniels - op . cit p 25
- ٩ - د . فؤاد سعيد العابد - سياسة بريطانيا فى الخليج العربى ج٢ ص ٨١ .
- ١٠ - د . محمد مرسى عبدالله - دولة الامارات العربية المتحدة وجيرانها ص ١٣٥
- ١١ - فالح حنظل - المرجع السابق ص ٥٧١
- ١٢ - د . محمد مرسى عبدالله - المرجع السابق ص ١٣٥
- ١٣ - دار الهلال - بلادنا العربية - ابو ظبى ص ٥٧
- ١٤ - كلود موريس - صقر الصحراء ص ٢٤
- ١٥ - حمدى تمام - المرجع السابق ص ٢٥
(16) : John Daniels - op . Cit . p . 25
- ١٧ - ج . ج . لوريمر - المرجع السابق ص ١١٦٤
- ١٨ - فالح حنظل - المرجع السابق ج٢ ص ٥٧٦
- (19) : Calvin H . Allen . Jr - Sayyids , Shets and Suitans p . 111

٢٠ - فالح حنظل - المرجع السابق ج٢ ص ٥٧٦

٢١ - ج . ج . لوريمر - المرجع السابق ص ١١٦٥

٢٢ - فالح حنظل - المرجع السابق ص ٥٧٧

٢٣ - فاح حنظل - نفس المرجع ص ٥٧٨

٢٤ - د . فؤاد سعيد العابد - المرجع السابق ص ٨١ .

٢٥ - جون - بى - كيلي - بريطانيا والخليج ج٢ ص ٢١٣

٢٦ - فالح حنظل - المرجع السابق ج٢ ص ٥٨١

٢٧ - ج . ج . لوريمر - المرجع السابق ج٢ ص ١٠٩٤

٢٨ - فاح حنظل - المرجع السابق ج٢ ص ١٠٩٤

(29) : John Daniels Op.cit P . 25 .

٣٠ - بالنسبة للأمور السياسية والعلاقات الدولية يمكن الرجوع الى كتابنا عن

علاقة زايد بالقوى المجاورة

٣١ - مانع سعيد العتيبه - اقتصاديات ابو ظبى قديما وحديثا ص ٣٠

٣٢ - " الهيرات " جمع كلمة " الهير " وهى مناطق خصبة فى قاع البحر يتواجد فيه محار اللؤلؤ بكثرة وهى عبارة عن حقول لمحار اللؤلؤ فى مياه الخليج العربى واهم " الهيرات " توجد قرب سواحل الامارات العربية المتحدة والبحرين والكويت وبعض الجزر فى الساحل الشرقى من الخليج العربى وكذلك يطلق عليه عادة " المغاصات " .

٣٣ - حمدى تمام - المرجع السابق ص ٣٧

٣٤ - مانع سعيد العتيبه - نفس المرجع ص ٢٣

٣٥ - مانع سعيد العتيبه - نفس المرجع ص ٢٣

- ٣٦ - وزارة الاعلام والثقافة - ابو ظبى فى مسيرة التقدم ص ١٠
- ٣٧ - مانع سعيد العتيبه - المرجع السابق ص ٣٠
- ٣٨ - مانع سعيد العتيبه - نفس المرجع ص ٣٠
- ٣٩ - عوض العرشانى - حياة زايد ص ٨٥
- ٤٠ - وزارة الاعلام والثقافة - المرجع السابق ص ١٠
- ٤١ - وزارة الاعلام والثقافة نفس المرجع ص ١٠
- ٤٢ - د . محمد مرسى عبدالله - المرجع السابق ص ١٣٨ .
- ٤٣ - مركز الوثائق والدراسات - ابو ظبى بين الامس واليوم ص ٣٢
- ٤٤ - مانع سعيد العتيبه - المرجع السابق ص ١٣٦
- ٤٥ - مانع سعيد العتيبه نفس المرجع ص ٨٢
- ٤٦ - مركز الوثائق والدراسات - المرجع السابق ص ٣٢ .
- ٤٧ - Rose marie Said Zahlan , The Origins of the united Arab Emirats , p . x . , 111 .
- ٤٨ - د . محمد مرسى عبدالله - المرجع السابق ص ١٣٦
- ٤٩ - د . محمد مرسى عبدالله - نفس المرجع ص ١٣٦ .
- ٥٠ - جى - بى - كىلى - الحدود الشرقية للجزيرة العربية ص ١٥٠
- ٥١ - د . محمد مرسى عبدالله - المرجع السابق ص ١٣٧
- ٥٢ - حمدى تمام - المرجع السابق ص ٣٦
- ٥٣ - د . محمد مرسى عبدالله - المرجع السابق ص ١٣٧
- ٥٤ - عوض العرشانى - المرجع السابق ص ٨٤ .

(55) John Daniales - O P . Cit . p . 35

٥٦ - كلود موريس - المرجع السابق ص ٢٥

٥٧- كلود موريس - نفس المرجع ص ٢٥

(58) : Clarence C . Mann - Abu Dhabi p . 62

٥٩ - جى . بى . كيلى - المرجع السابق ص ١٦٤

٦٠ - حمدى تمام - المرجع السابق ص ٣٥

٦١ - حمدى تمام - نفس المرجع ص ٣٥

٦٢- حمدى تمام - نفس المرجع ص ٣٦

المراجع باللغة العربية :

- ١ - حمدى تمام - زايد بن سلطان النهيان - القائد والمسيرة - ابو ظبى ١٩٨١
- ٢ - جى .بى . كيلي - (١) : الحدود الشرقية للجزيرة العربية - ترجمة خيرى حماد - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٧١
- (٢) : بريطانيا والخليج - ترجمة محمد أمين - وزارة التراث القومى والثقافة مسقط ١٩٧٩
- ٣ - ج - ج - لوريمر - دليل الخليج - ترجمة باشراف ديوان حاكم قطر - الدوحة - الطبعة الثانية - السنة غير مكتوبة
- ٤ - حسين محمد البحارنه - (دكتور) دول الخليج العربى الحديثه - اصدار شركة التنمية والتطوير - بيروت ١٩٧٣ .
- ٥ - جمال زكريا قاسم (دكتور) دولة الامارات العربية المتحدة - معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة ١٩٧٨ .
- ٦ - دار الهلال - بلادنا العربية - " ابو ظبى " - القاهرة
- ٧ - كلود موريس - صقر الصحراء - منشورات وزارة الاعلام والثقافة - ابو ظبى ١٩٧٥
- ٨ - عوض العرشانى - حياة زايد - القاهرة ١٩٨٠
- ٩ - فالح حنظل - المفصل فى تاريخ الامارات العربية المتحدة الجزء الثانى - لجنة التراث والتاريخ ابو ظبى ١٩٨٣
- ١٠ - فؤاد سعيد العابد (دكتور) سياسة بريطانيا فى الخليج العربى - الجزء الثانى - ذات السلاسل - الكويت ١٩٨٤

- ١١ - مانع سعيد العتيبه - اقتصاديات ابو ظبي قديما وحديثا - مطابع التجارة والصناعة - بيروت ١٩٧٣
- ١٢ - محمد مرسى عبدالله (دكتور) دولة الامارات العربية المتحدة وجيرانها - دار القلم - الكويت ١٩٨١
- ١٣ - مركز الوثائق والدراسات - ابو ظبي بين الامس واليوم - ابو ظبي ١٩٦٨
- ١٤ - وزارة الاعلام والثقافة - ابو ظبي فى مسيرة التقدم - ابو ظبي ١٩٧٢ .

المراجع الاجنبية :

- (1) : Clarence .C .Mann - Abu Dhabi - khayats - beirut 1969 .
- (2) : Calvin H . Allen , Jr . - Sayyids , Shets and Sultans :- politics and Iradein Masgat Under the Al Busaid , 1785 - 1914 - Ann Arbor Michigan 1984 .
- (3): John Daniels - abu Dhabi a Portrait - Longman - London 1977.
- (4) : Rosemarie Said Zahlan - The Origins of The United Arab Emirates. The Macmillan - London 1978 .
- (5) : Suzanne St Albans - Green Grows The Oil - London 1978 .

العرب في مقديشو

وأثرهم في الحياتين

السياسية والثقافية في ظل الإسلام

للدكتور : غيثان على جويس
استاذ التاريخ الإسلامى المساعد ورئيس قسم التاريخ بكلية التربية
فرع جامعة الملك سعود - بأبها

بسم الله الرحمن الرحيم
العرب فى مقديشو وأثرهم فى الحياتين
السياسية والثقافية فى ظل الإسلام

كانت الشعوب العربية هى أهم الشعوب التى اتصلت بساحل شرقى أفريقيا منذ القدم ، وإبقاها أثرا فى تلك البقعة من القارة، وقد ساعد على ذلك عامل القرب الجغرافى لأن العرب بصفة خاصة هم أقرب الشعوب دون غيرهم من شعوب آسيا، فهم يواجهون ساحل شرقى أفريقيا مما ساعد على كثرة التردد بين سواحل شبه الجزيرة العربية الجنوبية بصفة خاصة وبين شرقى أفريقيا، كما ساعد نظام الرياح الموسمية فى المحيط الهندى على كثرة الهجرات لأن العرب نظموا رحلاتهم وفقا لنظام هذه الرياح، فكانت لهم رحلتان فى العام . وهناك العامل الأساسى الذى دفع العرب لارتياح سواحل شرقى أفريقيا، كما دفع غيرهم من الشعوب الآسيوية وغيرها وهو الأهمية الاقتصادية لشرقى أفريقيا وما فيه من سلع وثروات .

ولقد كان لدول عرب الجنوب معين من حوالى (١٣٠٠ - ٦٥٠ ق.م) وسبأ (حوالى ٩٥٠ إلى حوالى ١١٥ ق.م) ثم دولة حمير (١١٥ - ٥٢٥ م) ، كان لهذه الدول النشاط الكبير فى الحركة التجارية البحرية والبرية، كما عملت هذه الدول على تنظيم طرق القوافل وتأمينها داخل الجزيرة العربية . كذلك كان لعرب الحجاز دور كبير فى ازدهار التجارة، وقد نوه القرآن الكريم برحلات قريش التجارية، وكان عرب الحجاز قد تمكنوا من السيطرة على ناصية التجارة بعد تدهور عرب الجنوب منذ القرن السادس الميلادى، وكان من نتيجة هذا النشاط العربى تقدم فنون الملاحة

وبراعة العرب فى هذا المجال. كما أن البحار الجنوبية صارت مألوفة ومعروفة عند العرب، وقد وصفها الرحالة الجغرافيون أدق وصف ، كما وصفوا نشاط العرب البحرى والتجارى، ومن هؤلاء ياقوت الحموى^(١) والمسعودى^(٢) .

تدفقت الهجرات العربية إلى شرقى إفريقيا فى العصر الإسلامى لأسباب دينية وسياسية، فضلا عن العامل الاقتصادى الذى كان مسيطرا على معظم الهجرات. وقد أشارت الروايات أن الصومال عرفت الإسلام منذ ظهوره، ومع ازدهار الإسلام كدين ودولة ازداد النشاط البحرى وتوافدت على سواحل الصومال مجموعات ضخمة من دعاة الإسلام من عرب وفرس وغيرهم لإنشاء مراكز عربية اسلامية ثابتة لنشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية بين القبائل الإفريقية فى سواحل الصومال الشمالية والجنوبية المطلة على المحيط الهندى، بل استطاع العرب المسلمون التوغل إلى داخل هذه البلاد لنشر الإسلام واللغة العربية بين قبائل الداخل ، وذلك بعد أن قام العرب بتأسيس مدينة مقديشو التى أصبحت مركز انطلاق جنوبا وإلى الداخل^(٣) كما سيجىء تبيان ذلك .

تتابعت الهجرات العربية لنشر الإسلام فى الساحل الإفريقى الشرقى منذ عهد الخلفاء الراشدين وازدادت أيام الأمويين والعباسيين، ونذكر من هذه الهجرات على سبيل المثال لا الحصر، هجرة الخوارج الذين حاربهم على بن أبى طالب وهزمهم فى موقعة النهروان^(٤). وهجرات بعض العرب الأمويين الذين أشارت الروايات بأن عبد الملك بن مروان هو الذى أرسلهم إلى تلك الجهات لتأسيس المراكز الإسلامية. وقد أفاضت الروايات فى ذكر هجرات الأمويين إلى الساحل، وأشارت إلى أن عبد الملك عندما تنهى إلى مسامعه أخبار الهجرات العربية إلى إفريقيا أرسل أخاه حمزة لنشر

الدعوة الإسلامية ومد محاولة نفوذ الأمويين في الصومال . وفي رواية أخرى أن ابنه جعفر هاجر إلى شرقى افريقيه وحكم في منطقة كيوايو Kiwayu (في جنوب مقديشو في ارخبيل لامو) وتوفى بها^(٥) .

وتنسب الروايات تأسيس الامارات العربية الأولى في شرقى افريقيه لعهد عبدالملك بن مروان ورجاله الشاميين الذين تسميهم الروايات بالشاميين Mashami أو الواشامي Washami ، ويظهر أنهم وصلوا إلى شرقى افريقيه في مجموعات صغيرة حوالي ٧٠٠ م أو قبله بقليل . وطبقا لما ورد في الرواية أن عبد الملك هو العامل الأساسي الذي دفع العرب لتأسيس امارة عربية في لامو Lamu . ويذكر ستايقند Stigand أن عبد الملك بن مروان قام بإنشاء امارات عربية على ساحل شرقى افريقيه عندما أرسل مهاجرين سوريين عام ٧٧ هـ (٦٩٦م) لمد نفوذ الأمويين هناك^(٦) . وقد لجج هؤلاء المهاجرون في تكوين مدن تطورت وأصبحت امارات عربية هامة مثل بيت Pate أو باتا Pata ، ومالندي Malindi ومبسه Mombassa Zanzibar . ويواصل صاحب كتاب «أرض الزنج The land of Zing» حديثه ويضيف بأن الروايات قد ذكرت بأن المراكز التالية أنشأها عبدالملك بن مروان وجعل على كل واحدة منها وليا عربيا يحكمها نيابة عنه وهي كما يلي: براوه Brāwa - تيولا Tula - أموي Omui - كيزمايو Kismayu - فمبي Vambi - كوياما Koyama - شانقا Shanga - پاذا Paza - بيت Pate ولامو Lamو^(٧) . وما زال اسم عبدالملك بن مروان يذكر في تلك الجهات لدرجة أن السكان قد حرفوا اسمه، فمثلا ينطقون عبدالمالك، أو ابن مرواني ومرد ذلك ، ضعف اللغة العربية وظهور اللغة السواحيلية^(٨) .

وفى أواخر عهد الدولة الأموية كانت هجرة الزيد عقب مقتل زيد بن علي زين العابدين عام ١٢٢ هـ (٧٤٠م) فرارا من اضطهاد بنى أمية لهم، وعرف هؤلاء بالزيدية. واستقرت هذه الجماعات كما أشارت المصادر فى ساحل بنادر الصومالى وحكموا فيه ما يقرب من المائتى سنة، ونشروا الإسلام بين قبائل بنادر، كما اصلحوا الأراضى، وزرعوا بعض النباتات التى أرفدتهم بثروات طائلة، ودرت عليهم أموالا هائلة. بل وتوغل الزيدية إلى داخل الأراضى الصومالية ونشروا الإسلام بين قبائل انهار جوبا وشبيلي من بينها قبائل الجالا التى اعتنقت الإسلام بحماس كبير بدليل أن كثيرا من الصوماليين من أفراد هذه القبائل قد أصبحوا فقهاء ووعاظاً واضطلعوا بنشر الإسلام بين القبائل الوثنية (٩).

تأسيس مقديشو :

إلا أن الذى يهمنى فى هذا الجانب هو وصول أكبر الهجرات العربية والإسلامية إلى ساحل الصومال المعروف بساحل بنادر، وأعنى بهذه الهجرة، تلك الهجرة التى حدثت خلال العصر العباسى والمعروفة بهجرة الأخوة السبعة . فقد هاجرت هذه الجماعة العربية فى بداية القرن العاشر فى حوالى عام ٣٠١ هـ (٩١٣م) من الأحساء عاصمة دولة القرامطة (١٠) والأخوة السبعة من قبيلة الحارث العربية، جاؤا فى ثلاث سفن محملة بالرجال والعتاد الحربى. وقد نما إلى علم هذه الجماعة العربية أخبار الجماعات العربية التى سبقتهم إلى ذلك الساحل، وربما سمعوا عنها من التجار أو من جنود سعيد الجنايى، وقد كان فى صفوفهم جند من الزنج والأرقاء الذين جاؤا إلى الجزيرة العربية والعراق فى فترة من الفترات. ولذلك قررت هذه

الجماعات العربية أن تحذو حذو الهجرات العربية التي سبقتها، يراودهم الأمل العريض فى تكوين وطن جديد، وقد تحقق لهم ما أرادوا بفضل جهودهم^(١١) .

إستولى الأخوة السبعة على كل سواحل بنادر بعد أن قاموا بتأسيس مدينة مقديشو التى جعلوها عاصمة لدولتهم الجديدة، فامتد نفوذهم حتى جنوبى مئبسه، وربما وصلوا إلى جزيرة مدغشقر. وقد وصف المسعودى هذه الجزيرة، وذكر أن فيها قوما من المسلمين، غلبوا على هذه الجزيرة، وسبوا من كان من الزنج كغلبة المسلمين على جزيرة اقريطش فى البحر الرومى^(١٢) .

لم تمضى فترة طويلة على إستقرار هذه الجماعات العربية، حتى أصبح كل الساحل شافعيًا على المذهب السنى، وذلك بعد أن اصطدم الاخوة السبعة بالزيدية الشيعة الذين اضطروا للانسحاب إلى الداخل. ولا يزال المذهب الشافعى هو السائد فى بلاد شرقى افريقيه. وقد اكتفى هؤلاء العرب على بسط نفوذهم فى المنطقة الساحلية فقط إذ أن الداخل لم يكن معروفًا لديهم، أما لأنهم يجهلون، أو لصعوبة التوغل، فسيطروا على الساحل ريثما يتم لهم كشف مجاهل افريقيه المختلفة^(١٣) وكان من نتيجة هذه الهجرة الأخيرة أن بسطت مقديشو نفوذها، وساعدت العرب المسلمين على انشاء مواطن استقرار على طول الساحل الممتد من مقديشو فى الشمال إلى مدينة سوفالا فى الجنوب^(١٤) .

لقد حكم الأخوة السبعة هذا الساحل فترة لا تقل عن السبعين عاما، وإليهم يرجع الفضل فى انشاء مدينة مقديشو - كما سبق القول - فظلت هذه المدينة تتزعم الحركة الإسلامية والمد الإسلامى فترة طويلة خلال العصور الإسلامية المختلفة فى ذلك الجزء. وفى الوثيقة العربية التى عثر عليها البرتغاليون فى مدينة كلوة Kilwa

(فى تنزانيا حاليا) عام ٩١٠ هـ (١٥٠٥م) أمكن معرفة الأخبار الهامة عن مدينة
مقديشو فى القرون الأولى للهجرة ، منها أخبار البعثات العربية الإسلامية القادمة
من الاحساء على ثلاث سفن بقيادة سبعة أخوة نزلوا فى ساحل الزاهيه (بنادر)
وقاموا بتأسيس مدينتى مقديشو وبراوة (١٥) . وهاتان المنطقتان من أول المناطق التى
وطأتها أقدامهم، وطاب لهم فيها المقام. وخضع لنفوذهم فى فترة وجيزة كل الشريط
الساحلى الممتد من مقديشو حتى ممبسه، لدرجة أنهم وصلوا أماكن لم يصلها العرب
من قبلهم، وقد كان الأخوة السبعة من عرب الاحساء (١٦) .

وجاء أيضا فى وصف دى باروس De Baros لمقديشو، أن تأسيسها قد تم
على أيدي جماعة عربية من الاحساء هم جماعة الاخوة السبعة، وأصبح لها وزنها
وكيانها، ولها نظمها. وأصبحت مقديشو مركزا يتجمع فيه كل المسلمين الوافدين
إليها من كل جهات الساحل، وهى أول امانة تحاول بسط سيطرتها ونفوذها التجارى
على طول الساحل جنوبا حتى سوفالا (١٧). وتذكر الرواية كذلك بأن تاريخ تأسيس
مقديشو ربما كان فى عام ٣٠١ هـ (٩١٣م) . وتضيف الرواية أن على بن حسن
الشيرازى مؤسس سلطنة الزنج الإسلامية فى كلوة عام ٩٧٥/٩٧٦م قد مر
بمقديشو فعلا، إلا أن المقام لم يطب له فيها، لوجود جاليات عربية متعددة، فواصل
زحفه حتى وصل إلى جزيرة كلوه حيث أسس له دولة إسلامية هناك، كان العنصر
الفارسى فيها هو دعامتها وسندها. ويذكر أيضا أن بعض المهاجرين العرب قد
هاجروا من عمان إلى ساحل أفريقيه الشرقى، وأن قبيلة الحارث من عمان أدعت
تأسيس مراكز لها فى مقديشو وبراوة (١٨) .

ومهما يكن من أمر فإن مدينة مقديشو أسسها جماعة الاخوة السبعة من قبيلة

الحارث العربية من الاحساء فى الطرف الغربى للخليج العربى، وقد وصلوها فى عام ٣٠١ هـ (٩١٣م) وذكر ياقوت أن مقديشو مدينة فى أول بلاد الزنج فى جنوب اليمن فى بر البرير فى وسط بلادهم^(١٩).

ويقول أبو الفداء أن مقديشو تطل على بحر الهند وأهلها مسلمون، ولها نيل عظيم يشبه نيل مصر فى زيادته فى الصيف. وقد ذكر أنه يخرج شقيقا لنيل مصر من بحيرة كورا، ويصب بالقرب من مقديشو فى بحر الهند. ومقديشو مدينة كبيرة من الزنج والحبشة، قال ابن سعيد عن مقديشو: ومن شرقى خافونى بالنون فى الآخر المشهور على البحر مدينة مركه وأهلها مسلمون وهى قاعدة الهاوية التى تزيد على خمسين قرية، وهى على شطى نهر يخرج من نيل مقديشو، ويصب على مرحلتين من المدينة فى شرقها، ومنه فرع يكون خورا لمركه، وفى شرقى ذلك مدينة الاسلام المشهورة فى ذلك الصقع المترددة على ألبن المسافرين وهى مقديشو^(٢٠).

وموقع مقديشو من أصلح مواقع الساحل لرسو السفن. وقد عرفه المصريون القدماء، وأهل بابل وآشور. والفينيقيون والرومان وكان يعرف عند الاغريق منذ ألفى عام باسم سيرابيون Serabion^(٢١). وعرف فى العصور الوسطى باسم حمر Hamer وقد أتاح لها هذا الموقع القريب من خليج عدن التحكم فى مدخل البحر الأحمر إلى حد كبير، والسيطرة على الحركة التجارية فى المحيط الهندى. فكانت ترد لهذه النقطة سفن الجزيرة العربية محملة بأنواع المنتجات والسلع، وتأتى سفن الهند وغيرها من بلدان آسيا عبر المحيط الهندى، وتنقل هذه المنتجات إلى الحبشة وعبر البحر الأحمر إلى مصر شمالا وجنوبا حتى سوفالا^(٢٢).

وتتضارب الآراء نحو تفسير اسم المدينة «مقديشو» ، فمن قائل أنها من كلمتين

عربية وفارسية وهما (مقعد + شاه) ، اشارة إلى المكان المفضل الذى اتخذته الحاكم مقرا لحكمه، ونطق الكلمتين معا (٢٣) . أو نسبة للمكان الذى اتخذته الشيخ مكانا لجلوسه (مقعد الشيخ) (٢٤) والبعض يقل أن كلمة مقديشو معناها المكان الذى تتجمع فيه الأغنام للبيع (٢٥) وعبر عنها الرحالة الغربيون بأسماء مختلفة مثل: موجوديشيو Mougidishu وموجود سكو Mougoudiskua - وموجاديشوا Mougadishu ومقدشيكو Makdishiku ومقد يكسو Magdiksi (٢٦)، أو مجدكسو Magdiksi (٢٧)، وكل حسب نطقه (٢٨) .

أما عن أقسام المدينة وأحيائها، فقد كانت مقديشو فى بداية نشأتها تتكون من ضاحيتين أساسيتين هما ضاحية حمروين، وضاحية شنفانى (٢٩). وكانت ضاحية حمروين تمتد على طول الساحل من كران إلى ساحل حمر، أي المكان المعروف باسم حمر جب (٣٠). أما ضاحية شنفانى، فهي مشتقة من اسم حى كان فى نيسابور ببلاد فارس، وقد سميت بهذا الاسم تخليدا لذكرى أهل نيسابور القاطنين بمقديشو. وكلمة حمروين، مركبة من كلمتين عربية وصومالية: فحمر معناها ذهب، وكلمة وين معناها بالصومالية كثير أو كبير (٣١) .

شكل الحكومة :

واجهت جماعة الأخوة السبعة العربية فى بداية أمرهم على الساحل بعض الصعوبات أهمها أن الزيدية الشيعة الذين كانوا قد سبقوهم، واستولوا على أجزاء من ساحل بنادر واستوطنوا حول ارخبيل لامو قد بدأوا فى نشر مبادئهم وأفكارهم، ولا سيما وأنهم كانوا من الشيعة المتعصبين لهذا المذهب، بينما كان الأخوة السبعة

على المذهب السنن الشافعى. وقد دافع الزبود عن عقيدتهم دفاع المستميت، وحاربوا جماعة الاخوان السبعة بكل ضراوة ، إلا أنهم غلبوا على أمرهم فى النهاية وهزموا أمام الاخوان السبعة أخيرا عام ٣٣٠ هـ (٩٤٨م) (٣٢) .

وبعد أن تغلب الأخوة السبعة على الصعاب التى واجهتهم فى بداية أمرهم، بدأوا فى وضع الأسس والتشريعات المختلفة التى تكفل لهم الاستقرار والحياة الكريمة. فتكون مجلس من كبار العرب، وأعضاؤه اثنا عشر شخصا يرأسهم شيخ لا يحمل لقب سلطان أو ملك، ويسمى هذا المجلس باسم «مجلس المدينة» ، وكان هذا النظام أفضل نظام طبقه الغرب المسلمون فى ساحل بنادر فى العصور الوسطى، ويتمتع هذا المجلس بكل السلطات، وله حق النظر فى القضايا المدنية والجنائية وفض المنازعات. وكان بجانب هذا المجلس مجالس فرعية فى كل حى من أحياء المدينة، وهى فى شكل طائفة تخضع لشيخها الذى يتولى أمرها، ويقوم باكرام الغرباء وقضاء حاجاتهم (٣٣) .

وباتساع المدينة حدث ترابط بين السكان العرب والصوماليين، وبموجب اتفاقية أبرمت فى القرن العاشر بين العرب والفرس من جهة، والقبائل الصومالية من جهة أخرى، تكون اتحاد على صورة مجلس من الاشراف وأعيان القبائل للنظر فى أمور البلاد . والقبائل التى تكون منها ذلك الاتحاد كانت نحو تسع وثلاثين مجموعة وهى مجموعة قبائل عربية وفارسية وأفريقية تفاصيلها كالآتى :

اثنى عشر عشيرة من قبيلة مكرى Mukri ، واثنى عشر من قبيلة جيداتى Djidati ، وستة من أكابى، وستة من الاسماعيلية، وثلاثة من عفيفى Afifi (٣٤) .

كان اختصاص هذا المجلس هو حفظ الأمن، وتطبيق العدالة بين الجماعات،

ووضع حد لهجمات بعض القبائل الرعوية الصومالية على التجار من العرب والفرس، وبالتالي لمواجهة غزاة آخرين كانوا يأتون من البحر. وتم هذا الاتحاد بعد أن أصبحت مقديشو عاصمة لساحل بنادر الذي ضم هذه المشيخة وإماراتها التابعة لها مثل مركه وبراة التي سيجىء تفصيلهما، هذا بالإضافة إلى الأراضي المحيطة بهم. وكان يطلق على جميع هذه الأراضي (مقاديش) (٣٥). وعرف أحيانا سكان هذه الجهات باسم سكان بنادر وبضائعهم بأسم بضائع بنادر (٣٦).

لقد استمر مجلس هذه المشيخة والمثل في سلطة الشورى بين العرب والفرس والصوماليين نحو أكثر من مائتى عام على ذلك النحو، حتى انتخب أبو بكر فخر الدين عام ١١٠٠م حاكما على جميع أراضي هذه البلاد، وهو من سلالة الأخوة السبعة بتعزيد من قبيلة بنى قحطان العربية التي أصبح لها النفوذ والسيادة، وبذلك أصبح اعلان سلطنة أبى بكر فخر الدين الوراثة نهاية لعهد الادارة الفدرالية والممثل في مجلس المدينة الذي سبقت الإشارة إليه (٣٧). وفى عهد أبى بكر فخر الدين احتفظت قبائل قحطان ومكرى بنفوذها ومكانتها الدينية الممتازة، لأن قاضى الوحدة قبل قيام السلطنة التي أسسها أبو بكر فخر الدين كان يختار من بين أبناء هاتين القبيلتين. ويفضل قبائل قحطان ومكرى استطاع أبو بكر فخر الدين أن يقيم سلطنة وراثيه فى مقديشو، كما أقر السلطان أبو بكر قبائل مكرى على امتيازاتها (٣٨). وقد استمر حكم أبى بكر فخر الدين سبعة عشر عاما حتى توفى عام ١١١٧م (٣٩).

امارات المشيخة :

كان امتداد مقديشو واتساعها قد غطى على جميع أجزاء الساحل المعروف بساحل الزاهيه (بنادر) ، وذكرت الوثيقة أن سكان مقديشو أول من وصل إلى بلاد سفاله فى موزمبيق، وأن سفنهم كانت تتردد على بلاد سفاله (سوفاله) Sofala لاكتشاف مناجم الذهب الموجودة فى تلك الجهات واستغلالها. وأشارت الوثيقة أيضا إلى هجرات قوامها من الفرس المسلمين جاءت إلى مقديشو حاملة معها معالم حضارة فارس (٤٠) .

أما أكبر الامارات التى خضعت لسيادة مقديشو وسيطرتها فهى مركه Maraka التى خضعت لسيطرة الأخوة السبعة ونفوذهم منذ الوهلة الأولى. ومركه من مجموعة المدن العربية التى نسب تأسيسها ستايقند Stigand إلى عبد الملك بن مروان (٤١). حتى إذا جاء الاخوة السبعة إلى الساحل جعلوها من أكبر مدنها السياسية. وحتى يومنا هذا توجد طوائف فى مركه تدعى انتمائها إلى الأخوة السبعة (٤٢). ويقول أبو الفداء عن ابن سعيد أن مركه أهلها مسلمون (٤٣) . ومن الواضح أن سكان مركه اعتنقوا الاسلام بالقرب من حافون (٤٤) .

وما يذكر أن جماعة الأخوة السبعة أتوا فى مراكب شراعية ورسوا فى ساحل مركه، وشيدوا لهم مسجدا ضار فيما بعد مركزا لكثير من الأسر الصوماليه. وتتابع هجرات العرب لتلك الجهة، حتى أن الكثير من الأسر الموجودة حاليا تدعى نسبها إلى الجماعات الأولى التى جاءت إلى مركه من بلاد العرب ، كما هو الحال عند كثير من الأسر فى الوقت الحالى فى كل من براوة ومقديشو (٤٥) . ومن المحتمل أن مدينة مركه قامت كمركز تجارى يقع على الطريق بين شمال وجنوب

الصومال، وأن سكانها كانوا في بداية الأمر من العرب ثم صارت تمتلئ بالعنصر الصومالي في كل مكان^(٤٦) .

وتتمتع مدينة مركة الجميلة النشيطه بمركز ممتاز لموقعها الجغرافي وكثرة خيراتها. وفي الوقت نفسه تقع على الطريق البحري التقليدي بين زنجبار وبلاد العرب. وقد حققت مركه مكاسب كثيرة للإسلام في شرقي افريقيه، بالإضافة إلى المساهمة الفعالة في نشر الدعوة الإسلامية على طول الساحل الصومالي وفي الأقاليم الداخلية^(٤٧) .

أما اماره براوة Brawa فهي الأخرى اماره عربية خضعت لحكم الأخوة السبعة وجماعتهم من بعدهم. واجمعت بعض الروايات أن الذين اسسوا براوة هم جماعة عبد الملك بن مروان من السوريين المهاجرين^(٤٨)، ثم جاء الأخوة السبعة من بعد ذلك وأضافوا عليها فنونهم؛ ثم توسعت المدينة في عهدهم، فانتشر العمران واتسع البناء^(٤٩). وبرأوة تقع في شمال نهر جوبا وجنوبي مركه. وهذه الامارة لم يذكرها أحد من جغرافي العرب أو رحالتهم، وهي مدينة هامة كانت تعتمد عليها مقديشو في أنها تلعب دور الوسيط بينها وبين الامارات العربية في جنوبها .

وتنقسم مدينة براوة إلى عدد من الأحياء هي : بغداد، البمبا، بيروني، سابى، ويلوبازى ، وأكثر منازلها من الحجارة البيضاء ، ومن طابق إلى ثلاثة أحبانا ، ومياؤها عذبه^(٥٠) . وفي مسجد براوة نقشا يتضمن تاريخا يرجع إلى القرن التاسع الهجرى^(٥١). ويقال أن أول من سكنها رجل من قبيلة قره يدعى (أو على) وصلها حوالى عام ٩٠٠م، وكانت براوة في ذلك الوقت منطقة موحشه غابيه لا تسكنها إلا الوحوش الضارية، غير أن أو على أعجب بطيب هوائها على ساحل البحر، فاستعان

بالمواطنين الأوائل فى قطع اشجارها واعشابها، واقام بها عددا من المساكن أطلق عليها براوة بن أو على^(٥٢) . ويقال ان هذا الاسم كان يطلق على ملك الجالا براوات^(٥٣) وهناك رواية أخرى تشير إلى أن بعض أفراد قبيلة حاتم الطائى فى الجزيرة العربية قد استوطنت براوة فى فترة من الفترات، وقد وصلت إليها عام ٩٠٠ م ، وقد ازداد سكان المدينة بوصول جماعات أخرى منها جماعات صومالية مسلمة عرفت باسم التّن من سكان الساحل، وعمروا المساجد، وأقاموا كثيرا منها فى الداخل. ثم توافدت عليهم جماعات وردان أى الجالا، وقد قدموا مع ملكهم براوات. وأقام الجالا جنبا إلى جنب مع المسلمين نحو ثلثمائة عام. وكان بالقرب من براوة جماعة الأجوران (قبائل زنجية) التى امتد نفوذها على بعض أجزاء براوة، فاعلن التّن الحرب عليهم، وكان للتّن الانتصار على الاجوران. وانتهت المفاوضات بينهما على أن يبقى الاجوران فى الجانب الشرقى، ويحتل التّن الجانب الغربى له، كما تعاهدوا فيما بينهم على ألا يدخل البلاد غير الحيوانات، وما عدا ذلك فكل قادم مصيره القتل. إلا أن تلك الاتفاقية لم يكتب لها الدوام كثيرا، إذ وصلت جماعة من الحمرانيين الصومال على سفن إلى براوة، وسكنوا مع التّن فى سلام ومحبة^(٥٤) .

اضمحلال سلطنة مقديشو :

منذ نهاية القرن العاشر بدأت مشيخة مقديشو فى التدهور والانحلال نتيجة الانقسام الداخلى فى حكومتها المركزية، هذا بجانب ضعف الروح العسكرية، وتفكك القوات، حتى إذا جاء الشيرازيون الفرس إلى الساحل لم يجدوا سوى قوة

عسكرية ضعيفة، ومشیخة تمزقها الخلافات، فضلا عن عدم اتحاد امارات المشیخة ووقوفها قوة واحدة ضد الشيرازيين الفرس الذين وصلوا إلى مقديشو ومركه وبراوة تحت زعامة على بن حسن الشيرازي، وتمكنوا من الاستيلاء على هذه الامارات في سهولة ويسر، ثم واصلوا زحفهم جنوبا إلى كلوة حيث أسسوا سلطنة الزنج الإسلامية. إلا أن الشيرازيين الفرس ابقوا على كل النظم الموجودة في تلك البلاد التي استولوا عليها دون تغيير، واكتفوا بوضع حاميات عسكرية قوية وفرضوا على تلك المدن الجزية التي تدفع بنوباً. ولم يقدر للشيرازيين الفرس البقاء في مقديشو ومركه وبراوة بل زحفوا جنوباً، وذلك لأن تلك المناطق التي تركوها لم تكن صالحة لاستقرارهم، إذ أن الأمطار لم تكن غزيرة، فأبحروا جنوباً إلى كلوة وأسسوها^(٥٥).

وفي القرن الرابع عشر جاءت أسرة المظفر وهي من قبيلة بنى نبهان العربية الذين كانوا يحكمون في عمان وعاصمتها مسقط، وقد أصابها الاضمحلال والتفكك، وذلك عندما قامت بعض القبائل العربية الأخرى بطردها عن حكم مسقط، فأدى ذلك إلى فرار سليمان بن المظفر إلى ساحل شرقي افريقيه حيث أسس امارة عربية في بيت Pate عام ٦٠١ هـ (١٢٠٣م)، واستطاعت هذه الامارة أن تبسط سيطرتها على مقديشو حوالي ٧٤٠ هـ (١٣٣١م) وان تخلف أسرة فخر الدين التي خصعت لسلطان الشيرازيين منذ عام ٩٧٦م. وكان الرحالة ابن بطوطة قد زار مقديشو في عام ١٣٣٠م / ١٣٣١م وذلك في أثناء حكم ابى بكر بن الشيخ عمر بن المظفر، وذكر وصفاً ضافياً لأحوال مقديشو الاجتماعية^(٥٦).

وفي عهد هذا الشيخ بلغت مقديشو ذروة مجدها في القرن الرابع عشر الميلادي، ووصفها ابن بطوطة بأنها متناهية في الكبر ولها صلات اقتصادية وثيقة مع مصر.

وقد ظلت مقديشو أقوى مدن الساحل فترة من الزمن، وذكرت في حوليات الصين ولاسيما في عهد أسرة منج Ming ، وتجارتها مع الصين رائجه . ولاحظ فاسكو داجاما أنها مدينة عظيمة^(٥٧) . وفي عهد السلطان أبى بكر بن عمر انتظمت أمور البلاد، وعم الرخاء ، وامتد نفوذ مقديشو التجارى الذى كان يضم مركه وبراوّة كذلك حتى سوفالا فى أقصى جنوب الساحل .

لما وصل البرتغاليون إلى الساحل الشرقى لافريقيا، وتأكد لداجاما أهمية هذا الساحل، بدأوا فى توجيه ضرباتهم إلى المدن العربية والإسلامية على طول هذا الساحل، فاستولوا على كلوة عاصمة سلطنة الزنج، ثم واصلوا زحفهم شمالا حتى وصلوا إلى مقديشو التى تعرضت لضربات البرتغاليين، ذلك أن البرتغاليين عندما وصلوا إلى مقديشو عام ١٤٩٨م وجهوا نيران مدافعهم نحو هذه المدينة وذلك فى أيام الشيخ فخر الدين حاكم مقديشو، إلا أن البرتغاليين لم ينجحوا فى الاستيلاء عليها بفضل حصونها المنبئة، ومقاومتها العنيدة الباسلة، مما جعل البرتغاليين ينصرفون عنها بسرعة^(٥٨) .

لقد كانت الأحوال فى مقديشو تختلف عن غيرها من امارات الساحل، فقد قاومت جميع المحاولات التى بذلها البرتغاليون لاختضاعها، ولا سيما حينما حاولت البرتغال فى عام ١٥٠٧م غزوا مقديشو بكل ما لديها من قوة وامكانيات. إلا أن مقديشو قاومت كل محاولات البرتغاليين اليائسه بفضل وجود العنصر العربى الذى ساعد على المقاومة، بالإضافة إلى أنها تمتعت بمناعة أسوارها وحصونها، واشتهرت بثروتها الضخمة وكثرة عدد سكانها، فلذا كانت مركزا للمقاومة طيلة المائتى سنة التى قضاها البرتغاليون فى هذا الساحل. وفى المرات القليلة التى حاول فيها

البرتغاليون ضرب مينائها بالدفاع والنزول بها، صمدت هذه المدينة الباسلة ، وكان دفاعها قويا وصامدا. وذكرت المصادر البرتغالية بأن مقديشو من أقوى امارات الساحل، وتدعمها قوات ضخمة من الفرسان. لذلك كانت مقديشو هي المشيخة الوحيدة التي لم يستطع البرتغاليون اخضاعها، بل كانت تناصبهم العداء طوال مدة اقامتهم على الساحل^(٥٩). وكان شيوخ مقديشو ورؤساء القبائل فيها قد بعثوا برسائل منهم إلى سلطان عمان، صاحب أقوى بحرية في مياه البحار الشرقية يطلبون منه حق الإسلام والجوار، وذلك عندما تزايد الضغط البرتغالي على مقديشو، فكانت استجابة سلطان عمان سريعة وحازمة، إذ قدمت قوى بحرية عمانية بقيادة الأمير سالم الصارمي عام ١٠٦٧ هـ (١٦٤٠م) لمعاونة اخوانهم مسلمي مقديشو وملحقاتها، وابعاد النصارى البرتغاليين عن تلك السواحل. فكان الانتصار لقوى المسلمين، والهزيمة للقوى البرتغالية. وقام أهل مقديشو بتنصيب الأمير سالم الصارمي سلطانا على مقديشو وملحقاتها فترة من الزمن لتنظيم أمورها. وقد ارتبطت سلطنة مقديشو منذ ذلك التاريخ بسلطنة عمان اقتصاديا وسياسيا وحربيا، كما كان لأئمة مسقط وسلاطينها نفوذ في منطقة بنادر وعاصمتها مقديشو حتى مطلع القرن الثامن عشر^(٦٠).

معالم الحضارة والثقافة الإسلامية فى مقديشو :

كانت القبائل العربية التى هاجرت إلى مقديشو وملحقاتها تحمل معها دينها ولغتها، وكانوا يختلطون بالسكان وينقلون إلى لغات هذه البلاد الكثير من كلماتهم خصوصا ما كان منها متعلقا بأمور الدين. وقد ظلت اللغة العربية هى لغة التسجيل والتدوين والمراسلات فى العهد والاتفاقيات وغير ذلك سواء فى الساحل أو مع الدول الخارجية .

ومنذ فجر التاريخ والقلم العربى هو القلم المعروف فى الساحل دون غيره. والمعروف أن أسس الثقافة هى طريقة التعبير إلى اللغة، واللغة العربية اختلطت بلهجات قبائل الساحل الافريقيه عشرات القرون، وتوالد عنها لغة جديدة هى اللغة السواحيلية، كما أصبح الدين الإسلامى أساسى التشريع والقضاء ومصدر القيم الروحية .

وحظيت علوم الدين بنصيب وافر من العناية والخدمة فى الصومال وأثيوبيا، وقد عنى أهلها بكتاب الله حفظا وتجويدا وتفسيرا، فقد كان حظهم من هذه العلوم كبيرا كما كان نصيب اللغة العربية جزيلا وافرا، وازدهرت العربية وعلومها على أيديهم، وتركت أثرها القوى فى الساحل الصومالى وخاصة حول لامو^(٦١). وصارت براوة^(٦٢) بالقرب من مقديشو كجزيرة عربية كعبة المعرفة، ويأتى إليها طلاب العلم من الأماكن النائية لشهرة علمائها وتفوقهم فى الدين. وقد حملت مساجدها أسماء الخلفاء عمر وعثمان وعلى، وانتشر بها شيوخ الصوفيه ومنها القادرية والادريسيه والزيلعيه والاحمدية^(٦٣) . ومن ثم اعتبرت براوة. كعبة المعرفة والهداية فى ساحل بنادر واجزاء الساحل الأخرى، وأصبح فى براوة وحدها أكثر من خمسة وعشرين

مسجدا عدا الزوايا فعددها كبير (٦٤) .

لقد نفخ المسلمون فى سكان الصومال حب الأدب وفنون الشعر، وخرج هولاء شعراء وخطباء مفوهون، وأصبح لهم أدبا يعتزون به. وبرز كثير من العلماء والشعراء والأدباء باللسان العربى كالفقيه البليغ فخر الدين أبى عثمان بن على بن محمد البارعى الزيلعى الذى قدم القاهرة من مقديشو فى القرن الرابع عشر، ونشر الفقه فيها ومات بها، وله كتاب سماه «شرح كنز الوثائق» ومن المؤرخين الصوماليين باللسان العربى شهاب الدين الملقب بعرب فقيه وله كتاب فتوح الحبشة (٦٥). ومن الأدباء البارزين عبد الله منير الزيلعى (٦٦) .

أما عن أشهر دعاة الإسلام فى مقديشو خلال فترة العصور الوسطى حتى نهاية القرن الثامن عشر فنذكر منهم على سبيل المثال، الشيخ أبادير التى تذكر عنه حوليات مقديشو أنه جاء من الجزيرة العربية فى خلال القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) واستقر فى مملكة عدل (زيلع) ثم دخل هرر التى أصبحت بفضل جهوده قاعدة اسلامية لنشر الدعوة فى الصومال واثيوبيا. ويذكر ابن حوقل ان أهالى زيلع، كانوا مسيحيين فى النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى، ولكن أبا الفداء يذكر أنهم كانوا مسلمين فى القرن الرابع عشر، وقد يكون هذا التحول إلى الإسلام بفضل الشيخ أبادير الذى بشر بالإسلام، ودعا إليه بين أهل زيلع فى القرن العاشر (٦٧) .

ومن دعاة الإسلام كذلك أربعة وأربعون شيخا وفدوا من حضرموت إلى مقديشو وبراوة ومركة لنشر الدعوة الإسلامية، فنزلوا أول مرة فى مدينة بريرة على ساحل الصومال الشمالى، واستقروا بها فترة قصيرة، ثم نزلوا جنوبا إلى مقديشو وبراوة ثم انتشروا فى البلاد . واستطاع أحدهم وهو الشيخ الوقور إبراهيم أبو زرباى أن يسلك

طريقه إلى مدينة هرر حوالى عام ١٤٣٠ حيث قام بنشر الدعوة وإنشاء المساجد، وما زال قبره معظماً فى المدينة إلى يومنا هذا (٦٨) .

أما أشهر الدعاة الصوماليين وأبرزهم، فهو المجاهد الكبير أحمد بن إبراهيم الجران (أو أحمد بن جرا الملقب بالأشول أو الأعسر) . الذى ظهر فى القرن السادس عشر، وأحدث تحولا كبيرا فى نشر الدعوة الإسلامية واتسم جهاده بالبطولة والفدائية. فقد قام هذا المجاهد الكبير بتحرير الأراضى الصومالية من نفوذ النصارى الأبحاش، فانطلق من مقديشو، وجعل منها قاعدة لبدأ منها الجهاد فى سبيل الله. وبذل أحمد بن جرا جهودا جبارة من أجل توحيد الجبهة الإسلامية والقيام بغزوات على التجمعات المسيحية والمقاطعات الحبشية التى تقوم بغزو أراضى المسلمين فى الصومال بزعامة بطارقتها، بل استطاع الصوماليون بقيادة هذا المجاهد الكبير أن يصلوا إلى أبواب العاصمة الحبشية، بل وتمكنوا بقيادته أن يضموا بلاد جديدة داخل الحبشة المسيحية دخلت فى الإسلام وتحملت له. لذلك يعتبر الإمام أحمد بن جرا علما من اعلام المسلمين فى بلاد أفريقية الشرقية، ومجاهدا كبيرا فى نشر الدعوة والثقافة الإسلامية (٦٩) .

استمر الدعاة يتدفقون على بلاد الصومال إلى زمن قريب، ففى عام ١٨٣٠ وفدت جماعات من الوهابيين النجديين من الجزيرة العربية واستقروا فى بلدة بارديرا، وقاموا بتنظيم دعاية قوية كان لها النجاح فى حالات كثيرة إلى الإسلام. ومن المجاهدين والدعاة المسلمين نذكر أيضا المجاهد والداعية محمد عبد الله بن حسن، وهو من المجاهدين الصوماليين الذين ظهوروا خلال القرن التاسع عشر، وحارب المبشرين، ودعا إلى الكفاح المقدس تحت راية الإسلام، ووجد كلمة المسلمين فى

الجهاد (٧٠) . وبالطبع يضاف إلى هذه الأدوار ، دور الطرق الصوفية التي قامت بنشر الدعوة الإسلامية، وتفسير تعاليم الإسلام، بالإضافة إلى محاربة البدع، والعمل على جعل المسلمين أخوة متحابين في الله .

توالى الهجرات الإسلامية ودعاة الإسلام خلال عصور التاريخ الإسلامي المختلفة فخرج كثير من الصوماليين والأثيوبيين لطلب العلم، فخرجوا من مقديشو وبراوة وغيرها لطلب العلوم الدينية في مكة والمدينة المنورة والقيروان وفاس وطرابلس والقاهرة وصنعاء. وإذا ما تحصلوا على علومهم ومعارفهم في أحوال المسلمين، وتعاليم الإسلام، عادوا إلى بلادهم كدعاة للإسلام . وعلى ذلك ازدهرت بهم مراكز الثقافة الإسلامية في هذه البلاد الأفريقية. ونهضت بدور فعال في نشر الثقافة والدعوة الإسلامية .

وكان لابد أن تتطور مراكز الدعوة الإسلامية مع مرور الزمن وأن تزداد الهجرات العربية الإسلامية من ناحية، ويزداد نشاط الدعاة في الصومال واثيوبيا من ناحية أخرى، فهو عمل مشترك بين القادم الداعي وبين المستقر الموجهة إليه الدعوة، فتحوّلت المدن الصغيرة إلى مدن زاهرة تمثل حلقة تمتد من مقديشو وبراوة ومركه وهرر إلى أوفات وبقية الإمارات الإسلامية (دول الطراز الإسلامي) في الحبشة. ويمكن معرفة مدن انتشار الإسلام وتلاقى هذه المراكز في توحيد الجبهة الصومالية الإسلامية حتي أصبحت الصومال دولة إسلامية خالصة. وبالإضافة إلى المراكز الإسلامية الكبرى المشار إليها والتي نهضت بدور كبير في حمل الثقافة والتراث الإسلامي ونقله إلى جهات مختلفة في الساحل ثم إلى الداخل الأفريقي، وكان أثر مقديشو فيها بارزا. وظهرت مراكز إسلامية أخرى تأثرت بالنهضة الثقافية في

مقديشو وملحقاتها، واسهمت هذه المراكز هي الأخرى بدور كبير فى الدعوة إلى الإسلام ونشر الثقافة الإسلامية ، ومن أهم هذه المراكز : حافون ووار شيخ وعظلة وكسمايو وبارديرا ولوخ وبيدوة وبريرة (٧١) .

والجدير بالذكر أن العرب نقلوا إلى هذه البلاد بالاضافة إلى ثقافتهم وتراثهم، فإنهم نقلوا أيضا نظام الشورى الإسلامى، وكانوا فى بداية أمرهم أقرب بذلك إلى نهج الخلفاء الراشدين. ففى مقديشو أدخلوا نظام الشياخة كما سبق القول، وهو نظام عربى قديم يعتمد على عراقة النسب والكرم والشجاعة والمروعة . وهذا النظام نقله الأخوة السبعة الذين أسسوا مقديشو، لذلك أصبح الحكم فى أيام الأخوة السبعة يعتمد على الشورى. وكان أساس الانتخاب لمنصب الشيخ هو السن والفضائل. يقول ياقوت عن سكان مقديشو: انما يدبر امورهم المتقدمون منهم (٧٢) . وفى وضع آخر يقول: وهم مسلمون لا سلطان عليهم، لكل طائفة شيخ يأترون له (٧٣). وبجانب منصب السلطان والشيخ فى مقديشو، فقد وجدت مناصب أخرى رفيعة تلى الشيخ والسلطان من حيث الأهمية. فكان الوزير على رأس الأمراء والأعيان. وكان القاضى فى مقديشو شخصيته هامة وتلى الشيخ والوزير من حيث الأهمية والاختصاص، وكثيرا ما تولى القاضى بنفسه وظيفة الحسبه التى انتشرت انتشارا واسعا على طول هذا الساحل . وكانت مهمة المحتسب كما هو معروف الاشراف على الأسواق ومراقبة المكاييل والموازين ومعاينة من يخل بالأمن، وهؤلاء جميعهم وعلى رأسهم الشيخ أو السلطان فى مقديشو وغيرها تحيط بهم حالة من التقديس، تظهر بجلال فى المناسبات الدينية. كما تحيط بهم كذلك مجموعة من الوزراء والأمراء، بجانب ذكر اسم الشيخ فى خطبة الجمعة (٧٤).

فى ضوء ما تقدم يتضح لنا أن سواحل افريقيه الشرقيه وعلى الأخص منها ساحل بنادر (ساحل الصومال الحالى) قد كانت ومازالت جزءا هاما من دار الإسلام متميزا فى اطارها نابضا بكل ما نبضت به الحضارة الإسلامية أثناء العصور الوسطى من ألوان الحياة الفكرية والعلمية ونظمها السياسية والاجتماعية وابداعاتها الادبية والفنية، متفاعلة معطياتها فى كل تلك الأبواب مع معطيات رفيقاتها من الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية. وتمتعت هذه البلاد بحضارة إسلامية راقية ونظام اسلامى للحكم سليم لأنها كانت قريبة من ينبوع الحضارة والثقافة، وعلى صلة وثيقة بموطن أرقى الحضارات الإنسانية وهى الحضارة الإسلامية .



(الهوامش)

١ - شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموى. معجم البلدان (بيروت، ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦م) ج ٣ ، ص ٣٤٣ .

٢ - أبو الحسن على بن الحسن المسعودى . مروج الذهب ومعادن الجوهر (القاهرة، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤م) ج ١ ، ص ١١٢ .

٣ - راشد البراوى . الصومال الكبير حقيقة وهدف (القاهرة، ١٩٦١م) ص ١٠ ، حسن إبراهيم حسن. انتشار الإسلام فى القارة الأفريقية (القاهرة، ١٩٦٣م) ص ٢٦ - ٢٧ ، R. Coupland. East Africa and its Invaders (Oxford , 1938) pp. 2,15-16; R. Reusch. History of East Africa (New York, 1961) pp. 17-18 .

٤ - النهروان هى الموقعة التى انتصر فيها على بن أبى طالب على الخوارج الذين انشقوا عليه فحاربهم فى أواخر سنة ٣٩ هـ وهزمهم وشتتهم فى الآفاق . حسن إبراهيم حسن . تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى (القاهرة ، ١٩٦٤م) ج ١ ، ص ٣٧٨ .

٥ - C.N. Stigand. The Land of Zing (London, 1913) p.29. The Land of Zind, pp. 30ff; Reusch, History of East Africa, p. 70 .

٧ - Stigand, The Land of Zing , p. 29 .

٨ - A. Warner. art "Mombassa" , Encyc of Islam Vol. 3(2) (London, 1943), p. 552, Stigand, Op. Cit, p. 30, Reusch,

Op. Cit, P. 74.

S. Trimingham. Islam in East Africa (London, 1964)

- ٩

p.4.

حمدى السيد ، الصومال ، ١٩٥٠م ص ٣٥٠ ، عبد الرحمن زكى . الإسلام
والمسلمون فى شرق أفريقيا (القاهرة ، ١٩٦٥م) . ج ١ ، ص ٧٧ . انظر
تفصيلات أكثر عن الزيدية ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى . تاريخ الأمم
والملوك ، ج ٥ ، ص ٤٨٢ - ٤٩١ ، المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص
١٨١ .

١٠ - القرامطة ينتسبون إلى حمدان قرمط الذى تحرك بسواد الكوفة ونشر الرعب
مع جماعة فى جميع أنحاء الجزيرة العربية وسوريا والعراق ، وكانوا
يعتقدون فى أئمة الشيعة الستة ما عدا موسى الكاظم ، رغم أنهم قبلوا
بأخيه اسماعيل . وكانوا فى البحرين بزعامة أبى سعيد الجنابى ، وانتصروا
على جيوش الخليفة المعتضد ، وقتل أبو سعيد عام ٩١٣ ، وتولى ابنه أبو
طاهر القيادة ، وانقضوا على مكة فى عهد المقتدر سنة ٣١٧ هـ وقتلوا
الحجاج ودنسوا الكعبة ، وهب المسلمون قاطبة للقضاء على أعداء
الانسانية ، وانتهى أمرهم أخيرا بالقضاء على هذه الفتنة ، إلا أنهم أحوالوا
جزيرة العرب وقسما من بلاد الشام إلى أراضى خراب . أبو الحسن على بن
الكرم بن محمد الشيبانى ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، ج ٦ ، ص ٦٩
- ٧٠ - ٧١ و ص ١٧٥ - ٢٩٩ / انظر أيضا : سيد أمير على ،
مختصر تاريخ العرب ، (القاهرة ، ١٩٦٧م) ص ٢٦١ - ٢٦٦ .

Trimingham , p . 4 , Reusch, p. 87 .'

Reusch, Op. Cit., P. 90

- ١١

١٢ - مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٩٨ .

١٣ - Stigand, p. 30. ; J. Gray , History of Zanzibar from the Middle Ages to 1856 (London 1962,) p. 11 .

١٤ - Z. March, & G.W., Kingsnorth,, An Introduction to the History of East Africa (London 1966) p.8.

١٥ - حمدى السيد ، المرجع السابق، ص ٣٥٥ ، انظر أيضا توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام (ترجمة) حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين (القاهرة ١٩٤٧) ص ٢٨٧ ، وانظر كذلك: عبد الرحمن زكى، المرجع السابق، ص ٧٧ . انظر أيضا :

Enrico Ceruli Cart. "Makdishu" , Encyc. of Islam, Vol III , p.165.

١٦ - مروج الذهب، ج ١ ، ص ١٩٨ / راشد البراوى ، ص ١٩ . انظر أيضا :

Reusch, p. 85., Stigand, pp. 7 - 8 .

١٧ - Freeman & Crenville, The East African Coast (Select Documents from the first to the earlier Nineteenth Century (Clarendon Press 1962) p. 84 .

- ١٨ Gray p. 22 .

١٩ - معجم البلدان ، ج ٨ ، ص ١٢٠ .

٢. - عماد الدين اسماعيل بن محمد عمر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ١٦٠ - ١٦١ (مكان وتاريخ النشر بدون) .
- ٢١ - حمدى السيد ، المرجع السابق ، ص ٣٥٥ .
- ٢٢ - Hamer ، معناها أرض الذهب الصومالية ، انظر : حمدى السيد ، ص ٣٥٧ .
- ٢٣ - حمدى السيد، ص ٣٥٦ .
- ٢٤ - عبد الرحمن زكى - ص ٧٢ .
- ٢٥ - حمدى السيد ، ص ٣٥٧ ، Reusch , Op. Cit., p. 86 .
- ٢٦ - حمدى السيد، ص ٣٥٧ .
- ٢٧ - أرنولد ، ص ٢٨٧ .
- ٢٨ - مقديشو (مقديشو) بالفتح، ثم السكون، وفتح الدال، وشين معجمه (ياقوت، المصدر السابق، ج ٨ ، ص ١٢٠) ، مضبوط بالشكل كذا بفتح الميم، وسكون القاف ، وكسر الدال المهملة، وضم الشين المعجمة، وفى آخره واو : أبو الفداء ، ص ١٦٠ .
- ٢٩ - Enrico Ceruli, art. "Makdishu," Encyc. Of Islam, Vol. 111, p. 165 .
- ٣٠ - حمدى السيد ، ص ٣٥٧ .
- ٣١ - حمدى السيد ، ص ٣٥٨ .
- ٣٢ - Stigand, p.7 Freeman & Grenville, p. 84. Reusch, p. 85 -
- ٣٣ - Enrico Ceruli, art. "Makdishu," Encyc. Of Islam, Vol.-

111, p. 165, Reusch, pp. 85-151, Stigand, p.7

انظر أيضا : ياقوت ، ج ٨ ، ص ٢٠ .

Enrico Ceruli, art. "Makdishu," Encyc. Of Islam, Vol. - ٣٤

111, p. 165,

٣٥ - جمع لكلمة مقديشو (حمدي السيد ، ص ٣٥٦) .

Enrico Ceruli, Op. Cit. , p. 165 . - ٣٦

Enrico Ceruli, p. 165 . - ٣٧

Op. Cit. p. 165 . - ٣٨

Ibid , p. 165 . - ٣٩

٤٠ - مروج الذهب، ج ٢ ، ص ٦ / حمدي السيد، ص ٣٥٥ .

٤١ - مركه، اماره إسلامية على المحيط الهندي في الساحل الشرقي لأفريقيه

وهي جنوب مقديشو وشمال براوة. ومركه على شطى نهر يخرج من مقديشو

ويصب على مرحلتين من المدينة في شرقها ومنه فرع يكون خورا لمركه.

ومركه بالميم والراء المهملة ثم كاف في الآخر. أبو الفداء، المختصر في تاريخ

البشر، ص ١٦٢ - ١٦٣ .

Reusch, Op. Cit. , p. 85 . - ٤٢

٤٣ - أبو الفداء ، المختصر ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .

Stigand, Op. Cit. , pp. 9 - 10 . - ٤٤

٤٥ - حمدي السيد ، ص ٣٦٠ .

٤٦ - المرجع نفسه .

- ٤٧ - المرجع نفسه .
- ٤٨ - Stigand, p. 52 .
- ٤٩ - Trimingham, Op. Cit., p. 3 / Reusch, p. 85 .
- ٥٠ - حمدى السيد ، ص ٣٥٩ .
- ٥١ - عبد الرحمن زكى، ص ١١٨ .
- ٥٢ - بن معناها الفضاء الكبير كذلك، (حمدى السيد، ص ٣٥٨ - ٣٥٩) .
- ٥٣ - حمدى السيد ، ص ٣٥٩ .
- ٥٤ - المرجع نفسه .
- ٥٥ - Stigand, Op. Cit. , p. 30 ff. "Reusch, Op. Cit, p. 185 ff
- Enrico Ceruli, art. "Makdishu," Encyc. Of Islam, Vol. 111, p. 165,
- ٥٦ - أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتى الطنجى ابن بطوطه ، تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الأسفار (القاهرة ١٣٢٢ هـ) ص ١٨٩ - ١٩٢ .
- ٥٧ - ابراهيم على طرخان ، الإسلام والممالك الإسلامية فى الحبشة (القاهرة ١٩٥٩) ص ٤٢ .
- حسن ابراهيم حسن، انتشار الإسلام فى القارة الافريقية ، ص ٣٣ .
- Enrico Ceruli, p. 165
- ٥٨ - W. Basil , & Worsfold. Portuguese Nyassaland- (London - 1899) p. 22 .
- ٥٩ - James . Duffy, Portuguese Africa (London, 1961)

p. 26 .

٦٠ - حمدى السيد ص ٤٨٩ - ٤٩١ .

Franz Babinger , art. "Sofala," Encyc, of Islam .

Vol. 4 (1) p. 472; Freeman & Grenville, Op. Cit., p. 59 .

٦١ - M., Guillian Documents sur l'histoire , la geographic et le commerce de l'Afrique Orientale, 3 Vols (Paris 1956, p.

33 See also Reusch, Op. Cit., p. 45 .

٦٢ - براوة، امارة عربية خضعت لحكم الأخوة السبعة عام ٩١٣، وهى بالقرب من
مقديشو .

٦٣ - حمدى السيد ، المرجع السابق ، ص ٣٤٦ .

٦٤ - حمدى السيد ، المرجع السابق ، ص ٣٢٦ .

٦٥ - مخطوط نشره مع مقدمة بالفرنسية - رينيه باسيه حققه فهم شلتوت
(القاهرة ، ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م) .

٦٦ - حمدى السيد ، المرجع السابق ، ص ٣٥٣ .

٦٧ - حمدى السيد ، المرجع السابق ، ص ٣٥٣ .

٦٨ - انظر : عرب فقيه، فتوح الحبشة ، ص ٥٧ وما بعدها .

٦٩ - عرب فقيه ، ص ٧٦ .

٧٠ - حمدى السيد ، المرجع السابق ، ص ٣٦٠ .

٧١ - شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى ، الضوء اللامع لأهل القرن
التاسع، (القاهرة ١٣٥٣ هـ ج ١ ، ص ٢٣٢ ، جمال الدين أبى المحاسن

يوسف ابن تغرى بردى .

المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، تحقيق أحمد نجاتى ، (القاهرة ١٩٥٦)

ج ١ ص ٢٢٦ - ٢٢٧ . السخاوى ، الضوء اللامع، ج ٥ ، ص ١٦٠ .

٧٢ - ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ج ٨ ، ص ١٥٢ .

٧٣ - ياقوت ، المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٤٣ .

Trimingham, Op. Cit. p. 18 Seq. - ٧٤

الضياع الأُموية في الشام في العصر العباسي

بقلم : أ. د. عبد المنعم هاجد
أستاذ التاريخ الإسلامي،
والخبير الوطني لمركز الدراسات البديعة
بجامعة عين شمس

وجد ديوان الضياع^(١) فى عهد العباسيين ؛ لينظر أصلا فى أمر الضياع التى كانت فى حوزة الأمويين فى الشام «ضياع بنى أمية»^(٢) . فكان ظهوره يعنى أن العباسيين قد قضوا نهائيا على الأمويين، وأنه أصبحت لهم السيادة الكاملة على ممتلكاتهم . فهو ثمرة للانتصار الحربى ، والتفاعل النفسى عند العباسيين نحو الأمويين .

ومع أن البحث عن تفاصيل هذا الديوان أو غيره ؛ ليس بالأمر السهل ؛ لأن المادة التاريخية تكون عادة متوفرة لسرد تاريخ الحروب؛ إلا أنها تكون قليلة ، أو حتى نادرة ؛ لنظم الدولة السياسية . ومع ذلك ؛ فإن هذه المادة القليلة عن هذا الديوان ، مكتتنا من القبض على الخصائص والأهداف، التى استوجبت ظهوره ؛ ولا سيما أن المؤرخ يضغط المادة التاريخية المتاحة بحديثاته .

ولا شك أن الحفر وراء ظهور ديوان الضياع العباسى؛ يبين قبل كل شئ ؛ علاقته الوثيقة بالجهاز الإدارى فى دولة العباسيين، الذى اتخذ شكلا بيروقراطيا ملحوظا؛ بهدف أن الأوامر الإدارية تصدر عن العاصمة بغداد وحدها إلى الأقاليم. حقا إن كلمة ديوان فارسية الأصل، وتعنى الكتاب والحيز المكائى الذى يجمعهم، وأن عمر بن الخطاب (١٣ - ٢٣ / ٦٣٤ - ٦٤٤) ؛ هو أول من عمل بنظام الدواوين الفارسية ؛ فقبل إن عمر دون الدواوين^(٣)، وهى التى انتقلت فى عهد

(١) الجهشيارى ، كتاب الوزراء والكتاب ، تحقيق السقا والأبيارى ، ط ١ ، القاهرة ١٣٥٧ /

١٩٣٨، ص ٢٧٧ ؛ انظر Ency of Isl (art DIWAN) 2ed , T. 2, p. 324 .

(٢) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ٩ ص ٣٠٨ س ١٨ .

(٣) المارردى ، الأحكام السلطانية ، ص ١٧٥ .

الأمويين من المدينة إلى دمشق ، ثم عربها^(١) عبد الملك بن مروان (ت ٦٥ - ٦٨٥ / ٨٦ - ٧٠٥) ؛ بعد أن كانت تكتب بلغات الشعوب المفتوحة ؛ إلا أن التنظيم الديوانى البسيط، فى عهدى الراشدين والأمويين ؛ قد تضخم تضخما كبيرا على يد العباسيين .

ومع ذلك ؛ فإن ظهور ديوان الضياع العباسى ارتبط قبل كل شىء بالنظام المالى العباسى ، الذى قام على أنقاض النظام المالى السابق فى عهد الأمويين . فكانت الدولة العباسية بأيدولوجيتها من الشعبية، التى قامت على أكتافها ، ولاسيما الفرس ؛ لديها القدرة على استيعاب أنظمة مالية جديدة. فديوان الضياع لم يكن له وجود قبل العباسيين؛ كما لم يكن للعباسيين ضياع من قبل .

وقد ظهر ديوان الضياع العباسى؛ بظهور دولة العباسيين فى عهد أبى العباس السفاح (١٣٢ - ١٣٦ / ٧٥٠ - ٧٥٤) ، أول الخلفاء العباسيين، باسم : ديوان المحجوزة^(٢) ؛ ليعنى الحجز على ممتلكات الأمويين ، بما فيها ضياع الخلفاء الأمويين وأفراد أسرهم. فلدينا نص يقول^(٣) : إن أبا العباس استولى على ضياع مروان وآل مروان. ولكن فى عهد أبى جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨ / ٧٥٤ - ٧٧٥) ، الذى اعتبر المؤسس الحقيقى للدولة العباسية، وتسلسل عنه بقية الخلفاء العباسيين ، وليس عن أخيه، ظهر هذا الديوان باسم : ديوان الضياع^(٤)؛ ليعنى فى مضمونه ، مثلما كان يعنى فى عهد سلفه؛ مصادره ضياع الأمويين فى الشام ؛

(١) كتب ديوان الجند بالعربية ؛ منذ عمر بن الخطاب .

(٢) الجهشيارى ، ص ٩٠ ؛ انظر : ماجد ، العصر العباسى الأول ، ط ٣ ، ص ١١٠ .

(٣) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

(٤) الجهشيارى ، ص ٢٧٧ ؛ وقبله .

لحساب العباسيين . حقا إنه وجد في عهد المنصور ديوان آخر للمصادرة (١)؛ ولكنه لم يكن له علاقة بضياح الأمويين ، وإنما بالأولى بمصادرة ممتلكات أعدائه السياسيين، وهم كثيرون .

كذلك لا نظن بأن عمل ديوان الضياح العباسي، والدولة ناشئة ، اقتصر على مصادرة الضياح الأموية وحدها ، وإنما امتد نشاطه إلى مصادرات أخرى ؛ فقد ذكر أنه : استصفيت أموال الأمويين (٢) . فقد كان للأمويين اقطاعات عديدة؛ حدثت لهم في الشام ؛ منذ عهد عثمان بن عفان (٢٤ - ٣٥ / ٦٤٤ - ٦٥٦) ؛ فيما عرف بأرض الصوافي (٣) ؛ وهي أرض امتلكها العرب من الروم ، وأصبح أمرها للخليفة الأموي (٤)، يقطع منها ما يشاء . ومن بعد قام معاوية ابن أبي سفيان ؛ بمسح شامل لأرض الصوافي في بلاد الشام، واستصفى لنفسه ، وأقطع أهل بيته بل في عهد عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦ / ٦٨٥ - ٧٠٥) ؛ من كثرة ما أقطع من أرض الصوافي؛ لم يبق شاغر في الشام (٥) .

فكان ديوان الضياح العباسي ، مثل غيره من الدواوين العباسية الأخرى ؛ يوجد في بغداد العاصمة؛ بالعراق. فالإدارة في الدولة العباسية إدارتان ؛ إدارة مركزية في العاصمة ، وإدارة خاصة في الأقاليم؛ وإن كانتا مرتبطتين. ولذلك اهتمت الدولة

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، ٣ ص ١٢٧ ؛ ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١١٥ ؛

انظر . Ency of Isl , T. 2 p. 324 .

(٢) الطبري ، ٩ ص ٣٠٨ س ١٤ .

(٣) ابن عساكر، التهذيب لابن بدران ، ١ ص ١٨٣ .

(٤) ابن عساكر ، التهذيب لابن بدران ، ١ ص ١٨٢ .

(٥) اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ ص ٢٣٤ .

العباسية بالبريد^(١) ووسائله ومحطاته والطرق المؤدية إلى الأقاليم، التي عرفت باسم: المسالك ؛ لربط بغداد العاصمة بالأقاليم. كذلك وجد في عهد محمد المهدي العباسي (١٥٨ - ١٦٩ / ٧٧٥ - ٧٨٥) ، دواوين الزمام وزمام الأئمة^(٢)؛ لمراقبة الأموال في الدواوين العباسية جميعها؛ بما فيها أموال الأقاليم؛ حيث وجد ديوان باسم: ديوان زمام الشام^(٣). وربما كان الإشراف على ديوان زمام الأئمة ، وهو في العاصمة ؛ للوزير ، الذي كان منصبه غير موجود في العصر السابق ؛ إلا على سبيل المجاز .

وثمة أمر آخر أن ديوان الضياع العباسي لم يكن مقطوع الصلة بديوان الخراج^(٤) في العاصمة بغداد، وهو يتعلق بضريبة الأرض ، حيث نشأت مجموعة من الدواوين تتبعه، منها ديوان خراج الشام^(٥) ، الذي اعتبر فرعاً له في الشام ، وكان المنصور يوليه لأهل الشام^(٦). ولم يكن ديوان الخراج قبل المنصور ديواناً، وإنما يعبر عنه بيت المال^(٧) ، الذي صار هو الآخر ديواناً؛ يجتمع فيه الفائض من الموارد

(١) الجهشيارى ، ص ١٠٠ - ١٠١ ؛ الفخرى ، ص ١٤٨ ؛ صبح الأعشى ، ١٤ ص ٣٩٥؛ انظر : سعادوى ، نظام البريد في الدولة الإسلامية ، القاهرة ١٩٥٣ : ٢ Ency of Isl (art BARID) 2ed, T I, p. 1045 sqq

(٢) الجهشيارى ، ص ١٤٦ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ؛ الطبرى ، ١٠ ص ١١ ؛ فتوح البلدان ، ص ٤٦٤ . ظهر ديوان الزمام في عام ١٦٢ / ٧٧٨ ، أما ديوان زمام الأئمة في ١٦٨ / ٧٨٤ .

(٣) الجهشيارى : ص ١٦٨ ؛ خليفة بن خياط ، تاريخ ، ٢ ص ٤٧٤ ، ٤٨٠ .

(٤) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٨٠ - ٨١ ؛ انظر

Ency of Isl (art Kharadj) 2ed, T 4 , p. 1030 sqq. هي كلمة سريانية الأصل استعريت .

(٥) الجهشيارى ، ص ٧٧ . كفله المنصور لصالح بن على ؛ مع خراج مصر وإفريقية .

(٦) الطبرى ، ٩ ص ٢٩٧ س ١١ .

(٧) الجهشيارى ، ص ٢٧٧ . بعامة ، انظر .

Ency of Isl (art Bayt al - Mal) 2ed, T I, p. 114 sqq.

العامّة، أو الصوافى من المال والبضائع، بل وجد بجانبه ديوان لهذه الصوافى؛ وهى الباقى عن حاجة الإقليم من النفقات المحلية؛ كأعطيات الجند، وما يلزم لحفظ الطرق، وصيانة المرافق العامة . فثراء الدولة يقاس عادة على أساس ما يتبقى لها من مال؛ على سبيل الاحتياط.

فالضياع والأقاطيع فى الشام هى أرض، والأرض تفرض عليها ضريبة الخراج. فكل قطعة أرض عليها بالضرورة مقدار من المال؛ حسب التشريع المالى فى الدولة الإسلامية. فكان الخراج أو ضريبة الأرض يفرض بالمساحة منذ أيام الخلفاء الأوائل، ثم أصبح يدفع بالمحصول منذ عهد المهدي العباسى، وهو ما عرف بطريقة المقاسمة^(١). ويؤكد على ذلك أن بعض أهالى الضياع من المزارعين بفلسطين، كانوا قد هجروها؛ فأرسل إليهم هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ / ٧٨٦ - ٨٠٩) ، قائده هرثمة بن أعين لعمارتها؛ على أن يخفف عنهم الخراج ؛ فعرفوا بأصحاب التخفيف^(٢). فقد كان من يعمل فى ضياع الشام ، من أهل الشام ؛ حيث أن عرب الشام لم يعودوا مشغولين بالحروب . وتوجد ملاحظة بخصوص أرض الشام للكاتب الفارسى المعروف ابن المقفع^(٣) (حوالى ١٣٩ / ٧٥٦)، الذى عمل من قبل فى دواوين

(١) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٤٣؛ فتوح البلدان ، ص ٢٨٠ - ٢٨١؛ الماوردى ، أحكام ، ص

١٣٤ ؛ انظر الرئيس ، الخراج ، ص ٤٣٠ ؛ الخضرى ، محاضرات ، ص ٢١ .

(٢) فتوح البلدان ، ص ١٥٠ .

(٣) وهو من أهل جود، قرب شيراز؛ عمل لابن هبيرة والى العرق، من قبل الأمويين. الجهشيارى ،

ص ١٠٩ ؛ انظر . 5 - 1883 . T 3 . p. 1883 - 5 . Ency of Isl (art Ibn al - Mukaffa) 2ed.

الأمويين بالعراق ، فى رسالته للمنصور المعروفة : برسالة الصحابة^(١)، يقول فيها:
ومن العدالة أن تترك واردات خراج الشام لمتطلبات أهلها، وإرسال ما تبقى لبيت
المال.

وقد استمر وجود ديوان الضياع فى عهد خلفاء المنصور؛ بما يبين أنه قد أصبح
من أسس نظام الدولة العباسية؛ فقد وجد ديوان الضياع^(٢) فى عهد هارون الرشيد.
وفى عام ٩٢٧/٣٢٥، أى حوالى زهاء قرنين من الحكم العباسى، وجد ديوان
باسم: الضياع الخاصة والمستحدثه^(٣)؛ مما يعنى الضياع العباسية السابقة، وما
استحدث من ضياع بعد ذلك. كذلك بقى لديوان الضياع العباسى على طول حقبة
الحكم العباسى ؛ مضمونه فى شكل المصادرة، الذى وجد له منذ قيام الدولة
العباسية. ففى عام ٩١٣/٣٠١، وجد ما سُمى بديوان الضياع المقبوضة^(٤)، أو
ديوان المصادرة^(٥).

فكان ديوان الضياع العباسى، مثل غيره من الدواوين فى بغداد عماده كاتب

(١) نشرت فى جمهرة رسائل العرب؛ لأحمد زكى صفوت، ٣ ص ٢٥ وما بعدها؛ انظر . الرئيس ،

الخراج ، ص ٤١٢ - ٤١٤ .

(٢) الجهشيارى ، ص ٢٧٧ .

(٣) الصابى ، الوزراء ، ص ١٢٣ - ١٢٤ ؛

انظر Ency of Isl (art DIWAN) 2ed , T. 2, p. 325 .

(٤) الصابى ، الوزراء ، ص ٢١ ، ٣٠ ؛ مسكويه ، تجارب ، ١ ص ٨٤ ؛

انظر Ency of Isl , T. 2, p. 325 .

(٥) الصابى ، الوزراء ، ص ٣٠٦ ، ٣١١ .

الديوان ، وهو من أرياب الأقلام ، وعرف عادة باسم : وكيل الضيعة^(١) ، وهو فى العصر العباسى الأول كان من موالىهم الفرس^(٢) ؛ وإن كان اختياره أصبح يتوقف على خبرته فى شئون المال، ومعرفته بالتقنية الزراعية ؛ لأن الضياع أصلها مزارع . ومن المعروف أن الشام تعد بأراضيها من أخصب البقاع المزروعة؛ فقد اعتبرت جنة الأرض^(٣) للعرب الفاتحين الأوائل، وفضلوها على الحجاز، وبقوا فيها. ولما أصبحت الشام دار خلافة فى عهد الأمويين؛ فإن أرضها استغلت أعظم استغلال^(٤)؛ فالأراضى تتميز إذا اعتنى بها. فقد ظهرت عناية فائقة من خلفاء الأمويين؛ بوسائل الري، التى تساعد على الانتفاع بمصادر الماء . فتوجد فى الشام أنهار كبيرة وأخرى صغيرة عديدة؛ مثل : بردى، والعاصى ، والأردن، وقويق ، وأبى فطرس ، وغيرها. كذلك أحتفرت القنوات^(٥) ، واهتم بالترع، والآبار، والعيون المائية، وبناء صهاريج الأمطار^(٦) .

(١) الجهشيارى ، ص ١٨٠ .

(٢) أولهم مولى أبى العباس ، عمر بن حمزة . الجهشيارى ، ص ٩٠ ؛

انظر . Ency of Isl (art Katib) 2ed , T 4 , p. 756 .

(٣) الراقدى ، فتوح الشام ، ٢ ص ١١٨ س ١ وما بعدها ؛ انظر . ماجد ، الدولة العربية ، ١ ص

١٨٥ - ١٨٦ .

(٤) صبح ، ٤ ص ٨٦ - ٨٧ .

(٥) معجم البلدان ، ٣ ص ٤٨ ، ٤ ص ٤٧٠ .

(٦) فتوح البلدان ، ص ١٤٩ .

فكانت الضياع الأموية في الشام ، التي استولي عليها العباسيون كثيرة ومنتشرة في كل مكان؛ حيث أشار إلى ذلك البلاذري في عدة مواقع ^(١). بل إن المنصور أمر مهندسين له بتصويرها ^(٢) ؛ فصوروها ، وعرضوها عليه؛ حتى لا يفلت منها شيء. كذلك أمر المنصور بإحصاء أراضي الشام، وأرسل إلى دمشق إسماعيل بن عباس «عدّل أراضيها» ^(٣). فكان مسحها بذراع - وهو مقياس للأرض - سمي الهاشمية ^(٤) ؛ نسبة إلى أسرتهم . فكان ما يثبت منها في الدواوين في عهد المنصور، يكون عادة في صحف ؛ فقد ذكر القرطاس والقراطيس ^(٥) ؛ وهي تسمية للفائف البردي المصرية ، التي كان يكتب فيها؛ ولكنها أصبحت في دفاتر ^(٦) منذ عهد الرشيد، ربما لظهور صناعة الورق. ولعل السبب في إحصاء الأراضي في عهد المنصور؛ على حسب ملاحظة أخرى لابن المقفع ^(٧) ؛ أن فترة الانتقال بين الدولتين ؛ الأموية والعباسية؛ قد أضاع الأوراق الخاصة بالأراضي، ولا سيما في الأقاليم . وقد كثر استخدام لفظة «الضياع» ، ومفردها «ضيعة» ، في الشام منذ عهد

(١) نفسه ، ص ١٥٧ - ١٥٨ ؛ انظر : الريس ، الخراج ، ص ٣٦٤ وما بعدها .

(٢) الجهشيارى ، ص ١٢٣ .

(٣) نفسه ، ص ٢٧٧ .

(٤) الماوردي ، الأحكام ، ص ١٣٧ ؛ انظر : صبحي الصالح ، نظم ، ص ٤١٣ .

(٥) الجهشيارى ، ص ١٠٢ ، ١٣٨ .

(٦) نفسه ، ص ٨٩ ؛ بعامة : .Ency of Isl (art Daftar) 2ed, T2 , p. 77 .

(٧) الجهشيارى ، ص ١٠٩ ؛ جمهرة رسائل العرب، ٣ ص ٢٥ وما بعدها .

معاوية؛ وإن أطلق عليها الزراعة»^(١) أيضا ؛ لتعنى المزرعة. ومع ذلك : فلم تكن الضياع الأموية فى الشام أرضا للزراعة فقط ؛ وإنما دور وقصور وبساتين؛ حيث اشتهرت الشام فى وقت الأمويين بالبستنة. فشمّل العمران فى عهد الأمويين البادية والحضر، واستحدثت المدن الجديدة ، بما فيها عواصمهم الصحراوية ، وامتلأت دمشق ذاتها بالقصور والدور والبساتين الكثيرة^(٢) .

فكانت الضياع التى استولى عليها العباسيون من الأمويين ؛ تعرف «بضياع الخلفاء»^(٣) ؛ وهى الضياع النفيسة^(٤) ؛ كما أعطى البعض^(٥) لأفراد أسرة الخلفاء العباسيين، الذين أصبح يطلق عليهم الأشراف^(٦)؛ حيث كانت تجرى لهم فى دواوين الدولة الإموال ، أو ما عرف بعطاء الذرية^(٧) . كذلك وجد فى عهد العباسيين^(٨) بيع

(١) الكامل ، ٥ ص ٤٩٧ .

(٢) ابن عساكر ، تهذيب بدران ، ٦ ص ٥٥ ؛ اليعقوبى ، البلدان ، ص ٣٢٦ .

(٣) فتوح البلدان ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

(٤) الجهشيارى ، ص ١١٠ ؛ معجم البلدان ، ٤ ص ٣٢١ .

(٥) فتوح البلدان ، ص ١٥٧ - ١٥٨ ، ١٨٧ - ١٩٨ ؛ الطبرى ، ٩ ص ١٩٦ .

(٦) العيون والحقائق ، ص ٢٦٠ .

(٧) العبر ، ٣ ص ٣١٩ . أمر المنصور لعمومته ؛ لكل منهم بألف ألف «مليون» من بيت المال، وكان

أول خليفة أعطى ألف ألف «مليون» . الطبرى ، ٩ ص ٣٠٨ س ٥ - ٧ .

(٨) الجهشيارى ، ص ١١٠ ؛ فتوح البلدان ، ص ١٥٣ - ١٥٤ ؛ معجم البلدان ، ٣ ص ١٠٩ .

لبعض الضياع ؛ كما أجرت اقطاعات من الأرض لمدة معينة، بنظام الإيجار أو الإيفار^(١) ، وهو ما عرف بالأرض المغلة^(٢) ، أو حق رد بعض الضياع لأصحابها. واللافت أن بعض أصحاب الضياع من غير الأمويين ؛ كانوا يحولون^(٣) اسم ضياعهم على اسم عباسين كبار ؛ حتى لا تضيع من أيديهم .

فندكر من الضياع التى آلت إلى العباسيين من الأمويين فى الشام: ضيعة لمعاوية فى البلقاء، اسمها: «بقبش»^(٤)، التى صارت لبعض أولاد المهدي. كذلك أخذت ضياع الوليد، التى كانت عند الساحل بأنطاكية^(٥)، وصارت هى الأخرى لأبناء المهدي، ثم انتقلت من بعدهم إلى الخليفة المتوكل. كما أخذت ضياع سليمان^(٦)، وضيعة الزيتونة لهشام^(٧). بل إن إقطاع «بالس»^(٨)، الذى كان لمسلمة بن عبد الملك، وحفر له نهر عرف باسمه؛ استولى عليه عبد الله بن على؛ لما كان بالشام، ثم أقطعه لمحمد بن سليمان، ثم صار للرشيد، ومن بعده المأمون .

(١) المارردى ، الأحكام ، ص ١٦٨ - ١٦٩ .

(٢) لسان العرب ، ٨ ص ٢٣٠ .

(٣) الطبرى ، ٩ ص ٣٠٨ س ١٧ .

(٤) الجهشيارى ، ص ١١٨ .

(٥) فتوح البلدان ، ص ١٣٥ .

(٦) نفسه ، ص ١٥٣ - ١٥٤ ؛ معجم البلدان ، ٣ ص ١٠٩ .

(٧) الكامل ، ٥ ص ٢٩٣ .

(٨) الطبرى ، ٧ ص ٢٥ ؛ مروج ، ٣ ص ٢١١ .

(٩) الجهشيارى ، ص ١١٠ ؛ معجم البلدان ، ٢ ص ٣٢١ .

وهكذا يتبين ، أن هذه الضياع اعتبرت فى الدولة العباسية ميراثا للخلافة ؛ على أساس أن الخليفة العباسى؛ له وحده الحق فى أموال المسلمين ؛ وهو ما يتمشى مع العقيدة الجديدة التى صارت إليها الخلافة فى عهد العباسيين؛ بحيث صيرت فى شكل فقهى أن الخلافة ميراث ؛ وليست كخلافة الراشدين أو الأمويين . فيؤثر عن المنصور قوله (١) : إنا سلطان الله فى أرضه ، أسوسكم بتوفيقه وتسديده ، وأنا خازنه على فيئه ، أعمل بمشيئته ، وأقسمه بإرادته ، وأعطيه بإذنه .

* * *

وقصارى القول إن ديوان الضياع العباسى؛ ظهر باسمه فى عهد المنصور؛ بضمونه فى مصادرة الضياع الأموية فى الشام ؛ وأن العقيدة العباسية وقتذاك اعتبرت ضياع الأمويين فى الشام ميراثا للخلفاء العباسيين ؛ يجرى عليها ما يجرى على الميراث .

(١) الطبرى . ٩ ص ٣١٠ .

**" المصادرات وأثرها
على استقرار الملكية "**
في عهد الخليفة المقتدر بالله
٢٩٥ - ٣٢٠ هـ / ٩٠٧ - ٩٣٢ م

اعداد

د . ضيف الله بن يحيى الزهراني

الأستاذ المشارك بقسم الحضارة والنظم الاسلامية

بجامعة أم القرى

ص . ب (٦١٩٨)

" بسم الله الرحمن الرحيم "

المقدمة :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله . أما بعد :
فقد أولت شريعتنا السمحة الأموال كل عناية ورعاية وإهتمام ، وأمرت بضرورة المحافظة عليها ، فشرعت الرقابة العامة على الأموال ، وشرعت محاسبة كل من تسول له نفسه بالعبث أو الاختلاس من أموال الدولة ، وقد جرت بالفعل محاسبة كل من شاب تصرفه شائبه فى هذا الشأن ، وقد شكلت أموال المختلسين والثائرين جزءا من موارد بيت المال فى القرن الأول الهجرى (١) .

وكانت المصادرة فى بادىء الأمر مؤقتة تكمن وراء عوامل سياسية أو تنظيمية ، أو شخصية ، إلا أن المصادرة تطورت خلال فترة خلافة المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ) من ناحيتى الأسباب والمظاهر ، فقد وضع من خلال هذه الدراسة أن السبب الأساسى والرئيسى " هو الطمع فى أموال المصادرين بدافع الحاجة إلى الأموال " (٢) وقد رأى الباحث أن يلمس هذا الخلل المدمر فى جسم دولة المقتدر ، فعقد العزم بإذن الله على الكتابة فى موضوع المصادرات لكشف هذا الداء والوقوف على أسباب المصادرة وفئات المصادرين ونوعية المادة المصادرة ، ثم الحديث عن الجهاز الإدارى الذى كان يتولى عملية الإشراف والتنظيم ، وأخيرا الكشف عن الأثر الذى سببته المصادرات على استقرار الملكية . وكانت الدراسة فى هذا البحث على النحو التالى :

المدخل :

يشتمل مدخل هذا البحث على جانبين مهمين : الجانب الأول : عن شخصية

الخليفة المقتدر موضوع الدراسة ، والجانب الثانى عن الحالة المالية فى عهد المقتدر بالله ، وذلك بشكل مختصر وموجز .

الجانب الأول : شخصية المقتدر بالله :

هو ابو الفضل جعفر بن أحمد المعتضد بالله بن أبى أحمد الموفق طلحة بن جعفر المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبدالله المنصور ابن محمد ابن على بن عبدالله بن العباس ^(٣) ، ولد يوم الجمعة ٢٨٢/٩/٨ هـ / ٨٩٥ م ، نشأ الأمير جعفر فى قصر الخلافة بين أحضان والدته - شغب - وهى إحدى جوارى الخليفة المعتضد بالله ، وبحكم كونه ابنا من أم ولد ، فلا بد أنه نشأ بين الجوارى والحريم ، لم يتعلم من أمور الخلافة شيئا ، فلم يسهم بأى نشاط إجتماعى ولم يشارك فى حملة عسكرية قبل تولية الخلافة .

تولى الخلافة بعد وفاة الخليفة المكتفى بالله ، وكان ذلك بتاريخ يوم الأحد ١٣ / ١٢ / ٢٩٥ هـ / ٩٠٧ م ، وهو يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيام . وقد تولى الخلافة وهو صغير السن ، فغلب على الأمر أناس لا هم لهم إلا جمع الأموال وحياسة المناصب القيادية والإدارية فتعشرت أمور دولة المقتدر بالله وقاس خلال فترة حكمه أهوالا عظيما لم يكن فى مستواها وتكالبت عليه عناصر الغدر والخيانة حتى قتل فى ٢٦ / ١٠ / ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م خلفا وراءه دولة مفككة العرى ، منهارة القوى فكان حكمه وصمة عار فى جبين الدولة الإسلامية

الجانب الثانى : الحالة المالية فى عهد المقتدر بالله ، ونهدف من وراء هذه الفقرة إيضاح موقف دولة المقتدر المالى . ذلك الموقف الذى اتسم بالعجز المالى طوال الفترة التى حكمها المقتدر التى تمتد ما بين عامى (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ / ٩٠٧ -

٩٣٢ م) وقد أكدت جل المصادر والمراجع تلك الضائقة المالية ووصفت عهده بعهد التبذير والإسراف المفرطين .

ولعل هناك مجموعة من العوامل أدت إلى تفاقم الأزمة المالية نذكر منها :

(١) صغر سن الخليفة وضعف شخصيته ، فقد تولى الخلافة وعمره ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيام .^(٤)

(٢) تدخل النساء فى شؤون الخلافة . بحيث صار الخليفة تحت تأثيرهن حتى " غلب على الأمر النساء والخدم وغيرهم " ^(٥) وبرز من النساء أم المقتدر (شغب) والتي تلقت بلقب السيدة ، فكانت سيدة البلاط العباسى بدون منازع .

(٣) فساد النظام الإدارى ويأتى فى المقدمة ، فساد نظام الوزارة والمتبع لنظام الوزارة فى عهد المقتدر يدرك الضعف الحاصل فى منصب الوزارة ، فقد تولاه كل من يدفع مالا أكثر وأسرف الخليفة فى تولية الوزراء وعزلهم ، وتعرض معظمهم للمصادرة والسجن والقتل ، ومن هنا كان هم الوزير هو الحصول على الأموال لنفسه أولا ، ثم لسد نفقات الخلافة ثانيا ، ونتيجة لذلك أصبح نظام الإدارة من أفسد النظم ^(٦) .

(٤) تفشى الرشوة ، ويعتبر داء الرشوة من أخطر الظواهر التى ساعدت على تفاقم الوضع المالى ، فقد انتشرت الرشوة بين كبار موظفى الدولة بمافيهم الوزراء ^(٧) ، وقد تعاطاها الغالبية العظمى من موظفى دولة المقتدر ، فكانت النتيجة ، أن الجميع وقع فى أمر محرم شرعا .

فعندما استشرى سرطان (داء) الرشوة صاحب ذلك فساد النظام الإدارى

والمالى فوقعت الدولة تحت طائلة العجز المالى .

(٥) تدخل الجيش فى سياسة دولة المقتدر ، فقد قام قائد الجيش مؤنس بالتدخل فى حياة الخليفة بالإضافة إلى التدخل فى اختيار الوزراء وعزلهم ^(٨) وأصبح شغب الجند وهياجهم وإحداثهم الفتن أمر مألوفاً ^(٩) " ولاسيما فى سبيل الحصول على الأموال ، وكانت نتيجة تدخل الجيش فى سياسة الدولة أن تفاقمّت الأزمة المالية أولاً ، ثم الإطاحة بالخليفة وقتله على يد الجيش ^(١٠) فى ٢٦ / ١٠ / ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م ثانياً .

المصادر :

التعريف :

تحدثت كتب اللغة عن تعريف المصادر بإيجاز شديد ، فقد ذكرها ابن منظور بقوله " ومن كلام كتاب الدواوين أن يقال : صدر فلان العامل على مال يؤديه ، أى فيورق على مال ضمنه " (١١) وفى مختار الصحاح " صدره على كذا من المصادرة " (١٢) والمصادرة ، اصطلاح ، والصدر هو الرجوع بعد الامتلاء بالماء ويقابله الورد وهو عند اللغويين مثل الرجوع وكلمة صدر هى المال الذى يؤخذ من المصادر (١٣) وقبل بزوغ مصطلح المصادرة كان يسمى المال المأخوذ من العمال مشاطرة أو مقاسمة ، وفى عهد الدولة الأموية كان يسمى المال المستخرج من العمال بالأموال المستخرجة (١٤) ، أما نشأت مصطلح المصادر فظهر لأول مرة فى الدولة العباسية ، حينما كثرة المصادر ولاسيما فى الفترة الثانية من العصر العباسى الثانى . وقد ترسخ هذا المصطلح فى عهد الخليفة المقتدر بالله عندما أنشأ لهذا الغرض ديوانا خاصا بالمصادر (١٥).

ونستطيع القول بأن تعريف المصادر فى المصطلح العام هى :

" الأموال التى يستخرجها الخليفة وأعوانه من كل من مسته شائبة غدر وخيانة ، سواء من موظفى الدولة أو من فئات المجتمع الأخرى ووضع هذه الأموال تحت تصرف الخليفة ونظره " فتصادر الدولة الأموال او الممتلكات ، أى تنتزعها من صاحبها عقوبة له .

أسباب المصادر :

لقد أصبحت المصادر فى عهد الخليفة المقتدر بالله ظاهرة واسعة الانتشار

وتعددت الأسباب التى أدت الى شيوع المصادرات وانتشارها ، وقد أجملنا تلك الأسباب على النحو التالى :

أولاً : الأسباب المالية :

كان للأزمات المالية الدور الفعال فى وجود المصادرات والمتفحص لتاريخ الخليفة المقتدر يدرك أن أغلب المصادرات " قد جرت فى ظل أزمات مالية ، كانت الدولة فيها بأمس الحاجة الى ايجاد المال لسد نفقات الدولة ، ولكبح شغب الجيش الذى كان دائماً يطالب بإرزاقه المتأخرة (١٦)

فكان الخليفة يلجأ إلى مصادرة أعضاء حكومته متى ما كانت خزنته فارغة من الأموال (١٧) ، ونضرب على ذلك مجموعة من الأمثلة :

- لقد صادر الخليفة وزيره ، أبا الحسن بن الفرات على مبلغ عشرة ملايين دينار (١٨) لحاجة الدولة الى الاموال وفراغ بيوت الأموال ، وعجز الوزير عن توفيرها .

- وفى عام ٣٠١ هـ / ٩١٣ م ، صادر الخليفة وزيره الخاقانى (١٩) لعجزه عن توفير الأموال .

- وفى عام ٣١١ هـ / ٩٢٣ م صادر الخليفة وزيره حامد بن العباس (٢٠) للسبب نفسه .

- وفى عام ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م صودر الوزير الخاقانى وأبعد عن الوزارة لعجزه عن معالجة الضائقة المالية (٢١) وكذلك كان حال الوزير الخصيبى ، فقد تفاقت الأزمة فى عهده ، ولم تتوفر له الاموال اللازمة لسد نفقات الدولة مما جعله يلجأ إلى فرض الضرائب الباهظة على الناس واشتد فى المطالبة " ولم يدع عند أحد مالا

أحسن به إلا أخذه بأتعس ما يكون الأخذ " (٢٢) وكذلك كان الحال فى وزارة ابن مقله (٣١٦ - ٣١٨ هـ / ٩٢٨ - ٩٣٠ م) ثم فى وزارة سليمان بن الحسن بن مخلد (٣١٨ - ٣١٩ هـ / ٩٣٠ - ٩٣١ م) ، فكان العجز المالى هو السبب فى مصادرة الوزراء والتنكيل بهم ، وإبعادهم عن منصب الوزارة .

ثانيا : الأسباب السياسية :

" بلغت المصادرة ذروتها فى أيام المقتدر ، لأن الوزراء استخفوا به لصغر سنه ، وأفضى تدبير الأمور فى صدر أيامه الى أمه ونسائه وخدمه " (٢٣) وفى عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م قبض الوزير ابن الفرات على محمد بن عبدون (٢٤) وصادره ، وأوعز بقتله لأنه كان يطلب منصب الوزارة (٢٥) ، وفى عام ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م سخط المقتدر على أم موسى القهرمانه (٢٦) وقبض عليها وصادرها ، وقيل فى سبب مصادرتها :

أ - أن المقتدر مرض فبعثت إلى بعض أهله ليتولى الحكم .

ب - وقيل أنها زوجت بنت أخيها لمحمد بن اسحاق بن المتوكل ، فوشى بها الناس أنها ما فعلت ذلك إلا لكى تُنصب محمد بن اسحاق فى الخلافة (٢٧) .

وهنا ندرك أن تلك الحالات من المصادرة كانت تتم لأغراض سياسية أو شخصية ، فكان تدهور الأوضاع السياسية " من الدوافع التى أدت إلى المغالاة فى المصادرة

لتتخلص الدولة - ولو مؤقتا - من حالة العسر المالى الذى يعانى به بيت المال " (٢٨)

ثالثا : فساد الأنظمة الإدارية :

يأتى فى مقدمة الأجهزة الإدارية التى واكبها الضعف جهاز الخلافة وذلك لصغر سن الخليفة ، ثم جهاز الوزارة والدواوين ولعل أخطرها على الإطلاق هو جهاز الوزارة ، فقد أصبح من الضعف بحيث تولاه كل من يدفع مالا أكثر ، فانهسرت هيبة الوزراء وأصبح نظام الإدارة من أسوأ النظم ، نتيجة لتسلط الخدم والحشم ، والنساء ، والجيش على شؤون الدولة ونتج عن ذلك تعدد الوزراء ، بحيث بلغ عددهم فى عهد الخليفة المقتدر اثنى عشر وزيرا صودر معظمهم ، وماتبع ذلك الإجراء " من تغيير العمال الأكفاء فى أرجاء الدولة وما صاحب ذلك من إستبداد الحكام بالناس وسيطرتهم على أموالهم بدون حق ، وأدت هذه المظالم الى قيام الثورات " (٢٩) ، ثم " إن بعض الطامعين بالوزارة كان يتعهد للخليفة بأداء مبلغ كبير من المال مقابل حصوله على منصب الوزارة فأدى هذا الأسلوب الى زيادة حدة المنافسة وإلى المساومة على طلب الوزارة وأدى أيضا الى اضطراب شؤون الدولة والإدارة ، وعدم كفاءة الوزير ، حيث تولى هذا المنصب شخصيات ضعيفة كانت تسيء إلى البلاد " (٣٠) أمثال الوزير الخاقانى ، والوزير حامد بن العباس والوزير الحضيبي ، والوزير ابن مقله ، والوزير الحسين بن القاسم .

رابعاً : انتشار الرشوة ، والوشاية :

من أسوأ مظاهر عهد الخليفة المقتدر تفشى مرض الرشوة بين الوزراء وولاة الأقاليم ، ومرد ذلك إلى الخليفة نفسه ، وحاشيته ، ومن خلال استقراء فترة وزارة الخاقانى (٢٩٩ - ٣٠١ هـ / ٩١١ - ٩١٣ م) نجد أن أولاده سيطروا على مجريات امور الوزارة وسعوا جميعا للحصول على الرشوة وأسرف الوزير فى تولية العمال " حتى أنه ولى على الكوفة فى خلال عشرين يوماً سبعة من العمال ، دفع كل منهم رشوة كبيرة له " (٣١) ، وكان الخاقانى يحصل على الرشوة من كل عامل يوليه حتى قيل من الاشعار (٣٢) :

وزير مايفيق من الرقاعة يولى ثم يعزل بعد ساعة
إذا أهل الرشا صاروا إليه فأحظى القوم أوفرهم بضاعة

وقد استطاع ابن الفرات ان يتقلد الوزارة للمرة الثانية ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م بعد أن تعهد بتقديم مبلغ كبير للخليفة وحاشيته (٣٣) وقد أكد الأزدى على أن الخليفة ، كان يصانع الخدم ويستمع إليهم فى تولية الوزراء وعزلهم ، فقال فى ذلك " واستوزر المقتدر اثنى عشر وزيراً ، يولى هذا اليوم ، ثم يصانع الخدم فيعزله غدا ويولى الذى رشا " (٣٤)

أما عن الوشاية

فقد قامت بالدور الأكبر فى نكبة الوزراء ، وسجنهم ، وقتلهم فى غالب الأحيان " وسبب ذلك أن الخليفة كان يستمع الى أقوال المنافسين ويصفى الى مقالة الحاقدين " (٣٥) وأتهم الوزراء بعضهم بعضاً بسوء التصرف والخيانة ، وقد تكون هذه ألتهم صحيحة فى حق الوزير ، ولكن فى أوقات أخرى " قد تكون الاتهامات

ضد الوزير المعزول واهية ، وليس لها أى سند شرعى ولا مسوغ منطقى ، ولا يعدو أن يكون الدافع طابعه الحسد والغيرة وحب السيطرة والمنافسة المشوبة بالخداع والتآمر " (٣٦) فقد وقع ابن الفرات فى حبال الوشاية حينما وشى به نصر الحاجب لدى الخليفة بقوله بأن الوزير يريد التآمر على الخليفة ، فنكبه الخليفة وصادر امواله (٣٧) ولم يسلم من الوشاية والحسد والحقد الوزير المصلح على بن عيسى ، فقد أفسد الخدم امره (٣٨) ، وأمر المقتدر بالقبض عليه واحتجازه بدار الخلافة ، لعدم قدرته على الصمود أمام وشايات رجال القصر والحاشية الذين لم يرضوا باجراءاته الاقتصادية ، فوشت به عند الخليفة ، فعزله ونفاه إلى مكة واليمن ومصر (٣٩) ، فالحقد والحسد والكراهية كانت من الأمور التى أودت ببعض الوزراء ومصادرتهم ، وإن كانوا من الوزراء المصلحين .

فئات المصادرين ومعاملتهم :

أمتد نطاق المصادرات ليشمل الوزراء ، والكتاب والنساء ، والخدم والتجار ، والعمال ، " فالعامل يصادر الرعية ، والوزير يصادر العمال والخليفة يصادر الوزراء والتجار " (٤٠) ويمكننا أن نفصل فئات المصادرين على النحو التالى :

(١) فئة الوزراء :

كان الخليفة يلجأ إلى مصادرة الوزير متى ألجأته الحاجة الى اموال يعجز الوزير عن توفيرها وأسرف الخليفة فى تعيين الوزراء وعزلهم ، لأنهم " استأثروا بالأموال ، وحصلوا عليها بطرق مختلفة كالرشوة والهدايا التى ترد اليهم من العمال والولاة ، ومن كبار موظفى الدولة بالإضافة إلى ما يغتصبونه من ضياع الخليفة ومن عامة الشعب ، ومصادرات بعضهم بعضا وما يسلبونه من اموال الجباية " (٤١) فقد كان

ابن الفرات يأخذ " أموال المصالحين والمصادرين . وعدل بها عن بيت المال (٤٢) " وكذلك كان ابنه المحسن ، وكان المعتاد أن يتهم كل وزير سلفه بسوء التصرف ويطلب منه اقتداء نفسه بالأموال (٤٣) ويحصل الوزير الجديد على الأموال من الوزير المعزول بمصادرة أمواله وأمواله . " وقد وجدت الدولة تبريرا لمصادرة أموال الوزراء والعمال لأن هؤلاء أنفسهم جنوا أموالهم عن طريق غير شرعى ، ذلك أن أغلب المصادرين قد أثروا على حساب الشعب ومن جراء سوء سلوكهم واستغلالهم مناصبهم " (٤٤) وقد تعرض جميع وزراء الخليفة المقتدر للمصادرة ماعدا الوزير عبيد الله الكلوزانى (٤٥) .

(٣) حاشية الوزراء :

لقد أمتدت المصادرات لتشمل أسرة الوزير وأهله وأولاده ، ففي عام ٢٩٩ هـ / ٩١١ م غضب الخليفة المقتدر على الوزير ابن الفرات ، فصادره وصادر أهله ، وأخذ كل ما وجد له ولهم ، وأنهت دوره ودور بنى أخوته وأهلهم (٤٦) وعندما عزل ابن الفرات عن الوزارة للمرة الثالثة (٣١١ - ٣١٢ هـ / ٩٢٣ - ٩٢٤ م) تمت مصادرة أولاده ، ومنهم ابنه الأكبر المحسن الذى أخذ منه ثلاثة ملايين دينار (٤٧) ولم تسلم أسرة الوزير المصلح على بن عيسى من المصادرة ، ففي عام ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م ، إبان وزارته الأولى قبض عليه وعلى أقربائه ونهبت دورهم (٤٨) ونهبت منازل أخوى الوزير وهما ، إبراهيم وعبدالله (٤٩) ، وعندما قبض على الوزير حامد بن العباس ٣١١ هـ / ٩٢٣ م تمت مصادرة صهره أبى الحسين بن بسطام (٥٠) وفى عام ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م تمت مصادرة الوزير الخاقانى وابنه (٥١) ، وفى عام ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م صودر الوزير الخصبى وابنه أبى الحسين (٥٢) ، والمتأمل لهذه النصوص

يدرك أن أولاد الوزراء كانوا يساهمون في أعباء الوزارة بالدرجة الأولى ولذلك تتم معاقبتهم مع والديهم .

(٢) الكتاب :

استشرى الفساد الإدارى داخل الدواوين ، وضعف رئيس الديوان وكتابه واتهموا بالاختلاس فتمت معاقبتهم ومصادرة أموالهم فكان أول من عوقب بالمصادرة ، الكاتب ، محمد بن عبيدون فى عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م على يد الوزير ابن الفرات^(٥٣) ، وفى عام ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م قبض على رئيس الدواوين على بن عيسى وقبض على ابنه وبيعت أموالهما وأملاكهما وحوسبا^(٥٤) ، وكذلك تعرض على بن عيسى للمصادرة ، عندما كان رئيسا للدواوين إبان وزارة حامد بن العباس (٣٠٦ - ٣١١ هـ / ٩١٨ - ٩٢٣ م) فقد صودرت أملاكه وأملاك انصاره وأعوانه^(٥٥) ، وتمت مصادرة الكاتب ، محمد بن على ابن مقلة إبان وزارة ابن الفرات للمرة الثالثة (٣١١ - ٣١٢ هـ / ٩١٨ - ٩١٩ م)^(٥٦) وفى عام ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م ، صودر كاتب الوزير الخاقانى ، جعفر الكرخى^(٥٧) ، وفى عام ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م قبض الوزير على بن عيسى على الوزير الحصبى وصادره وصادر كاتبه اسرائيل بن عيسى^(٥٨) .

(٤) النساء والخدم :

طالت المصادرات أناسا لاجحة عليهم ، إلا فضل نعمة كانت لهم ، وقد تميز عصر المقتدر بسلطة النساء ، فقد كان لهن شأن كبير فى دار الخلافة ، وقد أمتدت يد المصادرات إليهن ففى عام ٢٩٩ هـ / ٩١١ م غضب الخليفة على فاطمة القهرمانه وأخذ ما عندها من المال ، وكان لها مال عظيم^(٥٩) وفى عام ٣١٠

هـ / ٩٢٢ م سخط المقتدر على أم موسى القهرمانه وقبض عليها وصايرها على مليون دينار ، ولم تفلت من طائلة العقاب (٦٠) ولم تسلم أسرتها من المصادرة فقد صدر أخوها أحمد بن العباس وأختها أم محمد (٦١) ، وفي عام ٣١٣ هـ / ٩٢٥ ألع الوزير الخصيبى فى المصادرة وكاشف أرملة المحسن بن الفرات ونساء ابن الفرات (٦٢) " ونساء أخريات لرجال عملوا فى الإدارة ، مما أثار عليه نقمة الناس .. حتى طالب نساء موظفيه العاملين بين يديه ، إن لم يجد عند الرجال شيئا. وتعرض بعض الخدم للمصادرة فقد صادر الوزير ابن الفرات فى عام ٣١١ هـ / ٩٢٣ م وخادم الوزير السابق حامد بن العباس ويدعى مؤنسا صايره على مبلغ ثلاثين ألف دينار (٦٤) ، وفى عام ٣١٩ هـ / ٩٣١ م صور الخادم بشرى على مبلغ ثلاثمائة ألف دينار. (٦٥)

(٥) التجار ، وبعض فئات الشعب :

لقد تعرض التجار للمصادرات ، ونالوا طائلة العقاب ، وفى عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م صدر التاجر ، الحسين بن عبدالله المعروف بابن الجصاص وكانت مصادره لأسباب سياسية ، وذلك لإشراكه فى الحركة التى قام بها ابن المعتز الذى اختبأ عند ابن الجصاص (٦٦) ، وفى عام ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م صدر ابن الجصاص على مبالغ طائلة ، نقدية ، وعينية (٦٧) ، وفى عام ٣١٩ هـ / ٩٣١ م صدر أحد التجار بسبب مالو حظ عليه من فضل فيما ابتاع من الضياع (٦٨) ، وقد شملت المصادرات أقواما ليسوا برسميين ، إلا أن لهم فضل نعمة ، وفى عام ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م ، قام الوزير ابن مقله بمصادرة ضياع الطبيب بختيشوع بن جبريل ، وتم بيعها بثمان زهيد ، مع أن هذا الثمن مخالف لما تضمنه ثبت الشراء من أنها قد

أشترت بما يزيد على بضعة عشر مليون درهم ^(٦٩) وتجمع المصادر على أن الوزير الخصبى (٣١٣ / ٣١٤ هـ - ٩٢٥ - ٩٢٦ م) لم يدع عند أحد مالا أحس به إلا أخذه بأتعس ما يكون الأخذ ^(٧٠) .

معاملة المصادرين :

لم يقتصر الأمر على المصادرة فحسب ، وإنما كان يصاحبها فى الغالب - إلحاق أشد الأذى بأولئك المصادرين ، بغض النظر عن المراكز القيادية أو المكانة الاجتماعية التى كانوا يشغلونها فى الدولة ^(٧١) ، وقد قسمنا معاملة المصادرين على النحو التالى :

أولاً : القبض على المصادرين والتحقيق معهم :

كان يبدأ الوزير الجديد ببذل المحاولات لإستخراج الأموال ، ومصادرتها عن طريق الإقناع ^(٧٢) .

ثانياً : السجن :

كانت المصادرة سبيلا يوصل إلى السجن - فى غالب الأحيان - " وسبب ذلك أن الخليفة كان يستمع إلى أقوال المنافسين ، ويصفى إلى مقالة الحاقدين ، فيأمر بعزل وزيره وسجنه ، فإذا لم يسجن جاء خلفه فسجنه انتقاما منه " ^(٧٣) ، وفى عام ٢٩٩ هـ / ٩١١ م ، غضب الخليفة على الوزير ابن الفرات ، وحبسه ، وانتهبت داره ودار أهله ، ودور كتابه ^(٧٤) ، وكان لهذه المصادرة أثرها السىء على المجتمع فى بغداد ، فقامت ثورة احتجاجات عارمة استمرت ثلاثة أيام ، نهب الناس بعضهم بعضا ، فلقى السكان من ذلك شدة شديدة ^(٧٥) ولم يكن نصيب الوزير الخاقانى بأفضل من سلفه ^(٧٦) ، وقد شمل السجن أغلب الوزراء المصادرين أمثال

على بن عيسى (بوصفه كاتباً ، ووزيراً) ، وحامد بن العباس ، وعلى بن الفرات ،
وابنه المحسن (٧٧) ، والخصيبى (٧٨) وابن مقله (٧٩) ، والقهرمانه أم موسى (٨٠) .

ثالثاً : التعذيب :

من ضمن الوسائل التى كانت تصاحب المصادرة ، التفنن فى تعذيب المصادرين ،
فعندما نكب ابن الفرات فى عام ٢٩٩ هـ / ٩١١ م ، سجن فى دار القهرمانه ام
موسى وأشرفت بنفسها على تعذيب الوزير المخلوع فأمرت بتقييده ، وعرك اذنيه ،
وعدم التهاون معه (٨١) ، وفى عام ٣١١ هـ / ٩٢٣ م جرى على كتاب الدواوين
من جهة ابن الفرات امر عظيم من الخبط والعسف باستعمال التعذيب ، فقد البس
على بن عيسى جبة صوف واهانه بالأذى الفاحش (٨٢). وفى عام ٣١١ هـ / ٩٢٣ م
تعرض الوزير حامد بن العباس للآهانة والتعذيب ، وكان ابن الفرات (المحسن)
يشتمه أمام الناس وهو فى سجنه ، ويلبسه جلد قرد له ذنب ، ويقيم من يرقصه
ويصفعه " وأجرى على حامد أفاعيل قبيحة ليست من أفاعيل الناس ولا يستجيزها
ذو دين ولا عقل " (٨٣) إلا أن امر هذا الوزير (ابن الفرات) لم يطل إذ تعرض
للمصادرة والتعذيب فقد حوكم ابن الفرات وابنه المحسن ، الذى القى القبض عليه
وهو مقنع بزى النساء حليق اللحية ، فقد قيذا وألبسا جبة صوف ، وضربا على
رأسيهما بالدبابيس حتى أن جسم المحسن تدود من أثر الضرب ، ومنع عنهما
الطعام أياما عديدة (٨٤) ، وقيل بأن الناس ضربوهما بالأجر ، ويقولون قد قبض
على القرمطى الكبير (٨٥) ، فنرى أن هذا الوزير وحاشيته قد لقيوا منتهى الإهانة ،
والتعسف .

وتعرضت القهرمانه أم موسى وأخوها أحمد بن العباس ، وأختها ام محمد لاشد

انواع التعذيب ، وسلم أمرهم الى القهرمانة ثمل المشهورة بقساوة القلب ،
وشراسة الأخلاق ، فقست عليهم أشد القسوة (٨٦) ، وتعرض الوزير على بن
عيسى إبان وزارته الثانية (٣١٤ - ٣١٦ هـ / ٩٢٦ - ٩٢٨ م) للإهانة
والتعذيب ، وأعتقل ثمانية عشر شهرا (٨٧) ولم يسلم الوزير ابن مقله فى عام
٣١٨ هـ / ٩٣٠ م من الاهانة ، بل تعدى الأمر الى إحراق داره . (٨٨)

رابعاً : النفى :

يعد النفى والإبعاد عن حاضره الخلافة من الأمور التى كانت تصاحب المصادرة
، فقد تعرض الوزير المصلح على بن عيسى للاعتقال ثمانية عشر شهرا ، ثم نفى
الى مكة المكرمة واليمن ، ومصر (٨٩) ، إلا أن دار الخلافة لم تستطع الصمود
أمام استحكام الأزمات المالية ، فعادت فى طلبه المرة تلو المرة ، لعله يساعد فى
فك تلك الأزمات الخائفة ، وكان يفعل فى كثير من الحالات ولم يسلم الوزير
المعزول حامد بن العباس من النفى فقد تم نفيه إلى واسط وذلك فى عام ٣١١ هـ /
٩٢٣ م ، حيث استقر به المقام ، حتى تم قتله ، والتخلص منه نهائيا (٩٠) ، وفى
عام ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م ، تعرض الوزير الحسين بن القاسم للمصادرة ، والطرده أو
النفى الى ارض البصرة (٩١) .

خامساً : القتل :

يعد القتل المحطة النهائية للخلاص من الشخصيات المصادرة ، ومن
الشخصيات التى تم قتلها الوزير حامد بن العباس ، فقد لقي قبل قتله صنوفا شتى
من العذاب ، والشتم ثم طرد الى واسط ، وهناك تم التخلص منه نهائيا وذلك
بقتله (٩٢) فى عام ٣١١ هـ / ٩٢٣ م ، ولقى الوزير ابن الفرات وابنه

المحسن النتيجة نفسها ، فقد لقيا صنوفا شتى من التعذيب والإهانة وبعد ذلك تم قتلها في نهر دجلة ورمى رأسيهما غرقا وكذلك غرقت الجشتان وتم ذلك في عام ٣١٢هـ / ٩٢٤م (٩٣) .

أنواع المصادرات :

تنقسم الأموال المصادرة إلى قسمين : القسم الأول : الأموال النقدية ،
والقسم الثانى : الأموال العينية .

القسم الأول :

كانت الأموال المصادرة تختلف فى مقاديرها بحسب الكفاءة المالية للأشخاص المصادرين ، وتتلاءم مع مكانة الشخص المصادر ، ومدى انصياعه وقبوله لمقدار المبالغ المفروضة عليه (٩٤) ، وكانت بعض المصادرات تقتصر على فرض مبلغ من المال يدفعه صاحبه حال وقوع المصادرة عليه ، دون تعرضه لأى أذى ، فبمجرد دفع المصادرة يتم الإفراج عنه (٩٥) ، وهناك طريقة أخرى يتم بموجبها دفع المصادرة ، وهى طريقة التعهدات لأجل معين ، ويتم ذلك بعد أخذ الإقرار الشخصى على المصادر كضمان بذلك " (٩٦) وكان كتاب الوزير المعزول وأعوانه يقدمون أحيانا معونة له عند مصادرتة ، تضامنا معه وتخفيفا عنه .

إلا أن بعض الوزراء كانوا يرفضون ذلك " (٩٧) . فقد رفض على بن عيسى أن يقبل معونة من أحد عندما صودر . وعن مقادير الأموال النقدية التى تمت مصادرتها نعرضها على النحو التالى :

السنة	الشخص المصادر	المبلغ	ملاحظات
٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م	على بن عيسى	٥٠٠٠ دينار (٩٨)	
٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م	القاضي ، أبو عمر يوسف بن يعقوب	١٠٠٠٠٠ (٩٩)	
٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م	التاجر ، الحسين بن عبدالله ، ابن الجصاص	٦٠٠٠ (١٠٠)	
٣٠١ هـ / ٩١٣ م	على بن أحمد الراسبي	١٠٠٠٠٠ (١٠١)	
٣٠٢ هـ / ٩١٤ م	التاجر ، ابن الجصاص	٥٥٠٠٠ (١٠٢)	
٣٠٦ هـ / ٩١٨ م	الوزير ، ابن الفرات	٧٠٠٠ (١٠٣)	
٣٠٦ هـ / ٩١٨ م	ابن الوزير ، المحسن بن الفرات	٣٠٠٠ (١٠٤)	
٣١٠ هـ / ٩٢٢ م	القهرمانة ، أم موسى	١٠٠٠٠ (١٠٥)	
٣١١ هـ / ٩٢٣ م	الكاتب ، ابن الحواري	٧٠٠٠ (١٠٦)	
٣١١ هـ / ٩٢٣ م	أبو الحسين بن بسطام (نسيب حامد بن العباس)	٣٠٠٠ دينار (١٠٧)	
٣١١ هـ / ٩٢٣ م	الوزير ، حامد بن العباس	٨٠٠ دينار (١٠٨)	
٣١١ هـ / ٩٢٣ م	مؤنس (خادم الوزير حامد)	٣٠٠ (١٠٩)	
٣١١ هـ / ٩٢٣ م	الكاتب : ابن مقلة	١٠٠٠ (١١٠)	
، ،	الكاتب : على بن عيسى	٣٠٠٠ (١١١)	
، ،	كاتب حامد بن العباس (الكلوذاني)	٢٦٠٠ (١١٢)	
، ،	أحمد بن محمد البسطامي	٧٣٠٠	
، ،	على بن الحسن الباذيني (الكاتب)	١١٠٠٠	
، ،	أبو الفضل محمد بن أحمد بن بسطام	٥٠٠٠٠	
، ،	محمد بن عبدالله الشافعي	٣٠٠٠٠	عما تصرف فيه لعلى بن عيسى

السنة	الشخص المصادر	المبلغ	ملاحظات
٣١١هـ/٩٢٣م	محمد بن على بن مقله	٨٠٠٠٠ ر.	
، ،	أبو طاهر ، محمد بن الحسن	١٠٠٠٠٠ ر.	
، ،	الحسن بن أبى عيسى الناقد	١٣٠٠٠ ر.	وديعة لعلى بن عيسى
، ،	الحسن بن أبى عيسى	٤٠٠٠ ر.	صلحا عن نفسه
، ،	ابراهيم بن أحمد المادرائى	٢٠٠٠٠ ر.	
، ،	عبدالواحد بن عبيد الله بن عيسى	٣٦٣٣٠ ر.	عن بقية مصادرة والده
، ،	أحمد بن يحيى (الكاتب)	١٠٠٠٠ ر.	عن مصلحة وجبت عليه
	ابراهيم بن أحمد بن ادريس (الجهيد) (١١٣)	٦٠٠٠ ر.	صلحا عن نفسه
، ،	محمد بن عبدالسلام بن سهل	٤٠٠٠ ر.	وديعة لمحمد بن على ولا ابراهيم المادرائى صلحا عن نفسه
، ،	عبدالوهاب بن أحمد بن ماشاء الله	٤٠٠٠٠ ر.	
، ،	على بن حسن الباذينى	٢٠٠٠٠ ر.	صلحا عما تصرف فيه
، ،	محمد بن عبدالله بن الحارث	١٠٠٠٠ ر.	بالموصل عن نفسه
، ،	محمد بن أحمد بن حماد	٢٥٠٠٠٠ ر.	عما تصرف فيه بالموصل
، ،	ابراهيم بن أحمد المادرائى	١٥٠٠٠ ر.	عن الباقي عليه من جملة خمسين الف دينار
، ،	أبو عمر ، محمد بن أحمد الجرجرائى .	١٠٠٠٠٠ دينار	عن ضمانه من مصادرة ياسر بن اسحاق عن أحمد بن محمد بن قرق
، ،	أبو عمر بن الصباح	٣٠٠٠٠٠ ر.	
، ،	على بن محمد الحوارى	٧٠٠٠٠٠ ر.	

السنة	الشخص المصادر	المبلغ	ملاحظات
٣١١هـ / ٩٢٣م	عبدالله بن أحمد البعقوبى	١٠٠٠٠٠ درهم	
، ،	هارون بن أحمد الهمذانى	٧٠٠٠ دينار	
، ،	الحسن بن ابراهيم الخرائطى	١٠٠٠٠٠ درهم	صلحا عما انتطعه من مال الرئيس
، ،	الحسين بن على بن نصير	١٠٠٠٠٠ ، ،	
، ،	عبدالله بن زيد بن ابراهيم	٢٠٥٠ دينار	
، ،	عبدالله بن زيد	١٥٠٠٠ ، ،	صلحا عن نفسه
، ،	على بن محمد بن السمان	٢٥٠٠ درهم	من وراثة أحمد بن محمد ابن
، ،	على بن مأمون الاسكافى (كاتب ابن الحوارى)	٦٠٠٠٠ دينار	قرقر
، ،	أبو بكر ، أحمد بن القاسم الجرجانى	١٠٠٠٠٠ درهم	من ضياع على بن عيسى
، ،	الحسين بن سعد القطربلى	١٣٠٠٠٠ ، ،	
، ،	محمد بن أحمد بن ماسراد	١٥٠٠٠٠ ، ،	
، ،	أبو الحسن ، محمد بن أحمد بن بسطام	٣٠٠٠٠٠ ، ،	
، ،	أحمد بن محمد بن حامد بن العباس	٥٠٠٠٠ ، ،	
، ،	بهي بن عبدالله بن اسحاق	٧٠٠٠٠ دينار	
، ،	حامد بن العباس (الوزير)	١٣٠٠٠٠ ، ،	
، ،	محمد بن محمد الواسطى	١٥٠٠٠٠ ، ،	
، ،	على بن عيسى	٣٢١٠٠٠ ، ،	
، ،	ابراهيم بن يوحنا (جهبذ حامد بن العباس)	١٠٠٠٠٠ ، ،	
، ،	أبو محمد ، الحسن بن أحمد المادرائى	٢٢٠٠٠٠ ، ،	

السنة	الشخص المصادر	المبلغ	ملاحظات
٣١١ هـ / ٩٢٣ م	أبو بكر ، محمد بن على المادرائي	١١٠٠٠ ر.ا	
" "	سليمان بن الحسن بن مخلد	١٣٠٠٠ ر.ا درهم (١١٤)	
" "	سليمان بن الحسن (كاتب ديوان المشرق)	٥٠٠٠٠ دينار (١١٥)	
" "	ابراهيم بن عيسى (أخو على بن عيسى)	٢٠٠٠٠ دينار (١١٦)	
٣١١-٣١٢ هـ /	رئيس الدواوين وكتابه وأنصاره	٧٥٧٥٦٨ ر.ا (١١٧)	
٩٢٣ - ٩٢٤ م		٣٠٠٠٠ ر.ا درهم	
٣١٢ هـ / ٩٢٤ م	ولدى ابن الفرات	١٠٠٠٠ درهم (١١٨)	
" "	ابن الفرات	٢٠٠٠٠ ر.ا (١١٩)	
" "	المحسن ابن الفرات	٣٠٠٠٠ ر.ا (١٢٠)	
" "	كاتب المحسن ابن الفرات	٢٠٠٠٠ ر.ا (١٢١)	
" "	زوجة المحسن ابن الفرات	٧٠٠٠٠ ر.ا (١٢٢)	
" "	الحاقاني (الوزير)	٢٥٠٠٠ ر.ا (١٢٣)	
" "	جعفر بن قاسم الكرخي	١٥٠٠٠ ر.ا (١٢٤)	
٣١٣ هـ / ٩٢٥ م	ابو طالب النوبندجاني	١٠٠٠٠ دينار (١٢٥)	
٣١٤ هـ / ٩٢٦ م	الوزير الخصيبي	٤٠٠٠٠ ر.ا (١٢٦)	
" "	مجموع المصادرات في عهد الخصيبي	١٠٠٠٠٠ ر.ا (١٢٧)	
٣١٥ هـ / ٩٢٧ م	البريديون (عمال واسط والبصرة)	٩٠٠٠٠ درهم (١٢٨)	
٣١٦ هـ / ٩٢٨ م	مصادرات العمال في عهد الوزير ابن مقلة	١٠٠٠٠ دينار (١٢٩)	
" "	القاسم بن دينار وأحمد بن محمد ابن رستم	٦٠٠٠٠ درهم (١٣٠)	
٣١٨ هـ / ٩٣٠ م	الوزير ابن مقلة	٢٠٠٠٠ دينار (١٣١)	
٣١٩ هـ / ٩٣١ م	الخادم بشري (خادم مؤنس)	٣٠٠٠٠ ر.ا (١٣٢)	
٣١٩ هـ / ٩٣١ م	الوزير ، سليمان بن الحسن	٢٠٠٠٠ ر.ا (١٣٣)	
٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م	الوزير ، الحسين بن القاسم	٤٠٠٠٠ ر.ا (١٣٤)	
			تمت المصادرة في عهد الوزير الحسين بن القاسم

من خلال العرض السابق للجداول المالية التي تمثل المبالغ النقدية المصادرة من أصحابها يتضح مايلي :

أولا : بلغ مجموع الأموال النقدية بالدينار (٣١٧٦٨٣٦٠ دينار) وبلغ مجموع الأموال النقدية بالدرهم (٨٠٠.٠٠٠ ر ٢٤ درهم) وبعد تحويل الدراهم الى دنائير على حساب سعر الصرف (١٤) درهما للدينار الواحد ، يصبح مجموع الأموال المصادرة :

(٣٣٥٣٩٧٨٨ ر ٣٣ دينار) ، وهذا المبلغ يقل كثيرا عن المبلغ الذي قدره جورجى زيدان حيث قال " وبلغ مجموع ما قبضه المقتدر من اموال المصادرات (٤٠.٠٠٠ ر ٤٠ دينار) (١٣٥) .

وقد يكون جورجى زيدان أدخل فى حساباته الأموال المصادرة غير النقدية كالعقارات مثلا ، أو النقود التي وجدت مدفونة تحت الأرض ولا يفرق الأمر كثيرا ، فمبالغ المصادرات كانت كبيرة جدا ومرهقة للغاية .

ثانيا : يتضح لنا أن المصادرات بدأت منذ تولية الخليفة مقاليد الأمور ، أوبعدها بأشهر قليلة ، واستمرت حتى نهايه حكمه ، وكانت تبلغ أوج قوتها عندما يبعد الوزير عن الوزارة ، ففى تلك الفترة تشتد المطالبة بالأموال ويحفها صنوف التعذيب والتنكيل .

ثالثا : بلغت المصادرة قوتها وكثرتها فى سنة ٣١١هـ / ٩٢٣ م ، خلال وزارة ابن الفرات للمرة الثالثة ، فقد طغى وتجبى على كثير من الكتاب واعوانهم واستخرج منهم الأموال الطائلة .

رابعا : يلاحظ ان بعض الفئات كانت تتعرض للمصادرة اكثر من مرة فى السنة الواحدة .

القسم الثانى :

المصادر العينية ، تعرض كثير من المصادرين الى نهب أملاكهم ، ودورهم وتجاراتهم ، وقد شملت تلك المصادر الأقرباء والأهل ، والذرية ، فقد صدر التاجر ابن الجصاص على أمواله النقدية ، والعينية ، وكان من ضمن الأموال التى أخذت عليه البضاعات التى كان يتاجر بها ، وهى عبارة عن أقمشة وخيول ، بما قيمته (١٦٠٠٠.٠٠٠ ر) دينار (١٣٦) ، وكان ذلك فى عام ٢٩٦ هـ / ٩٥٨ م أما فى عام ٢٩٩ هـ / ٩١١ م فقد صدرت فاطمة القهرمانه على جميع أملاكها وأموالها وكان لها من مال عظيم (١٣٧) ، وفى العام نفسه ، صدر الوزير ابن الفرات ونهبت دوره ودور أهله ، وأخذ كل ما وجد لهم من الأثاث والمتاع (١٣٨) . وفى سنة ٣٠١ هـ / ٩٢٣ م صدرت أموال على بن محمد الراسبى الوالى على جند يسابور ، وكان مقدارها مليون دينار وآنية الذهب والفضة ومن الخيل والبغال ألف رأس ومن الخز ألف ثوب ، وقيل : أنه كان له ثمانون طرازا ينسج فيها الثياب (١٣٩) ومرة ثانية يصادر التاجر ابن الجصاص فى عام ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م ، فقد قبضت تجارته من العين والورق ، والجواهر ، والفرش والثياب والمستغلات والبساتين (١٤٠) وكان من ضمن الجواهر التى صدرت عليه سبعة من الجواهر قيمتها (٣٠٠.٠٠٠ ر) دينار (١٤١) .

وعندما تمت مصادرة الوزير على بن عيسى فى عام ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م تمت ايضا مصادرة أملاكه وأمواله وأموال أهله وذويه (١٤٢) . وفى عام ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م كانت مصادرة الوزير ابن الفرات فقد أخذ منه " الضياع والأقطاع والأموال والعقار والأموال ، والغلات ، والأثاث ، والكراع (١٤٣) والجمال ولم يأخذ من أحد

من الوزراء قبله ولابعده مثل ذلك . (١٤٤)

وفى عام ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م أقدم الوزير ابن مقله على مصادرة ضياع الطبيب بختيشوع بن جبريل وجرى بيعها تحت اشراف الوزير بثمان بخس (١٤٥) ، وحصل للوزير نفسه أن أحرقت داره بعد أن كان يضرب بها المثل فى الحسن والجمال بما تحويه من البساتين وانواع الطيور والحايوان وكان ذلك فى سنة ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م (١٤٦) ، وفى عام ٣١٩ هـ / ٩٣١ م صودر أحد التجار ، وصودرت بضاعاته ، بسبب ما لوحظ عليه من فضل فيما ابتاع من الضياع (١٤٧)

إدارة المصادرات :

قامت ضريبة المصادرات بالدور الأكبر فى حل الأزمة المالية الخانقة ونظرا للأهمية القصوى لهذا المورد المالى ، فقد استحدثت له ادارات متعددة ، وفى صدر الدولة الإسلامية ، كانت (دار الإستخراج) كفيلة بإدارة الأموال المستخرجة من الموظفين الذين يختلسون أموال الجبايات ، ولا يؤدون لها للدولة فأنشئ لهم (دار الإستخراج) (١٤٨) وفى الدولة العباسية تحولت دار الإستخراج الى (ديوان الإستخراج) ، " ومهمته متابعة أخبار الوزراء والكتاب والعمال والولاة والمهتمين بالرشوة لكى تحصى أسماؤهم وتحدد أوضاعهم ، ثم تصدر أموالهم التى جمعوها من الحرام " (١٤٩) وفى عهد المقتدر كثرت المبالغ المصادرة ، وتعددت المصادرات مما جعل الدولة العباسية تستحدث ديوانا خاصا للإشراف على استيفاء أموال المصادرات سمي بـ (ديوان المصادرات) وعندما تكون المبالغ المصادرة من شخص واحد كثيرة ، فان الأمر يتطلب استحداث ديوان خاص لإدارة تلك الأموال والممتلكات المصادرة مثل دواوين (المقبوضات والمخالفين ، والمرافق) ونشرح

طبيعة عمل كل ديوان على حده وعلى النحو التالى :

ديوان المصادرين :

لقد أنشئ ديوان المصادرين للإشراف على جمع واستيفاء أموال المصادرات سواء المنقولة أم غير المنقولة التى كانت تقرر بعد أن يتعهد الأشخاص المصادرون بدفعها . (١٥٠)

وكان يتولى ديوان المصادرين رجال ثقة ، ومن المقربين إلى الوزير وتلك القرابة ، كانت وبالا عليهم ، لأنهم كانوا يبعدون بمجرد ابعاد الوزير ، وعندما تظهر خيانتهم ، كانوا يتعرضون للمصادرة (١٥١) ، ونعطى على ذلك مثالا : فقد كان المحسن ابن الفرات ، يتقلد ديوان المصادرين أثناء وزارة والده للمرة الثالثة (٣١١ - ٣١٢ هـ / ٩٢٣ - ٩٢٤ م) لقد تعرض للمصادرة والتعذيب والقتل . (١٥٢)

لقد كان ديوان المصادرين يتولى استلام الأموال المصادرة ، ثم تذهب الى أحد بيتى الأموال (الخاصة او العامة) (١٥٣) حسب رأى الخليفة أولا ، ثم حسب حاجة الدولة الى الأموال ثانيا ، إلا أن الوزير ابن الفرات لم يتبع هذا الأسلوب ، ففى أثناء وزارته للمرة الأولى (٢٩٦ - ٢٩٩ هـ / ٩٠٨ - ٩١١ م) وكل الى شخصين استلام اموال المصادرات ، وأمر أحد كتابه بمراجعة الحسابات ، دون صاحبى بيت المال ، وبعد النظر فى الوارد والمنصرف يأمر صاحب بيت مال العامة باستلام الباقي (١٥٤) ، وكان النظام المتبع أن توضع خطوط المصادرين فى خزائن الوزارة ، وقد شذعن هذا التنظيم الوزير الخصيبى (٣١٣ - ٣١٤ هـ / ٩٢٥ - ٩٢٦ م) الوزراء ليتسلمها وزير عن وزير وأن تكتب نسختين نسخة للديوان ونسخة عند الوزير (١٥٥) لأن بقاءها عند صاحب الديوان بنسخة واحدة قد

تكون عرضه لان تباع وبذلك يحصل ضرر لبيت المال (١٥٦) .

ديوان المرافق :

يعتبر هذا الديوان من الدواوين المهمة بشؤون الأموال المصادرة أنشأه الوزير على بن محمد بن الفرات أثناء وزارته الثانية (٣٠٤ - ٣٠٦ هـ / ٩١٦ - ٩١٨ م) وهذا الديوان أنشئ من أجل استيفاء الأموال المصادرة من الوزير المخلوع على بن عيسى ومن أخوته وعماله وكتابه (١٥٧) ، وتقلد العمل فى ديوان المرافق هارون بن عمران (١٥٨) الذى تعهد بإستخراج المرافق التى عند على بن عيسى وأعوانه (١٥٩) .

ديوان المقبوضات :

كذلك يعد هذا الديوان من الدواوين المهمة بشؤون الأموال المصادرة أنشأه الوزير حامد بن العباس (٣٠٦ - ٣١١ هـ / ٩١٨ - ٩٢٣ م) وقام بتنفيذ العمل فيه على بن عيسى ، وهذا الديوان أنشئ لإدارة الأموال المقبوضة من أم موسى القهرمانه عندما تمت مصادرتها فى عام ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م وقد تقلد العمل فى هذا الديوان ابو شجاع الكاتب (١٦٠) ، وتقلد الزمام عليه ابو عبدالله اليوسفى الكاتب (١٦١) ، وقام ابو شجاع الكاتب باستخراج الأموال الكثيرة ، والجواهر النفيسة والثياب والكسوة والفرش ، والطيب ، حتى بلغ مجموع ماصودر من أم موسى من الأموال النقدية مبلغ مليون دينار (١٦٢) .

ديوان المخالفين :

يعتبر - ايضا - من الدواوين ذات العلاقة بالمصادرات أنشأه الوزير الحسين بن القاسم (٣١٩ - ٣٢٠ هـ / ٩٣١ - ٩٣٢ م) وتقلد أعماله الكاتب محمد بن

جنى وقد أنشئ هذا الديوان لمصادرة أملاك قائد الجيش مؤنس المظفر ، وذلك أثناء تأزم العلاقات بين الخليفة المقتدر وبين قائد الجيش مؤنس فى عام ٣١٩ هـ / ٩٣١ م . وفى أعقاب تأزم العلاقات استغل الوزير ذلك وأصدر أوامره " بقبض أملاك مؤنس وضياع أسبابه " ، (١٦٣) وقد نال إعجاب الخليفة ما أقدم عليه الوزير الحسين بن القاسم وارتفعت منزلته عنده فأصدر أمره بأن يلقب بـ " عميد الدولة " وأمر أن يضرب لقبه على العملة (١٦٤) .

ومن الملاحظ أن هذه الدواوين الثلاثة كانت مؤقتة تزول بزوال الوزير ، أو بعد عملية تنظيم استلام الأموال من قبلي ديوان المصادرين بحيث أن الأموال التى كانت تصدر ، كانت من الكثرة بمكان بحيث لا يستطيع ديوان المصادرين استلامها ورعايتها ، فينشأ دواوين مؤقتة تقوم برعاية الأموال المصادرة حتى يتم تسليمها لديوان المصادرين بعد مراجعتها وتنظيم استلامها .

أثر المصادرات على استقرار الملكية :

لقد شكلت المصادرات مصدرا إضافيا من مصادر التوسع فى امتلاك الأسرة العباسية للضياع وتكوين الملكيات الواسعة من الأراضى الزراعية والعقارية فكانت المصادرات سلاح ذو حدين فهى من جهة كانت أكبر خطر على الملكية الفردية " (١٦٥) وكانت تصيب المثرين ولاسيما الموظفين منهم (١٦٦) " فقد منعت تراكم الثروة المفرط لدى بعض الأشخاص وقللت من التباين الإقتصادى (١٦٧) ، هذا من جهة ومن الجهة الأخرى فقد عمل ذهاب الأموال المصادرة للخزينة على إعادة توزيعها على الموظفين فى الرواتب من جهة واستفادة الشعب منها فى بعض الأحيان عن طريق الخدمات التى تقدمها الدولة لهم " (١٦٨) وقد ذكر جورجى

زيدان بأن نظرة الخليفة تجاه الأموال الفردية المصادرة بأنها حق مغتصب من بيت المال وبذلك فالخليفة يرى ان استرجاعها لا يعد جورا ولا إجحافا بحق أولئك المصادرين (١٦٩)، وهذه النظرة التي أوردها جورجى زيدان فيها شيء من المغالطة لأنه ليس كل الأموال المصادرة كانت حقوقا مغتصبة من بيت المال فقد لمسنا من خلال العرض السابق ان المصادرات طالت اقواما لا يمتنون الى الدولة بصلة لارسمية ولاخلاف ذلك ، امثال مصادرة التجار واقرباء واهل واولاد المصادرين وغيرهم فقد وصلت المصادرة لدرجة التعسف غير المعقول ، فقد أقدم الوزير الخصيبى (٣١٣- ٣١٤هـ / ٩٢٥ - ٩٢٦ م) على مصادرة اموال الناس وقال صاحب كتاب الصلة فى ذلك " ولم يدع أحد مالا أحس به الا أخذه بأتعس ما يكون الأخذ " (١٧٠) ففى مجال الاعتداء على الملكيات الفردية ، نرى ان التاجر ابن الجصاص تعرض للمصادرة مرتين الأولى عام ٢٩٦هـ / ٩٠٨ م والثانية عام ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م ، وفى كلا الفترتين صودرت تجارته وممتلكاته ، وفى المرة الأولى أخذ منه ما قيمته (١٦٠٠٠ ر. ١٦٠٠٠) دينار (١٧١) وفى المرة الثانية لم يبق له من الأموال شيئا سواء المنقولة او غير المنقولة وفى عام ٣١٩ هـ / ٩٣١ م صودرت املاك احد التجار بسبب ما لوحظ عليه من فضل فيما ابتاع من الضياع . (١٧٢)

وفى عام ٢٩٩ هـ / ٩١١ م صودرت اموال القهرمانه فاطمة "وأخذ ما عندها من مال " (٧٣) وفى عام ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م صودرت أملاك القهرمانه أم موسى واستخرج منها مليون دينار .

وهناك من تعرض للمصادرة من الوزراء بغير حق ، وقد شهدت بذلك جل المصادر وهو الوزير على بن عيسى بن الجراح ، فقد تعرض للمصادرة ولنهب املاكه

وتعرض للتعذيب والطرده من بغداد لا لأنه نهب واختلس من بيت المال وإنما لأنه حاول ان يسد عجز الدولة المالى من خلال التنظيمات الداخلية والتي تقضى باسقاط بعض المصروفات والنفقات التى لا يرى ضرورة لها ، فوقف الخدم والحشم واهل البلاط فى وجهه فوشوا به عند الخليفة ، فتعرض للمسألة وهو ولايستحق ذلك (١٧٥) ، وفى مجال الاعتداء على الاملاك الفردية نرى ان الوزير ابن الفرات قد نهبت دوره وامواله ، هو وابنه وزوجته وكاتبه اكثر من مرة بل تقريبا ثلاث مرات حتى قيل " لم يأخذ من أحد من الوزراء قبله ولابعده مثل ذلك " . (١٧٦)

وفى عام ٣٠١ هـ / ٩١٣ م تعرضت ثروة الراسبى للاعتداء والمصادرة وكان مقدارها (١٠٠٠.٠٠٠ ر) دينار بالاضافة الى آنية الذهب والفضة والخيل والبغال وانواع الأقمشة (١٧٧) ، وفى عام ٣١١ هـ / ٩٢٣ م تعرضت املاك الوزير حامد بن العباس للمصادرة والنهب والاعتداء وعلاوة على ذلك فقد حياته (١٧٨) ، وشمل الاعتداء على املاك الأطباء ، فقد اعتدى الوزير ابن مقلة على ضياع الطبيب بختيشوع وباعها بثمن بخس مع انها تساوى اكثر من عشرة ملايين دينار (١٧٩) .

وازاء الهروب من خطر المصادرات نشأت سنن غير مرغوب فيها منها ان من خاف على ماله لجأ الى حيلة ليخفوا ثروتهم عن العيون فمثلا اودعت الاموال عند اشخاص لايشتبه فيهم فقام الوزير ابن الفرات بوضع امواله عند القاضى ابى عمر (١٨٠) كماوضع كاتبه (٧٠.٠٠٠) عند أناس آخرين (١٨١) .

ومن السنن غير المرغوبة ، نشأت عادة دفن النقود ، وكانت من أخطر الامور التى جرت وبالا مدمرا على الأقتصاد العباسى ففى عام ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م ، عندما صودر التاجر ابن الجصاص و " حفرت داره فوجدت له فى بستانه أموال

جليلة مدفونة فى جرار خضر وقماقم مرصعة الرؤوس فحملت بهيئتها الى دار المقتدر " (١٨٢) وفى عام ٣١١ هـ / ٩٢٣ م اعترف الوزير حامد بن العباس انه دفن (٥٠٠.٠٠٠) دينار (١٨٣) ، ووجد له فى بئر المستراح ببغداد (٤٠٠.٠٠٠) دينار (١٨٤) ، وكان المتمردون فى عام ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م قد أخرجوا من تربة السيدة ام المقتدر بالرصافة (٦٠٠.٠٠٠) دينار حيث كانت مخبأة هناك (١٨٥).

" وكان لدفن النقود أثر اقتصادى سيء ، اذ فقدت بذلك كميات كبيرة من النقود الذهبية والفضية بوفاة أصحابها ونتج عن ذلك حجز كميات كبيرة من النقود للتداول مما يؤدى إلى عرقلة الحركة التجارية وإلى اضعاف نمو المؤسسات الصيرفية " (١٨٦) ، وتشير عادة دفن النقود الى حالتين :

الأولى : أن المجتمع لم يعد يدرك تماما أهمية تشغيل الأموال ، وهذا يبدو أنه غير وارد بحكم كون العرب تجارا منذ الأزمنة القديمة .

الثانية : عدم استقرار أحوال الدولة العباسية (خلال حكم المقتدر) وهذا وارد بلاشك لعدم وجود الزمن والاطمئنان . " وفى كلا الحالتين شل للحركة التجارية " . (١٨٧)

وما قيل عن الأملاك العقارية ، يمكن أن يقال عن الأموال النقدية فيظهر لنا جليا ان المصادرات كانت تتم بطريقة عشوائية ، ولم تكن هناك نسب محددة لمبالغ المصادرة ، ولم تكن حسب قدرة الشخص المالية فقد يدفع الشخص المصادر جزءا من المبلغ مقدما ويكتب خطوطا بالمبالغ المتبقية تدفع على شكل دفعات مقسطة ، فقد صودر ابن الفرات فى عام ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م على مبلغ (٧٠٠.٠٠٠)

دينار ، وكان دخله من ضياعه (١٥٠٠.٠٠٠ ر) دينار فان مصادرتة تبلغ ٤٢٪ من دخله واحيانا بضطر المصادراتى بيع املاكه وجميع مقتنياته مثل الوزير حامد ابن العباس عندما صودر عام ٣١١ هـ / ٩٢٣ م . وهذا يعنى ان المصادرة تجاوزت كل الدخل .

ومن خلال العرض السابق يتضح لنا ان المصادرات سببت ارباكا للناس واصبح الكل يخاف على أمواله وممتلكاته ، فقد وصل الحال - كما لمسنا - أن بعض الوزراء كان يصادر أى شخص يحس أن عنده اموال ومن هنا اثرت المصادرات على الملكيات وخاصة من لهم صلة قرابة بالشخص المصادر سواء كانت المصادرة ذات سند شرعى او خلاف ذلك ، فقد لمسنا ان المصادرات طالت فئات لاعلاقة لهم بأجهزة الدولة الرسمية .

الخانمة :

تعد ضريبة المصادرات من الضرائب التعسفية التي ما انزل الله بها من سلطان والتي كانت تفرض او تؤخذ نظير دوافع سياسة او شخصية او اقتصادية بحتة .

- وقد كثرت المصادرات حينما انعدمت وسائل الرقابة المالية فعمت الفوضى الإدارية وتوالى المؤامرات من قبل الوزراء والكتاب والحاشية على بعضهم البعض ، ولم يعد أحد يطمئن على نفسه وماله وتسبب عن هذا حدوث حركات تمردية استهدفت قطع علاقاتها بمركز الخلافة . الامر الذى ادى الى ضياع وحدة الدولة .

- لقد أدت المصادرات الى أمور غير مرغوب فيها فالوزراء والموظفين واعوانهم صاروا مضطرين الى جمع الاموال بوسائل غير مشروعة استعدادا لليوم الاسود (يوم المصادرة والتنكيل) .

ثم ان المصادرات ادت الى خلق روح الكراهية والحقد والانتقام ، فكان بمجرد ان يأتى الوزير الجديد الى كرسى الوزارة يبدأ فى تصفية حساباته مع الوزير السابق وأعوانه وخاصة ممن تولى الوزارة لاكثر من مرة فيعود ومعه اعوانه وهم مشبعون بروح الانتقام وهذا بدوره يؤدي بلاشك الى اضطراب الامن وانتشار الظلم ويزيد ايضا فى الاحقاد والضعائن ، وجبك المكائد للايقاع بالخصوم ومن هنا تولدت روح الكراهية والانتقام .

- لقد ادت المصادرات الى الاعتداء على الملكيات الفردية ونهبت اموال الناس فى عهود بعض الوزراء وتسلبت آخرون على ممتلكات وعقارات المصادرين حتى ان الامر قد امتد ليشمل اناسا غير رسميين ليست لهم علاقة بمؤسسات للدولة .

واخيرا لقد اصبحت المصادرة فى عصر الخليفة المقتدرة عادة متبعة يتم بموجبها استخراج الاموال بالقوة والعنف وكان حب المال هو الدافع الى ذلك وان تعارضت اساليبها مع الشرع والعرف والاخلاق .

" الهوامش والتعليقات "

- (١) صالح العلى : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية فى البصرة فى القرن الأول الهجرى ص ١٢٤ .
- (٢) السامرائى : المؤسسات الإدارية ، ص ٢٨٦ .
- (٣) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ٧ ، ص ٢١٦ .
- (٤) الذهبى : دول الاسلام ، ج ١ ص ١٣١ .
- (٥) المسعودى : التنبيه والاشراف ، ص ٣٢٨ ، ابن دحية : النبراس ، ص ١٠٩ .
- (٦) عن موضوع فساد نظام الوزارة يمكن الاطلاع على أهم ماكتب فى ذلك .
- الصابى : الوزراء مسكويه : تجارب الأمم ، ج ١ ، ابن الطقطقا : الفخرى .
- (٧) عريب : الصلة ص ٤١ ابن الطقطقا : الفخرى ، ص ٢٦٧ .
- (٨) مسكويه : تجارب الأمم ج ١ ، ص ٢٦ / ٢٧ / ١٣٧ . عريب : الصلة ، ص ٧٢ . الصابى : الوزراء ، ص ٤٠ / ٦٩ / ٧٠ .
- (٩) السامرائى : المؤسسات الإدارية ، ص ٦٥ .
- (١٠) المسعودى : مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٢٩٢ . التنبيه ، ص ٣٢٧ .
- (١١) ابن منظور : لسان العرب ، ج ١ ، ص ٤٤٧ .
- (١٢) الرازى : مختار الصحاح . ص ٣٥٨ .
- (١٣) آدم متر : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ج ١ ، ص ٢٢٠ .

- (١٤) جورجى زيدان : التمدن الإسلامى ، ج١ ، ص ٤١٢ .
- (١٥) الصابى : الوزراء ، ص ٤٤ . مسكويه : تجارب الأمم ، ج١ ، ص ٨
- (١٦) السامرائى : المؤسسات الإدارية ، ص ٢٨٦ / ٢٨٧ .
- (١٧) الصابى : الوزراء ، ص ١٥٢ ، مسكويه : تجارب الأمم ، ج١ ، ص ١٢٨ ابن الجوزى : المنتظم ، ج٦ ، ص ١٧٣ .
- (١٨) الصابى : الوزراء ، ص ٢٤٥ .
- (١٩) مسكويه : تجارب الأمم ، ج١ ، ص ٥٧ .
- (٢٠) ابن الاثير : الكامل ج٨ ، ص ٤٣ .
- (٢١) ابن الطقطقا : الفخرى ، ص ٢٧٣ .
- (٢٢) عريب : الصلة ، ص ١٢٧ / ١٢٨ .
- (٢٣) جورجى زيدان : التمدن الإسلامى ، ج١ ، ص ٤١٥ .
- (٢٤) محمد بن عبدون ، من الأهواز ، كان من كتاب الدواوين الحذاق ، طمع فى منصب الوزارة ، فأدى ذلك الى مصادرتة وإبعاده عن الدواوين حتى جاء عهد الخليفة الراضى بالله فقلده دواوين الأزمة ، عريب : الصلة ، ص ٢٧ .
- (٢٥) الصابى : الوزراء ، ص ٣١ .
- (٢٦) أم موسى : هى بنت العباس بن محمد بن سليمان بن محمد بن ابراهيم الإمام ، والقهرمانة : تعنى الوكيل . كان لها اليد الطولى فى ادارة شئون الدولة . مجهول : العيون ، ص ٢٣١ ، ابن الاثير : الكامل ، ج٦ ، ص ١٦٦ .

- (٢٧) ابن الجوزى : المنتظم ، ج١ ، ص ١٦٧ .
- (٢٨) خوله شاعر : بيت المال ، ص ١٩٦
- (٢٩) اليوزيكى : الوزارة ، ص ١٥٧ .
- (٣٠) م . س . ن : ص ١٥٨ . ترمز هذه الأحرف الثلاثة إلى اختصار جملة
(المصدر السابق نفسه) . م : المصدر . س : السابق . ن : نفسه .
- (٣١) مسكويه : تجارب الأمم ج١ ، ص ١٧ .
- (٣٢) عريب : الصلة ، ص ٢٢ .
- (٣٣) مجهول : العيون والحدائق ، ص ٢٦٥ .
- (٣٤) الأزدي : اخبار الدول المنقطعة ، ص ٢١٤ / ٢١٥ .
- (٣٥) صلاح الدين المنجد : بين الخلفاء والخلعاء ، ص ١١٨ .
- (٣٦) الكبيسي : المقتدر بالله ، ص ٥٥٥ .
- (٣٧) مسكويه : تجارب الأمم ، ج١ ، ص ٦٢ .
- (٣٨) الأزدي : اخبار الدول المنقطعة ، ص ٢٢٧ .
- (٣٩) الصابى : الوزراء ، ص ٣٤٢ .
- Sourdel : Le Vzirat , Abbassde, L . 448 .
- (٤٠) جورجى زيدان : التمدن الاسلامى ، ج ١ ، ص ٤١٦ .
- (٤١) الكبيسي : المقتدر بالله ، ص ٢٤١ .
- (٤٢) الصابى : الوزراء ، ص ٣٨
- (٤٣) عريب : الصلة ، ص ٣٩ .
- (٤٤) الكبيسي : المقتدر بالله ، ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

(٤٥) عريب : الصلة ، ص ١٦٤ ، ولم تطل أيام وزارة الكلوذاني أكثر من شهرين وثلاثة أيام .

(٤٦) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج ١٠ ، ص ١٤٥ .

(٤٧) مسكويه : تجارب الأمم ، ج ١ ، ص ١٢٨ .

(٤٨) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٣٨ .

(٤٩) عريب : الصلة ، ص ٦١ .

(٥٠) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٨٠ .

(٥١) مسكويه : تجارب الأمم ، ج ١ ، ص ٤٥ .

(٥٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٠٢ .

(٥٣) الصابى : الوزراء ، ص ٣١ .

(٥٤) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٤٧ .

(٥٥) الصابى : الوزراء ، ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٦ ،

ص ١٧٣

Bown : Ali Ben Isa . P . 225

(٥٦) ابن الطقطقا : الفخرى ، ص ٢٧١ .

(٥٧) مسكويه : تجارب الأمم ، ج ١ ، ص ١٤٥ .

(٥٨) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٠٢ .

(٥٩) م . س . ن : ج ٦ ، ص ١١٢ .

(٦٠) م . س . ن : ج ٦ ، ص ١٦٧ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص

١٧٢

- ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٤٥ .
- (٦١) Bown : Ali Ben Isa . P . 198 .
- (٦٢) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٧٣ .
- (٦٣) فهمى عبدالرازق : العامة في بغداد ، ص ٣٧ .
- (٦٤) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٧٣ .
- (٦٥) عريب : الصلة : ص ١٦٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٦٨ .
- (٦٦) التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٥ . ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٦ ، ص ٨٢ .
- (٦٧) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٣١٠ .
- (٦٨) السامرائي : الإدارة المالية في الإسلام ، ج ٢ ، ص ٥٤١ .
- (٦٩) م . س . ن : ج ٢ ، ص ٥٢٩ .
- (٧٠) عريب : الصلة ، ص ١٢٧ / ١٢٨ .
- (٧١) الصابى : الوزراء ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ .
- (٧٢) السامرائي : المؤسسات الإدارية ، ص ٢٨٨ .
- (٧٣) صلاح الدين المنجد : بين الخلفاء والخلعاء ، ص ١١٨ .
- (٧٤) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ١٠ ، ص ١٤٥ .
- (٧٥) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٠٩ . ابن الاثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ١٣٩ .
- (٧٦) ابن الطقطقا : الفخرى ، ص ٢٦٧ .

(٧٧) ابن الاثير : الكامل ، ج٦ ، ص ١٧٩ . ابن الطقطقا : الفخرى ، ص ٢٧ .

(٧٨) مسكويه : تجارب الأمم ، ج١ ، ص ١٥٥ .

(٧٩) م . س . ن : ج١ ، ص ٢٠٣ .

(٨٠) م . س . ن : ج١ ، ص ٨٣ .

(٨١) مجهول : العيون والحدائق ، ص ٢٤٧ .

(٨٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ج٦ ، ص ١٧٣ .

(٨٣) عريب : الصلة ، ص ١١٢ .

(٨٤) م . س . ن : ص : ٦٩ ، مسكويه : تجارب الأمم ، ج١ ، ص ١٣٣ .

(٨٥) ابن الجوزى : المنتظم ، ج٦ ، ص ١٨٩ .

(٨٦) Bowen : Ali Ben Isa . P . 198

(٨٧) الأزدى : أخبار الدول المنقطعة ، ص ٢٢٧ ، الصابى : الوزراء ، ص ٢١ .

(٨٨) مسكويه : تجارب الأمم ، ج١ ص ٢٠٣ ، وتعد دار الوزير ابن مقله

من أجمل الدور العباسية ، وقد أنفق على تشييدها (٢٠٠٠٠ ر .)

دينار ، وكان يحيط بها بستانا جميلا ، به مكان خاص لتربية الطيور

والحيوانات تضم أغرب وأجمل أنواع الطيور والحيوانات . انظر : ابن

الأثير : الكامل ، ج٦ ، ص ٢٠٩ .

(٨٩) الأزدى : أخبار الدول المنقطعة ، ص ٢٢٧ .

(٩٠) ابن الأثير : الكامل ، ص ٦ ، ص ١٧٤ .

- (٩١) مسكويه : تجارب الأمم ، ج١ ، ص ٢٢٨ .
- (٩٢) مسكويه : تجارب الأمم ، ج١ ، ص ١٠٤ .
- (٩٣) م . س . ن : ج١ ، ص ١٣٨ .
- (٩٤) الكبيسي : المقتدر بالله ، ص ٥٥٥ ، السامرائي : المؤسسات الإدارية ، ص ٢٨٩ .
- (٩٥) الصابي : الوزراء ، ص ٣٣ ، ٥٤ ، مسكويه : تجارب الأمم ، ج١ ، ص ١٠٩ .
- التفوخى : الفرج بعد الشدة ، ج١ ، ص ١٢٧ .
- (٩٦) التفوخى : نشوار المحاضرة ، ج٨ ، ص ٢٥ .
- (٩٧) السامرائي : المؤسسات الإدارية ، ص ٢٨٨ .
- (٩٨) مسكويه : تجارب الأمم ، ج١ ، ص ٨ .
- (٩٩) م . س . ن : ج١ ، ص ١٤ .
- (١٠٠) ابن شاکر الکتبی : فوات الوفیات ، ج١ ، ص ٢٧١ ، بينما ذکر ابن کثیر مبلغاً اکبر من ذلك بكثير حيث قدر المصادرة بستة ملايين دينار وأعتمدنا رواية الکتبی لقلة مبلغها الذى كان فى حدود المقبول والمعقول ، لأن ابن کثیر قد بالغ فى الرقم ، فهناك فرق كبير بين ستة آلاف دينار ، وستة ملايين دينار ، ولعل المبالغة فى رقم ابن کثیر ناتجة عن خطأ فى نسخ المخطوط ، أو فى طباعته . انظر : ابن کثیر : البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٠٧ .
- (١٠١) ابن الجوزی : المنتظم ، ج١ ص ١٢٦ ، وقد ذکرها مسکویه بنصف

مليون دينار ، جـ ١ ، ص ٣٤٠ .

(١٠٢) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٤ ، ص ٣١٠ ، وقد اختلفت الروايات حول المبالغ المصادرة من ابن الجصاص ، فقد ذكر مسكويه بأنها أربعة ملايين دينار ، جـ ١ ، ص ٣٥ ، وذكر عريب بأنها ستة ملايين دينار ، ص ٤٨ ، وذكر ابن الجوزى بأنها كانت ستة عشر مليون دينار ، جـ ٦ ، ص ١٢٧ ، وقد اعتمدنا رواية المسعودى لسبقه فى نقل الرواية من جهة ، ثم لتقارب روايات مسكويه ، وعريب مما ذكره المسعودى من جهة أخرى ، أما مبلغ ابن الجوزى فيبدو انه قد اشتمل على جميع الأموال المصادرة النقدية والعينية مجتمعة .

(١٠٣ ، ١٠٤) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ ١ ، ص ٦٤ / ٦٦ .

(١٠٥) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٦٧ .

(١٠٦) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ ١ ، ص ٩٣ .

(١٠٧) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٨٠ .

(١٠٨) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ ١ ، ص ١٠٢ ، بينما ذكر ابن الجوزى

بأن مقدار المصادرة كان (١٣٠٠٠٠٠) دينار ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص

١٧٣ ، بالاضافة الى الأموال التى وجدت مدفونة فى بئر المستراح ببغداد

، ومبلغها (٤٠٠٠٠٠) دينار ، انظر ابن الجوزى ، المنتظم ، جـ ٦ ،

ص ١٨٣ / ١٨٤ .

(١٠٩) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٧٣ .

Jurgi Zaydan : History of Islamic Civilization .p.210

(١١٠) ابن الطقطقا : الفخرى ، ص ٢٧١ .
(١١١) ابن الجوزى : المنتظم ، ج٦ ، ص ١٧٣ .
(١١٢) مسكويه : تجارب الأمم ، ج١ ، ص ١٠٠ .
(١١٣) الجهبذ : هو الشخص الذى يتولى رئاسة مجلس الجهبذ فى ديوان
الخارج والجهبذة ضريبة تعسفية ليس لها أصل ، ويطلق مصطلح الجهبذ
على الصراف الصابى : الوزراء ، ص ٣٧ / ٤٨ .
(١١٤) هذه قائمة وجدت فى ديوان المغرب من الدواوين المالية فى عهد المقتدر
تضمنت زسماء من تمت مصادرتهم ابا ن وزارة ابن الفرات الثالثة (٣١١ - ٣١٢
هـ / ٩٢٣ - ٩٢٤ م) بداء من أحمد بن محمد البسطامى وانتهاء بسليمان بن
مخلد .

وردت هذه القائمة فى كتاب الوزراء للصابى ، ص ٢٤٥ - ٢٤٨ .
Jurgi Zaydan : History of Islamic Civilization .p.211

(١١٥) الصابى : الوزراء ، ص ٤٤ .
(١١٦) م . س . ن : ص ٥٠ .
(١١٧) Bowen : Ali Ben Isa . p . 225 .
(١١٨) ابن مخلدون : العبر ، ج٣ ، ص ٧٧ .
(١١٩) مسكويه : تجارب الأمم ، ج١ ، ص ١٣١ ، ابن الجوزى : المنتظم ،
ج٦ ، ص ١٨٩ .
(١٢٠) ابن خلدون : العبر ، ج٣ ، ص ٧٧ .
(١٢١) مسكويه : تجارب الأمم ، ج١ ، ص ١٢٨ .

- (١٢٢) م . س . ن : ج١ ، ص ١٤١ .
- (١٢٣) م . س . ن : ج١ ، ص ١٤٤ .
- (١٢٤) م . س . ن : ج١ ، ص ١٤٤ .
- (١٢٥) م . س . ن : ج١ ، ص ١٤٧ .
- (١٢٦) م . س . ن : ج١ ، ص ١٤٧ .
- (١٢٧) م . س . ن : ج١ ، ص ١٥٠ .
- (١٢٨) م . س . ن : ج١ ، ص ٢٠٨ .
- (١٢٩) الكبيسي : المقتدر بالله ، ص ٢٢٣ .
- (١٣٠) م . س . ن : ص ٢٢٣ .
- (١٣١) ابن الأثير : الكامل ، ج١ ، ص ٢٠٩ . ابن كثير : البداية والنهاية ج١ ، ص ١٦٤ ، ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص ٧٨٧ ، بينما ذكر مسكويه رقما كبيرا مبلغه (٢٠٠٧٠٠٠ ر) دينار ، ج١ ، ص ٢٠٩ . ويبدو أن هذا الرقم فيه مبالغة كبيرة جدا . وقد اعتمدنا المبلغ المثبت في الجدول نظرا لتواتر رواته واتفاقهم على مبلغه .
- (١٣٢) عريب : الصلة ، ص ١٦٧ .
- (١٣٣) مسكويه : تجارب الأمم ، ج١ ، ص ٢١٢ .
- (١٣٤) ابن الأثير : الكامل ، ج١ ، ص ٢٢٠ .
- (١٣٥) جورجى زيدان : التمدن الإسلامى ، ج١ ، ص ٤١٦ .
- (١٣٦) ابن شاکر الکتبی : فوات الوفیات ، ج١ ، ص ٢٧١ . التنوخى : نشوار المحاضرة ، ج١ ص ٢٥ .

- (١٣٧) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٦ ، ص ١١٢ .
- (١٣٨) الطبري : تاريخ ، ج ١٠ ، ص ١٤٥ ، حتى ان الخليفة سمح للجند والعوام من نهب دوره ودور أبنائه .
- (١٣٩) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٢٦ .
- (١٤٠) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٣١٠ .
- (١٤١) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٦ ، ص ٧٠ .
- (١٤٢) عريب : الصلة ، ص ٦١ ، ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٣٨ / ١٤٧ .
- (١٤٣) الكراع : من معانى الكراع انه كان يطلق على الخيل والبغال والحمير .
الصابي : الوزراء ، ص ٢٣ .
- (١٤٤) الصابى : الوزراء ، ص ٣٤ ، ٣٥ ، ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٠٩ .
- (١٤٥) السامرائى : الإدارة المالية فى الإسلام ، ج ٢ ، ص ٥٢٩ .
- (١٤٦) مسكويه : تجارب الأمم ، ج ١ ، ص ٢٠٣ . مجهول : العيون والحدائق ، ج ٤ ، ص ٣٥١ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٠٩ .
- (١٤٧) مسكويه : تجارب الأمم ، ج ١ ، ص ٢٣١ .
- (١٤٨) صالح العلى : التنظيمات الإجتماعية والإقتصادية فى البصرة ، ص ٢٢٨ .
- (١٤٩) صبحى الصالح : النظم الإسلامية ، ص ٣١٧ ، اليوزيكى : دراسات فى النظم الإسلامية ، ص ١٤٥ .

- (١٥٠) السامرائى : المؤسسات الإدارية ، ص ٢٩٠ .
- (١٥١) مسكويه : تجارب الأمم ، ج١ ، ص ٢١ .
- (١٥٢) الصابى : الوزراء ، ص ٣٣٢ .
- (١٥٣) بيت مال الخاصة : هو المحل الذى تحفظ فيه أموال الخلفاء وحاشيتهم وقد أنشئ لسد نفقات الخليفة وحاشيته ، ويعتمد فى دخله على الضياع السلطانية ، وبعض أموال المصادرات.
- بيت مال العامة : هو المحل الذى تحمل إليه الأموال من الأقاليم لتعد للمصلحة العامة .
- انظر : الماوردى : الاحكام السلطانية ، ص ٢٩ .
- (١٥٤) التنوخى : نشوار المحاضرة ، ج٨ ، ص ٢٤ ، السامرائى : المؤسسات الادارية ، ص ٢٩١ .
- (١٥٥) مسكويه : تجارب الأمم ، ج١ ص ١٥٥ .
- (١٥٦) Sourdel : le Vzirat , Abbassde p . 440 .
- (١٥٧) مسكويه : تجارب الأمم ، ج١ ص ٤٢ . السامرائى : المؤسسات الإدارية ، ص ٢٩٩ .
- (١٥٨) الصابى : الوزراء ، ص ٣٨ .
- (١٥٩) م . س . ن : ص ٢٨ / ٣٧ / ٩٢ .
- (١٦٠) مسكويه : تجارب الأمم ، ج١ ، ص ١٥٤ . الصابى : الوزراء ، ص ٣١١ .
- (١٦١) السامرائى : المؤسسات الإدارية ، ص ٣٠١ .

- (١٦٢) مسكويه : تجارب الأمم ، ج١ ، ص ١٣٠ .
- (١٦٣) مسكويه : تجارب الأمم ، ج١ ص ٢٢٢ ، الهمداني : التكملة ، ص ٨٣ .
- (١٦٤) م . س . ن ص ٨٣ . السامرائي : المؤسسات الإدارية ، ص ٣٠٣ .
- (١٦٥) السامرائي : الإدارة المالية في الإسلام ، ج٢ ، ص ٥٢٣ .
- (١٦٦) الصابي : الوزراء ، ص ٣٣٣ .
- (١٦٧) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٢٥٨ .
- (١٦٨) السامرائي : المؤسسات الإدارية ، ص ٢٩٠ .
- (١٦٩) جورجى زيدان : التمدن الاسلامي ، ج٢ ، ص ١٦٦ . الكبيسي : المقتدر ص ٥٥٥ .
- (١٧٠) عريب : الصلة . ص ١٢٧ / ١٢٨ .
- (١٧١) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٦ ، ص ٨٢ .
- (١٧٢) مسكويه : تجارب الأمم ، ج١ ص ٢٣١ .
- (١٧٣) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٦ ، ص ١١٢ .
- (١٧٤) م . س . ن : ج٦ ، ص ١٦٧ .
- (١٧٥) وتعرض أخويه ، ابراهيم وعبدالله وابنه للمصادرة ونهب املاكهم ودورهم وحوسبوا محاسبة عسيرة ، انظر : عريب : الصلة ، ص ٦١ .
- ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ، ص ١٤٧ .
- (١٧٦) م . س . ن : ج٦ ، ص ١٠٩ .
- (١٧٧) م . س . ن : ج٦ ، ص ١٢٦ .

- (١٧٨) م . س . ن : ج٦ ، ص ١٧٣ .
- (١٧٩) مسكويه : تجارب الأمم ، ج١ ، ص ٢٠٠ .
- (١٨٠) م . س . ن : ج١ ، ص ٦٧ .
- (١٨١) التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج٨ ، ص ٥٣ .
- (١٨٢) عريب : الصلة ، ص ٤٨ .
- (١٨٣) مسكويه : تجارب الأمم ، ج١ ص ١٠٢ .
- (١٨٤) ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ، ص ١٨٣ .
- (١٨٥) مجهول : العيون والحداثق ، ص ٣٤٢ .
- (١٨٦) الدوري : تاريخ العراق الإقتصادي ، ص ٢٦٠ .
- (١٨٧) الكبيسي : المقتدر ، ص ٢٤٥ .

المصادر والمراجع

اولا : المصادر :-

ابن الاثير : ابو الحسن على بن أبى الكرم ، محمد بن عبدالكريم الجزرى : (ت ٦٣٠ هـ) " الكامل فى التاريخ " ادارة الطباعة المنيرية ، القاهرة ١٣٥٣ هـ .

ابن الجوزى : ابو الفرج ، عبدالرحمن بن على (ت ٥٩٧ هـ) .

" المنتظم فى تاريخ الملوك والامم " حيدر آباد ، ١٣٥٧ هـ

ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ)

العبر وديوان المبتدأ والخبر فى ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر " دار الكتاب اللبنانى ، المطبعة الباسلية ، بيروت ، ١٩٥٧ .

ابن دحية : مجد الدين ، عمر بن حسن بن على (ت ٦٣٣ هـ)

" التبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس " تحقيق ، المحامى عباس الغزاوى ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٣٦٥ هـ .

ابن شاکر الكتبى : محمد بن احمد (٧٦٤ هـ)

" فوات الوفيات " تحقيق ، محمد محى الدين عبدالحميد ، نشر : مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٥١ م .

ابن الطقطقا : محمد بن على بن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ)

" الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية " دار بيروت

للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٨٥ هـ .

ابن كثير : عماد الدين ابو الفداء ، اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ) " البداية

والنهاية فى التاريخ " مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٣٢ م

ابن منظور : جمال الدين ، محمد بن مكرم بن على (ت ٧١١ هـ)

" لسان العرب " نشر : دار صادر ، ودار بيروت ، طبعة دار لسان

العرب بيروت ١٣٨٩ هـ .

الازدى : جمال الدين ، ابو الحسن ، على بن ابي منصور (ت ٦١٣ هـ)

" اخبار الدول المنقطعة ، تاريخ الدولة العباسية " تحقيق د . محمد بن

مسفر الزهرانى ، مطبعة العانى ، القاهرة ١٤٠٨

نشر : مكتبة الدار بالمدينة المنورة .

التنوخى : ابو على ، المحسن بن ابي القاسم على بن محمد (ت ٣٨٤ هـ)

" جامع التواريخ المسمى نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة " ج ٨ من

مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق ، مطبعة ابن زيدون دمشق ،

١٩٣٠ م .

التنوخى : " الفرج بعد الشدة " الطبعة الأولى ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة

١٩٥٥ م .

الخطيب البغدادي : ابو بكر ، احمد بن على (ت ٤٦٣ هـ)

" تاريخ بغداد او مدينة السلام " دار الكتاب العربى ، بيروت

١٩٣١ م .

الذهبي : شمس الدين ، ابو عبدالله محمد بن احمد (ت ٧٤٨ هـ)

- " دول الاسلام " مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، ١٣٦٤ هـ
- الرازي : محمد بن ابي بكر بن عبدالقادر (ت ٦٦٦ هـ)
- " مختار الصحاح " نشر : دار الكتب العربية ، بيروت .
- الصابي : ابو الحسن ، الهلال بن المحسن بن ابراهيم بن زهرون (ت ٤٤٨ هـ)
- " الوزراء او تحفة الامراء في تاريخ الوزراء " تحقيق : عبد الستار احمد فرج ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .
- الطبري : ابو جعفر ، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) " تاريخ الرسل والملوك "
- تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة ١٩٧٩ م القاهرة
- عريب ، بن سعيد القرطبي ، (ت ٣٦٩ هـ)
- " صلة تاريخ الطبري " تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، طبع ونشر : دار المعارف بمصر ، القاهرة .
- مجهول : " العيون والحداث في اخبار الحقائق " باعتناء دي خويه ، مطبعة بريل ، لندن ، ١٨٧١ م .
- المسعودي : ابو الحسن ، علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ)
- " مروج الذهب ومعدن الجواهر " تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد
- نشر : دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٣٨٣ هـ
- المسعودي : " التنبيه والاشراف " باعتناء دي خويه ، مطبعة بريل ، لندن ١٩٨٣ م .

مسكويه : ابو على ، أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١ هـ)
" تجارب الامم " ، ج ١ ، مطبعة التمدن الصناعية بمصر ، ١٣٣٢ هـ .

الهمداني : محمد بن عبد الملك (ت ٥٢١ هـ)
" تكملة تاريخ الطبرى " تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم طبع ونشر
: دار المعارف ، القاهرة .

ثانيا : المراجع :-

ادم متز : " الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى او عصر النهضة فى
الاسلام " ترجمة : عبدالهادى ابو ريده . طبع ونشر : دار الكتاب
العربى ، بيروت ومكتبة الخانجى بالقاهرة ، الطبعة الرابعة ، بيروت
، ١٣٨٧ هـ .

جورجى زيدان : " تاريخ التمدن الاسلامى " مؤسسة خليفة للطباعة منشورات
دار مكتبة الحياة ، بيروت ، الطبعة الثانية (بدون تاريخ) .
خوله شاكر الدجيلى : " بيت المال نشأته وتطوره " مطبعة وزارة الاوقاف بغداد ،
العراق ، نشر : جامعة بغداد ، ١٣٩٦ هـ .

الدورى ، عبدالعزيز : " تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى " .
دار المشرق ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٤ م .

السامرائى : حسام الدين : " المؤسسات الادارية فى الدولة العباسية "
دار الفكر العربى ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣ هـ

السامرائى : " الادارة المالية فى الاسلام ، بحث تطور ملكية الارض فى
العصور العباسية " ج ٢ ، طبع ونشر : المجمع الملكى لبحوث

- الحضارة الاسلامية الاردن ، عمان ، ١٩٨٩ م .
- صالح العلى : " التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية فى البصرة فى القرن الاول الهجرى " طبع ونشر : دار الطليعة ، بيروت الطبعة الثالثة ، ١٩٦٩ م .
- صبحى الصالح : " النظم الاسلامية " دار الملايين ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٦ هـ .
- صلاح الدين المنجد : " بين الخلفاء والخلفاء " دار الكتاب الجديد ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٠ م ، بيروت .
- فهمى عبدالرازق سعد : " العامة فى بغداد فى القرنين الثالث والرابع الهجريين " الاهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٣ م .
- الكبيسي ، حمدان عبدالمجيد : " الخليفة المقتدر بالله ، ٢٩٥ - ٣٢٠ هـ " مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ، ساعدت جامعة بغداد على طبعه ١٣٩٤ هـ .
- اليوزيكى ، توفيق سلطان : " الوزارة ، نشأتها وتطورها فى الدولة العباسية " مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٣٩٠ هـ ، نشر : وزارة التربية والتعليم العراقية .

ثالثا : المراجع الأجنبية :-

Bown , H . " The Life and Times of Ali Ben Isa , The
Good Vasier " Cambridge , 1928 .

Sourdel D . : " Le Visirate Abbassides , 749 A936
(132 A 324 de Heqiere " 3 Vol . : Damas-
cus , 1959

Jurji Zaydan : " History of Islamic Civilization "
Translated by D . S . Margoliouth ,
Published by : Nusrat Ali Nasri.
Kitab Bhavan . (R ep . 1981) .

لمعان الضوء في دياجير الظلام
دراسة لعهد الصدر الأعظم محمد كوبريلي

١٠٦٦ هـ - ١٠٧١ هـ

١٦٥٦ م - ١٦٦١ م

تأليف

د . يوسف بن علي بن رابع الثقفى
الأستاذ المشارك فى التاريخ الحديث بكلية الشريعة
بجامعة أم القرى
مكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

انتهى عصر القوة والمجد والسؤدد فى الدولة العثمانية بوفاة السلطان سليمان القانوني عام ٩٧٤ هـ - ١٥٦٦ م ، وبدأ بعده عصر الضعف والتفكك ، انتهى العصر الذى وصلت فيه الفتوحات العثمانية الى أواسط أوربا ليأتى بعده عصر التفكك ومنافسات داخلية ساهمت في ضعف الدولة وتدهور الأوضاع فيها حتى أصبحت مستهدفة لأعدائها في الداخل والخارج وأصبحت في موقف الدفاع بعد أن كانت في موقف الهجوم .

أن الفترة الزمنية التي سبقت تولى حكم كوبرلي منصب الصدارة العظمى (*) في حكومة الدولة العثمانية شهدت مآسي كثيرة مؤثرة . فالإدارة تفشت فيها مظاهر الفساد وعدم الضبط ، والجيش الذى كان يفتح في أوربا تحت راية الاسلام قادته يتخبطون في المؤامرات الداخلية وتنصيب سلطان وعزل آخر ، والعامل الديني الذى كان المحرك الأول للفتوحات العثمانية في أوربا لم يعد كما كان حيث أصبح رجال الدولة من سادة وجنود مهتمون بجمع المال وملذات الدنيا . (١)

لقد انتشرت الفوضى في الأقاليم ، وسيطر بعض الشوار على مناطق كثيرة ، وازداد نفوذ القواد الانكشاريين ، وأكثر الموظفون من أخذ الرشوة ، وأصبح النفوذ

(*) الصدارة العظمى هي الديوان العالي أي ديوان الهمايوني في اسطنبول والذي يتكون من الوزراء والمفتى ؛ والسلطان لا يجلس معهم في الديوان ولكنه يجلس في مكان يطل منه عليهم ، فيرى ويسمع ما يدور فيه ، وعلى أعضاءه أن يرفعوا أصواتهم ويفصحوا في عباراتهم لكي لا يخفى على السلطان شيء ولكي يعرف الأصلح والأفنع منهم ، ورئيس هذا الديوان يسمى بـ " الصدر الأعظم " .

" اتخاف الملوك الألباب " مؤلف مجهول ترجمه من الفرنسية خليفة محمود ص ٣٦٦

(١) اتخاف الملوك الألباب ، لا يعرف مؤلفه ، ترجمه من الفرنسية خليفة محمود ، ص ١٧٩ .

السلطاني في أيدي نساء القصر ، وزادت أطماع الدول الأجنبية في أملاك الدولة . (١)

يقول المؤرخ العثماني اسماعيل سرهنك :

" قد كانت أحوال الدولة في ذلك الوقت (يقصد النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي) في أشد المضايقة ، وماليتها على شفا الافلاس ، وجنديتها البرية التي دبت بينها عوامل التحزب والانحطاط ، وأباد البنادقة أساطيلها في عدة وقائع واستولوا على عشر جزر مهمة ببحر الأرخبيل ، كل ذلك والدولة في حالة سبات وخمول ، لا تتمكن من رتق فتق الا وقد فتح فيها فتوق ، ولا تقدر على سد شق الا واتسعت منها شقوق حتى قبض الله لها رجلا شهما حازما ، ووزيرا عالي الهمة نادرا ألا وهو كوبريلي محمد باشا ، وكان من الذين حنكتهم التجارب ودربتهم الأيام . ولما قبض علي مسند الصدارة شمر عن ساعد الجد لسد الخلل ورأب الصدع فتمكن من مراده لكونه كان يريد في الحقيقة الإصلاح وابتغي بكل جوارحه النجاح ، وهكذا كل أمر خلصت له النية وحسنت فيه الطوية فأخذ في استئصال عروق الفساد ، والتفت الى توطيد دعائم السلطنة ، وتحسين نظام الادارة ، وتقوية الجنود البرية والبحرية ، وترتيبها وتدريبها ، وغير ذلك من الأعمال المفيدة والآراء السديدة ، حتي اكتسبت الدولة حياة جديدة وطريقة حميدة » . (٢)

Kinross . Lord , The Ottoman Centuries , The

(١)

Rise and Fall Of the Turkish Empire , P. 329

محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٩

(٢) اسماعيل سرهنك ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٦٧ / ١٦٨

انه بلا شك أن هذه المقولة تعطينا الصورة واضحة بأن الفترة الذهبية للدولة العثمانية انتهت - كما أشرنا - بوفاة السلطان سليمان القانوني ، وأن الدولة مرت بعد ذلك في دياجير ظلام شديد الظلمة ، ثم لاح للأعيان بريق من الأمل وضوء لامع استمر فترة زمنية قصيرة بالنسبة لعمر الدولة العثمانية ؛ وكان هذا اللمعان على الرغم من قصر مدته له أهمية عظيمة لا سيما وأنه أدى الى تغيرات حاسمة وبناءة في كيان الدولة العثمانية في زمن قياسي ، وهذا ما سنناقشه في هذه الدراسة المتواضعة علنا نصل الى معرفة الدور الحاسم الذي لعبه هذا الوزير - محمد كوبريلي - في الحفاظ على سمعة الدولة العثمانية وتماسكها بعد أن كانت على شفا حفرة الانهيار ، وعلنا نصل أيضا الى تأكيد ما ذهبنا اليه في عنوان هذه الدراسة به " لمعان الضوء في دياجير الظلام " خاصة وأن ما حققه هذا الوزير من أعمال عظيمة في زمن قياسي جعلني لا أتردد في تسمية فترة حكمه بالعنوان المشار اليه.

ان مما زاد الأمر سوءا في الدولة العثمانية قبل تولي محمد كوبريلي منصب الصدارة هو قيام السلاطين العثمانيين بقتل اخوانهم ومنافسيهم على العرش ، وازدياد القادة العسكريين ، والقضاء على محاولات الاصلاح التي حاول أن يقوم بها بعض السلاطين . ففي عام ١٠٣٢ هـ / ١٦٢٢ م قتل السلطان وزيره الصدر الأعظم^(١) ، وشهد عام ١٠٥٨ هـ / ١٦٤٨ م اعدام السلطان ابراهيم^(٢) وتولية ابنه الصغير محمد الرابع عشر الخلافة العثمانية ، وخلال الثمان سنوات

(١) عبد الرحمن شرف ، تاريخ دولت عثمانية ، ص ٣٤

(٢) نفس المصدر ، ص ٤٩ ، محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٩

الأولى لحكم الصبي^(*) عانت الدولة من تمرد وعصيان الانكشاريين والسباهيين . كل هذه الأمور ساعدت على وقوع الدولة تحت التهديد الخارجي ، لا سيما وأن القيادة البحرية العثمانية لم تكن بالمستوى الذى كانت فيه في الماضي ، وهذا ما دفع البنادقة الى التحكم في شواطئ البحر المتوسط كما أرادت .^(١) وفي حقيقة الأمر أن البندقية استغلت تدهور الأوضاع في الدولة العثمانية فحاصرت المضائق وساحل بحر ايجه وموانئ المورة ، وعندما حاولت الدولة العثمانية مقاومتهم انهزم الاسطول العثماني وأسرت البنادقة ألفا من رجال الجيش العثماني وخسروا ست سفن مسجلين بذلك هزيمة نكراء للعثمانيين .^(٢) لم يتوقف البنادقة عند هذا الحد بل قاموا بتعزيز قواتهم في جزيرة كريت واستولوا على تيندوس (Tenedos) وليمنوس (Lemmos)^(٣) من أهم المدن المطلة على المضائق مما أثر على وصول الامدادات الى اسطنبول ، وأساء أيضا الى مشاعر المواطنين العثمانيين، خاصة وأن خطوط الملاحة الموصلة الى مصر

(*) أدلى أحد الذين شاركوا في الاطاحة بالسلطان ابراهيم بتصريح قال فيه : " انه من الممكن مع ارتقاء العرش سلطان حدث أن يشغل الصدارة العظمى رجيل خفيف في مقدوره أن يضع الأمور في نصابها " .

" عبد العزيز الشناوى ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، ج ١ ، ص ٢١٠ " .

(١) Kinross , Lord , The Ottoman Centuries ; P . 231

على حسن ، الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية ، ص ١٠٥ .

(٢) Ibid . P . 231 . , Shaw , Stanford , History Of the Ottoman Empire and Modern Turkey , P . 207

(٣) Creasy . Edward , S . History Of the Ottoman Turks , P . 276 .

محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٣٠ .

وكريت أصبحت مقطوعة وأصبح مضيق الدردنيل مرة ثانية تحت رحمة البنادقة ومغلق أمام البحرية العثمانية . (١)

تحت هذه الأزمات ، وتحت هذه الظروف التي بدأت الأسعار فيها بالارتفاع مع قلة في الطعام ، بزغ فجر جديد عندما بادرت طرخانة (Turkhane) (*) والدة السلطان الصغير المعروفة باسم " السلطانة الوالدة " بدعوة أهم رجل في القصر العثماني لتولى منصب الصدارة العظمى . ، ولمباشرة أعماله ، وانقاذ ما يمكن انقاذه مما لحق بالدولة من مآسي ومشاكل داخلية وخارجية . ومما روى عنها في هذا الشأن، قبل تولى محمد كوبرلي هذا المنصب ، أنها راقبت ذات مرة الديوان الهمايوني تحت رئاسة الصدر الأعظم جوردج (GourdJ) البالغ من العمر المائة ، فأدركت أنه مجرد ألعوبة في أيدي الوزراء ويعيدا عن الكفاءة الإدارية ، مما جعلها تفقد أعصابها وتصبح قائلة : " ياأبتي إن المسألة ليست لحية ذات شعر أبيض أو أسود ، أن المسألة أعمق من ذلك بكثير ، أنها تحقيق الحكم الصالح وإهداء الآراء السديدة. (٢)

(١) جلال يحيى ، تاريخ العلاقات الدولية في العصور الحديثة ، ص ٤٣٨ .

(*) سيدة روسية الأصل نافست جدة السلطان لأبيه منافسة شديدة على السلطة ونجحت في النهاية

" عبد العزيز الشناوى ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، ج ١ ، ص ٢٣٤ .

(٢) الشناوى ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، ج ١ ، ص ٢٣٦ . ٢١

هذا الرجل هو محمد كوبريلي نسبة إلى القرية التي تربى فيها واسمها "كوبريلي" (*) ، وقيل أنه ولد في قرية البانية اسمها "رودنك" : قرب "برات" وذلك عام ٩٧٨ هـ من أسرة غير معروفة ، ثم ذهب إلى قرية "كوبريلي" وسط الأناضول (٢) ، وأخذ فيها تيمارا (**) وتزوج بنت السنجق (***) وهذا هو سبب تسميته نسبة إلى القرية التي نشأ بها .

بدأ محمد كوبريلي حياته في القصر العثماني كطباخ ثم أصبح كبير الطباخين ثم رئيسا للخدم ، فمربي للصقور حتى وصل بمساعدة نساء القصر إلى وظيفة سنجق في دمشق ثم طرابلس وأخيرا في القدس . (١)
وعندما بلغ السبعين من عمره أو الثمانين كما ذكرت بعض المصادر وبنصيحة من السلطانة الوالدة ، تم تعيينه في منصب الصدارة العظمى التي تعادل رئيس الوزراء اليوم . (٢)

(*) مدينة صغيرة في آسيا الصغرى وقد نزع إليها جده من البانيا ، وعرفت عائلته بهذا الاسم نسبة إلى هذه القرية :

" Eversly , L . The Turkish Empire " , P . 179

(**) التيمار : هو الإقطاع الأصغر وهو عبارة عن الأرض التي يمنحها السلطان بهدف استثمارها على أن يقدم صاحب التيمار خدمة للدولة مثل ضرائب أفرسان أو بحارة للأسطول .

أحمد شلبي ، التاريخ الاسلامي والحضارة ، ج ٥ ، ص ٦٧٥ .

(***) سنجق بمعنى راية ، ويطلق هذا الاسم على حاكم الولاية أو المدينة ، وللسنجق مميزات خاصة منها أن تعزف الموسيقى له أثناء دخوله وخروجه لمقر عمله ،

عبد الوهاب بكر ، الدولة العثمانية ومصر ، ص ١٧ .

(١) Eversly , L . The Turkish Empire , P . 180 .

(٢) كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٥١٦ .

وعلى الرغم من وجود بعض المخلصين للدولة والمؤيدين الذين سعوا من أجل تعيين محمد كوبرلي في هذا المنصب ، ألا أن هناك فئات في القصر العثماني وخاصة من ذوى المصالح الشخصية لم يرق لهم هذا التعيين وحاولوا الأشاعة بأن رجل في السبعين من العمر لا يعرف القراءة والكتابة من الصعوبة بمكان أن يمسك زمام الأمور ويدير شئون الدولة بطريقة صحيحة . (١)

ويبدو أن دافع الغيرة هو الذى جعلهم يقولون بذلك لا سيما وهم يعلمون أن محمد كوبرلي مشهود له بالأمانة والسمعة الحسنة خلال سنوات عمله في القصر والمناطق التى حكمها .

وما يدل على تميزه عن منافسيه وأن ما قام به أعداءه إنما كان ذلك بدافع الغيرة فقط ، انه عندما طلب منه أن يشغل هذا المنصب ، رفض قبوله الا بشروط معينة ، خاصة وقد أدرك أن اصلاح الأمور في الدولة سوف لا تكون في وضعها الصحيح ما لم تطلق له حرية العمل دون تدخل السلطان. وكان شروطه التى

(١) Norman, Itzkowitz, Ottoman Empire and Islamic Tradition, P. 78.

أوردتها معظم المصادر التاريخية على النحو التالي : (١)

- أن لا يقبل السلطان أو ينفذ أى طلب أو مكاتبات ما لم تكن مصادق عليها من قبله .

- لا يحق لأي موظف أو وزير أن يتصرف في أمرها دون علمه .

- يختص بالنظر في التعيين في الوظائف والغاءها صغرت الوظيفة أم كبرت .

- لا يجوز للسلطان أن يسمع للوشاية ضده من أعدائه وتكون ثقة السلطان فيه مطلقة .

وعلى الرغم من أن هذه الشروط تحد إلى حد كبير من صلاحيات السلطان وأمه الوصية عليه ، إلا أن الوضع المتدهور في الدولة - كما يبدو - وعدم وجود الرجل المناسب لهذا المكان جعل السلطانة طرخانه تنقاد لشروطه وتوافق عليها وتقسم أمام الملائية عن ابنها البالغ من العمر خمسة عشر عاماً (٢) آنذاك - حسب

(١) صدر أسبق كامل ، تاريخ سياسي دولة عليّة عثمانية ، ص ٩٣ .

عبد الرحمن شرف ، تاريخ دولت عثمانية ، ص ٦٧ .

Kinross , Lord , The Ottoman Centuries , P . 180

محمد مراد ، تاريخ أبو الفاروق ، تاريخ عثمانية ، ج ٦ ، ص ٣٧١ / ٣٧٢ .

Eversly , L . The Turkish Empir , P . 180 (٢)

طلبه - أن شروطه ستكون في موضع الاعتبار والتنفيذ . (*)

ثم أعقب ذلك مصادقة مفتي الدولة على هذه الشروط لتأخذ بذلك صفتها الشرعية ، وتم استقبال الوزير في مركب رسمي حتي مقر السلطان الصغير الذي أعلن بدوره موافقته على الشروط وتأييده للقسم الذي أدته أمه . (١)

أطلق على الوزير محمد كوبرلي مسمى الصدر الأعظم ، وبدأ بعد تعيينه يمارس عمله وأصبحت شئون الدولة واصلاحها منذ تعيينه تحت تصرفه بدون تدخل من السلطان وأمّه .

وأشار المؤرخون الى أن تجاربه الطويلة في خدمة القيادات الرسمية والصدور العظام ، وتنقله في وظائف مختلفة قبل توليه هذا المنصب ، كل ذلك ساعد على نجاح ادارته ، وجعلته يعرف عن يقين أمراض الدولة التي تعاني منها وكيفية التعامل معها . أيضا ساعدته تجاربه الطويلة على معرفة الرجال وما يقوم به شلة القصر من أعمال فأصبح رجل التجربة والحكمة ، يتصرف بعقل متيقظ ، رحيم

(*) يبدو أنها على يقين من اخلاص وزيرها الجديد ورغبته في خدمة الدولة بعيدا عن تحقيق المصالح الشخصية مقارنة بغيره من الصدور العظام والا لما سارعت بإعلان موافقتها أمام الرعية حتى لا ينفلت زمام الأمر ويرفض العمل .

(١) عهد الرحمن شرف ، تاريخ دولت عثمانية ، ص ٦٨ .

Kinross Lord , The Ottoman Centuries , P . 332 .

وقت الرحمة متنبه لمراقبة المستهترين ، وضاربا بيد من حديد على كل من يريد
الاخلال بالأمن ، وملتزما بالهدوء وضبط النفس ومعاملة الرعية بالعدالة دون تمييز
في المناصب . (١)

بهذه الحيوية وهذه المواصفات وهذه القوة التي تم بها تعيينه في الصدارة العظمى
بدأ الوزير محمد كوبريلي يمارس صلاحياته مبتدأ بتصحيح بعض الأوضاع في
الداخل ثم الاهتمام بالشئون الخارجية .

وابتدأ اصلاحاته الداخلية بمراقبة المتهاونين في أداء أعمالهم واستبدال من يثبت
ادانته دون النظر الى مكانته الوظيفية ، وليس أدل على تنفيذ قراراته أن من بين من
وجدتهم متهاونين وتم استبدالهم : قائد الأسطول العام / زعيم الجيش الانكشارى /
وشيخ الاسلام . (٢)

وفي داخل القصر لاحظ أن بعض العاملين يسيئون استخدام وظائفهم فأصلح من
شأنهم واستبدل بعضهم بغيرهم ، وكان من أولئك رئيس الخصيان الأسود مستشار
والدة السلطان حيث نفاه إلى مصر عندما لاحظ اخلاله بمسؤولياته . (٣)

وعندما لاحظ محمد كوبريلي انتشار البدع والخرافات في الأوساط الشعبية
ومدى تأثيرها في خلق أزمات داخلية متعددة، رأى أنه من الأفضل العودة الى أيام

(١) Norman, Itzkowitz, Ottoman Empire and Islamic Tradition. P. 77 .
Kinross , L . The Ottoman Centuries , P . 332 .

(٢) صدر أسبق كامل ، تاريخ سياسي ، دولة عليية عثمانية ، ص ٩٢ .

(٣) Norman Itzkowitz , Ottoman Empire and Islamic Tradition, P . 77 .
Eversly , L . Turkish Empire , P . 180 .

عبد الرحمن شرف ، تاريخ دولت عثمانية ، ص ٦٨ / ٦٩

المجد والسؤدد ، الى أيام السلطان سليمان القانوني عندما كانت الشريعة الاسلامية هي الفصيل في المعاملات ، وكانت الدولة ملتزمة بتطبيقها في كل شئون الحياة . واتخذ لتنفيذ ذلك قرار يقضي بالاعدام أو الاعفاء من الوظيفة لكل من يقف ضد هذه الدعوة الاصلاحية . (١)

وشملت اهتمامات محمد كوبرلي الداخلية ميزانية الدولة (٢) ، فأمر على الفور بالغاء المصروفات الاضافية وأبقى على الضروريات فقط ، وأمر بمصادرة الأملاك الخاصة (*) وأن تعود فوائدها الى خزانة الدولة .

أما اهتمامات الوزير محمد كوبرلي بشئون الدولة الخارجية والثورات الداخلية فتتمثل في الصراع العثماني / البندقي حول مضيق الدردنيل ، واخضاع التمرد في ترانسلفانيا ، والقضاء على ثورة حسن أباطة .

فبالنسبة للصراع العثماني / البندقي ، فقد أدرك محمد كوبرلي أن خطر البنادقة عليهم زاد عن حده ، وأن الوضع التجاري في دولته سيبقى تحت رحمة الأعداء طالما بقيت المضائق مهددة . ولذلك رأى أن فك الحصار قد لا يحدث ما لم يعيد للأسطول العثماني نشاطه ، وعلى الفور اسند مهمة بناء الاسطول الى القائد طوبال محمد باشا ، والذي تمكن من تجهيز اسطول عظيم مجهز بالأدوات اللازمة .

(١) محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٠

(٢) كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٥١٧ .

(*) لم تحدد المصادر هوية هذه الأملاك الخاصة ، وأننى أشك في حدوث مثل هذه الحالة لا سيما اذا أخذنا في الاعتبار رغبة الوزير في العودة الى تطبيق القوانين الاسلامية وعدم معارضة الاسلام للملكية الخاصة ؛ هذا من جانب ، ومن جانب آخر هذه المعلومة لم ترد في المصادر الاسلامية وانما أوردوها المؤرخون الغربيون مما يجعلنا نشك في صحة مثل هذه الرواية .

ثم ان الصدر الاعظم محمد كوبرلي قاد الجيش بنفسه ولكن الجولة الاولى لم تكن في صالحه حيث غرق بعض سفنه وهرب البعض الآخر وبدأ البنادقة يقذفون العمارة العثمانية بالمدافع ثلاث أيام بلياليها ، وقرر قائد الأسطول البندقي طوماس موشنجو (Thomas Mocenigo) القبض على الدونا العثمانية الراسية بجوار " قوم برون " . (١)

عند هذه النقطة الحاسمة تقدم أحد رجال البحر العثماني ويدعى محمد و صوب مدفعيته نحو السفينة التي يقودها طوماس فأصاب ، بقدرة الله تعالى ، مخزن بارود في السفينة مما أدى الي انفجارها وقتل القائد ونحو ألفا من أصحابه ، وتضرر كثير من السفن القريبة منها واضطرت البقية العودة تجر أذيال الهزيمة تاركين ورائهم بعض سفنهم . (٢)

وتابع الوزير حلاوة النصر ، فأجزل العطايا لرجال المنتصرين ثم أمرهم بمواصلة الكفاح تحت قيادة طوبان محمد باشا ضد البنادقة حتى تمكنوا من تحرير جزيرتي ليمنوس (Limnos) وتينيدوس (Tenedos) بعد أن حاصروهما نحو ستين يوما . بعد ذلك عاد الوزير الي اسطنبول وفي عام ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٦ م بعد أن تم تحرير الجزيرتين عزل طوبان محمد باشا من القيادة وعين محافظا لجزيرة (سافز) ثم

(١) اسماعيل سرهنك ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٦٨ .

محمد مراد ، تاريخ أبو الفاروق ، تاريخ عثمانيد ، ج ٧ ص ٩٥ / ٩٦ .

(٢) اسماعيل سرهنك ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٧٣ .

حصل على " جزاء سنمار " حيث أعدم بسبب اعتقاد السلطان العثماني بأنه قائد جبان. (١)

ومع أن العثمانيين انتصروا على أعدائهم بفضل الله ثم بالاستعداد للمعركة امتثالاً لقوله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) (٢) ، إلا أن المؤرخين الغربيين - كعادتهم - أوردوا خبر انتصار العثمانيين وكأنه بسبب انفجار مخزن للبارود على إحدى السفن الإيطالية دون ذكر التصويب بالمدفع العثماني . (٣)

وبهذا الانتصار أعيدت الثقة في الجيش العثماني والبحرية العثمانية ، وبهذا الانتصار ازدادت مكانة الصدر الأعظم في أعين الناس ، مما زاد في طموحاته وآماله ، وبدأ يطمع في إعادة تلك الأمجاد القديمة التي دقت فيها الدولة العثمانية أبواب : فيينا " سنة ٩٣٦ هـ / ١٥٢٩ م .

وعلى الرغم من هذه الطموحات والآمال ، فإن الصدر الأعظم لم يتابع حلوة النصر على خصومة البنادقة وذلك بسبب موقف جورج راكوزي (*) (George Rakozy) أمير ترانسلفانيا الذي أعلن تمرده على السلطان العثماني وأعلن استقلال بلاده عن التبعية العثمانية . زد على ذلك أن راكوزي أعلن نفسه زعيما بروتستانتيا واتحد مع ملك السويد وأمراء الأفلاق والبغدان

(١) المصدر السابق .

انظر أيضا : عبد الرحمن شرف ، تاريخ دولت عثمانية ، ص ٧٣ .

(٢) سورة الأنفال ، آية رقم ٦٠ .

(٣) Shaw, S. History Of the Ottoman Empire and Modern Turkey. p210

Eversly , L . The Turkish Empire . P . 180 .

(*) يلفظ في بعض المصادر العثمانية " راقوجي " . محمد مراد ، تاريخ أهر الفاروق تاريخ

عثمانية ، ج ٧ ، ص ١٠٦ ، وراقوكس ،

صدر أسبق كامل ، تاريخ سياسي دولت علية عثمانية ، ج ٢ ، ص ٩٤ .

بهدف فتح هنغاريا واقتسام بولندا مع روسيا . (١)

ويبدو أن راكوزى رأى أن ضعف الدولة العثمانية وتدهور الأوضاع فيها قبل وزارة محمد كوبرلي ، قد يساعده على الاستقلال بحكم ترانسلفانيا والغاء التبعية العثمانية ، ولكنه في حقيقة الأمر تناسى أنه أعطى لنفسه حجما أكبر منه الأمر الذى سيؤدى به الى الفشل في النهاية . أضعف الى ذلك أن محاولته هذه جعلت الصدر الأعظم يعطى القضية اهتماما خاصا لا سيما وأن رغبة راكوزى في اقتسام بولندا مع روسيا لا يتفق مع السياسة العثمانية في أوروبا ويؤثر في نفس الوقت على العلاقات العثمانية / الأوروبية بصفة عامة .

فعندما تعرضت بولندا للغزو من كل جانب بادرت الدولة العثمانية بالتدخل حفظا للتوازن ومحاولة للحد من طموحات راكوزى وأطماعه التوسعية .

وكان أولي المواجهات مع راكوزى في عام ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٧ م عندما أرسل الصدر الأعظم قوة كبيرة من التتار قام أفرادها بالدخول الى ترانسلفانيا ومن ثم نهبها (*) مما ادى إلى انسحاب راكوزى من وارسو (Warsaw) الى فستولا (Vistula) حيث هزم فيها هزيمة نكراء .

(١) صدر أسبق كامل ، تاريخ سياسي دولت عثمانية ، ج ٢ ، ص ٩٤ .

كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٥١٧ .

(*) المصادر الأوروبية أمثال " شو " وغيره تشير إلى أن التتار اكثروا فى النهب والقتل في مدينة ترانسلفانيا مستغلين زهوة الانتصار . ويظهر أن ذلك مجرد تحامل على الدولة العثمانية ، وإذا حدث أن تصرف البعض بعدم أو غير ذلك فلا يجب أن نعم ونثبت حقائق قد تكون مقصودة ، وبينما المصادر العثمانية لم تشر إلى ذلك .

Shaw, S. History Of the Ottoman Empire and Modren Turkey, P. 210.

اسماعيل سرهنك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ١٧٠ / ١٧١ . محمد فريد بك ، تاريخ

الدولة العثمانية ، ص ١٣١ . عبد الرحمن شرف ، تاريخ دولت عثمانية ،

ثم كانت المواجهة الثانية بقيادة محمد كوبريلي على رأس حملة كبيرة كان من نتائجها استسلام مدينة فھر فار (Fehervar) عاصمة راکوزى ومن ثم هروبه الى النمسا .

بعد أن تحقق النصر على راکوزى ، رأى الصدر الأعظم الالتزام بسياسة هادئة غير منفرة ، فوافق على الفور أن يكون حكم ترانسلفانيا لأمين خزانة (*) راکوزى ، بارسى ايكوس (Barcsay Ekos) واشترط عليه أن يكون تابعا للدولة العثمانية وأن يدفع أربعين ألف دوکا كل عام ، وأن تكون المواقع الأمامية في ترانسلفانيا تحت تصرف الجيش العثماني (١) ويبدو أن الشرط الأخير قصد به أن تستخدم تلك المنطقة مقرا دائما للقوى العثمانية وتوظيفها لصد أى ثورة أو محاولة استقلال في المستقبل .

ورغم هذه السياسة التى تم بها تعيين بارسى ايكوس ، فقد قامت معارضة من قبل أنصار راکوزى الذين يبدو أنهم لم يتقبلوا طريقة التعيين فما كان منهم إلا اعلان المعارضة خاصة بعد أن حصلوا على تأييد رسمي ومساعدات عسكرية من الهابسبرج واتفقوا على ترشيح أحد قواد راکوزى واسمه كيمنى جانوز (Kemeny Janos) حاكما لهم مستقلا عن الحكم العثماني . (٢)

(*) يبدو أن الوزير محمد كوبريلي نهج هذه السياسة حتى يتقبل الناس هذا القرار بالرضى طالما أن خليفة راکوزى من أتباعه ولكنه من جهة أخرى حقق الهدف حسب الشروط التى اشترطها عليه أثناء تعيينه .

(١) محمد مراد ، تاريخ أبو الفاروق ، تاريخ عثمانيده . ج ٧ ، ص ١٢١ / ١٢٢ اسماعيل سرهنك ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٧٠ .

محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣١ .

(٢) Naima , Annales Of The Turkish Empire , Vol . VI, P . 340

ولكن لم يمض وقت طويل ، حتى انطبق على كيمني وأتباعه قول المثل : " يا حافر حفرة السوء حذر تقع فيها " حيث وقف نبلاء ترانسلفانيا ضده وقتلوه ورشحوا مكانه رجلا من بني جنسهم وهو ميخائيل أبا في والذي حكم ترانسلفانيا مدة عشرين عاما ، التزم خلالها بمبدأ الحياد وأُعترف بتبعيته للدولة العثمانية ، وكأن ما حاول القيام به سلفه لم يكن . (١)

وما كاد الوزير محمد كوبريلي ينتهي من أزمة راکوزي حتى يتورط في مشكلة داخلية جديدة وهي ثورة حسن أباظة ، تلك الثورة ، التي عرقلت مساعي الدولة في تثبيت النظام والاستقرار في ترانسلفانيا وساهمت في تأجيل وصول العثمانيين الى جزيرة كريت ومن ثم فتحها .

ظهرت هذه الثورة في سوريا والأناضول من أمهات المناطق الداخلية في الدولة العثمانية ، وبقيادة رجل كانت له أطماع رئاسية على الرغم من كونه معين على وظيفة سنجق . (٢)

بدأ زعيم هذه المقاومة ، حسن أباظة ، باعلان تمرده ضد السلطان في منتصف عام ١٠٦٨ هـ / ١٦٥٨ م . وطالب أول ما طالب بقتل الصدر الأعظم وتعيين طيار زاده أحمد باشا مقابل تبعيته ومبايعته للسلطان العثماني ، وساعده في مواصلة التمرد انضمام القوات التي أرسلها الصدر الأعظم إليه لاختضاعه ، وكذلك تأييد بعض من حاشية السلطان ممن كانوا يكرهون الصدر الأعظم ويرغبون

(١) عبد الرحمن شرف . تاريخ دول عثمانية ص ٨١ ، على حسن ، الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية ، ص ١٠٥ ، كارل بروكلمان تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٥١٧ .

Shaw,S. History Of The Ottoman Empire and Modern Turkey, P.210 .

Naima , Annals Of The Turkish Empire , Vol . 6 , P . 342 (٢)

في تحقيق المال والمناصب ومآرب أخرى ، خاصة من أولئك الباشوات المعزولين بقرار من الصدر الأعظم . (١)

انخدع حسن أباظة بتأييد بعض رجال القصر فتقدم بجيشه حتى وصل إلى مضيق البوسفور ، مما أدى إلى انتشار الرعب والقلق في نفوس الأهالي في العاصمة ، وتوجيه النداء للصدر الأعظم ، للعودة من ترانسلفانيا ومواجهة هذه الحالة الطارئة . (٢)

لم يكن الأمر من السهولة بمكان في نظر الصدر الأعظم ، ذلك أن هذه الحركة المزعجة التي تسببت في توقف الجيش العثماني في الجانب الأوربي ، لا بد وأن يعاقب مدبرها أشد العقاب . فما كان من الصدر الأعظم الا أن اتخذ التدابير اللازمة للمواجهة الحاسمة مع الثوار والقضاء عليهم ، ومن ذلك قيامه بصرف رواتب ستة أشهر للجنود مقدما تشجيعا لهم وحثا لهم على الاخلاص والالتزام ، إضافة الى قيامه بارسال الجواسيس حول الأناضول والاتصال ببعض مؤيدي الثورة واغرائهم بالانضمام الى الصدر الأعظم . (٣)

كان لهذه التدابير أثرها الفعال على الثوار ، وكانت بمثابة الانذار بالخطر المرتقب ، مما أدى إلى هروب بعض رجال حسن أباظة ، وأدى أيضا الى فوضى واضطراب في صفوف الثوار ، إضافة الى النقص الواضح في المؤن والمواد الغذائية عندهم .

(١) اسماعيل سرهنك ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٧٠ .

Naima , Annals Of The Turkish Empire , Vol . 6 , P . 342

محمد مراد ، تاريخ أبو الفاروق ، تاريخ عثمانية ، ج ٧ ص ١٣٠ .

(٢) نفس المصادر

(٣) صدر أسبق كامل ، تاريخ سياسي دولت عليية عثمانية ، ج ٢ ، ص ٩٥ / ٩٦ .

هذه الأمور التي ظهرت للعيان وأُنذرت الثوار بالخطر جعلت حسن أباظة يشعر بالاحباط وأن الأوضاع في غير صالحه ، ونجاحه ميؤس منه ، فبدأ بالانسحاب من بورصة (Bursa) الى أسكى شهر (Eskisehir) وفي نفس الوقت أرسل عدد من رجاله للاتضمام إلى القصر والحصول على الرواتب ومحاولة مساعدته الصدر الأعظم ، وأخيرا طلب من الصدر الأعظم منحه هدية لحل المشاكل فيما بينهما . (١)

ويبدو أن هذه المحاولات اليائسة من ثائر عاجز عن تحقيق أهدافه لم تحقق تقدما يذكر ، لا سيما وأن الصدر الأعظم أذكى من خصمه وأدرك أن هذه المحاولات ما هي الا حيلة مدبرة لتجنب المواجهة الحتمية وما ينجم عنها من نتائج . وكانت الخاتمة أن تدخل شيخ الاسلام بالنصائح المؤثرة لأباظة واتباعه حتى انضم إلى الجيش السلطاني عدد منهم ، ورضى أباظة بتسليم نفسه إلى مرتضى باشا بمدينة حلب بعد أن أمنه على نفسه وأتباعه ، الا أنه لم يوف بالعهد بل قتله هو ورفاقه وذلك في أوائل عام ١٠٦٩ هـ / ١٦٥٩ م (٢) .

بعد هذه الأعمال والانجازات العظيمة التي حققها في خلال خمسة أعوام ، لم يترك الصدر الأعظم أى فرصة لكل من تسول له نفسه القيام بأى عمل يسيء إلى مصلحة الدولة أو يؤدي إلى عرقلة نشاطها العسكرى ضد أعدائها من الدول

(١) المصدر السابق .

انظر أيضا : Shaw , S . History Of The Ottoman Empire and modern Turkey . P . 211 .

(٢) اسماعيل سرهنك ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٧٠ .

محمد مراد ، تاريخ أبو الفاروق ، عثمانية ، ج ٧ ، ص ١٣٤ / ١٣٥ .

الأوربية . ففي الداخل جواسيسه في كل مكان لمراقبة من يعيث بأمن الدولة ، وفي الخارج ركز اهتمامه على فتح جزيرة كريت وعندما علم بمساعدة الفرنسيين للبنادقة في حماية الجزيرة (كريت) سرا ، اتخذ خطوات فعالة لقطع العلاقة مع فرنسا على الرغم من تلك العلاقات الودية القديمة وعلى الرغم من تلك الامتيازات التي نعت بها فرنسا في الدولة العثمانية .

ووما يجدر ذكره أن الصدر الأعظم سبق وأن ضبط رسالة مرسلة الى المسيو "دي لاهي" سلمها أحد الفرنسيين الموظفين في بحرية البنادقة وعندما لم يستطع حل رموزها أرسل باستدعاء السفير الفرنسي الذي بدوره لم يأت معتذرا بمرضه فأناوب عنه ولده، وعندما سأله الصدر الأعظم لم يراع في جوابه آداب المخاطبة ، فأمر بسجنه في الحال ، ثم حضر والده ولم يفسر رموز الرسالة كما ينبغي ، فأرسلت فرنسا المسيو "دي بلندل" سفير فوق العادة لمقابلة السلطان وطلبه عزل الصدر الأعظم ، ولكنه لم يسمح له بمقابلة السلطان وقابله الصدر الأعظم ، ولهذا ساعدت فرنسا جزيرة كريت علنا وأرسلت إليها أربعة آلاف جندي غير المتطوعين وأمدت النمسا بالمال هدفا منها لاشغال الدولة العثمانية وانتقاما لمواقفها نحوها . (١)

ومع كل هذه الاهتمامات لهذا الوزير المخلص الا أن الكبر لم يهمله أكثر مما استحق حيث بلغ الخامسة والثمانين من العمر فخاف على الدولة من الضياع من بعده ، فبدأ أول ما بدأ بأخذ موافقة السلطان وأمه على تعيين ابنه أحمد في مكانه بعد موته، لاسيما وأنه دربه في الأعمال الرسمية ورياه تربية خاصة لمهام الوظيفة ؛

(١) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٢ .

أضافة إلى أنه قبل وفاته جعل الطريق ممهدا لابنه ، فالاسطول تم بناءه من جديد ليواكب الأساطيل المعاصرة له والمضائق أبعد عنها خطر الأعداء والمناوئين والشوار في الداخل والخارج تم الانتصار عليهم وزال خطرهم ، حتى غدت الدولة قوية الجانب متماسكة بعد أن أوشكت على الانهيار .

زد على ذلك أن حرص هذا الوزير واخلاصه لهذه الدولة استمر معه حتى وهو على فراش الموت ، فقبل وفاته في سنة ١٠٧٢ هـ / ١٦٦١ م ^(١) ترك للسلطان الوصايا التالية :

- لا تسمع لنصيحة امرأة .
 - لا تسمع بأن يصبح المواطن غنيا .
 - يجب أن لا تنقص خزينة الدولة على الدوام .
 - استمتع بركوب الخيل واجعل الجيش دائما في حركة مستمرة .
- واذا نظرنا بعين الاعتبار لهذه الوصايا ، وإذا ما حللنا مقاصد هذا الوزير من هذه الكلمات في كل وصية ، فإننا بلا شك سنتعرف على الأسباب التي دفعته لذكرها .
- ويبدو أن الصدر الأعظم كان تأثر بظروف عصره منذ كان طباحا في القصر حتي وصل الى وظيفة " الصدر الأعظم " .
- فالتوصية الأولى التي يوصى فيها بعدم السماع لنصيحة المرأة توحى بتأثره بالأوضاع العثمانية التي كثر فيها تدخل نساء القصر في شئون الدولة ، لا سيما وأنه نفسه مدين في تعيينه كصدر أعظم للسلطانة الوالدة " طرخانة " ، ثم ان بقاء

(١) عبد الرحمن شرف ، تاريخ دولت عثمانية ، ص ٨٢ ، محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٣ .

الموظفين الكبار في مناصبهم كان مرتهم برضاء الحريم السلطاني - زد على ذلك أنه كان يشعر باستحالة ممارسة اختصاصات وظيفته أمام رغبات نساء القصر حيث قال في حديث خاص لأحد أصدقائه : " انهن لا يفكرن إلا في أنفسهن ، ولا يقدرن المسؤولية ، وأن الدولة على وشك الانهيار (١) .

وعلى الرغم من كون المرأة عاطفية وقد تصدر أحكاما أو تتصرف بما لا يتفق مع الواقع ، الا هذه التوصية تحمل معنى العمومية ، فالنساء لسن على مستوى واحد ، ومثلهن الرجال ، واذا كانت ظروف العصر الذى عاشه الصدر الأعظم أعطاه نوع من الانطباع السيء عن المرأة ، فكم من أمثلة في التاريخ لنساء بلغن القمة في العقل والحكمة والالتزام .

أما التوصية الثانية التي يوصى فيها بألا يسمح للمواطن بأن يصبح غنيا ، فهي توصية عقيمة ولا تتفق مع المنطق وليس لها ما يبررها ، وتتعارض مع الشريعة الاسلامية السمحاء ، وللأسف الشديد أن بعض ساسة الدول في القرون الحديثة نهجوا هذا المنهج وكأنهم يطبقون بذلك هذه التوصية على شعوبهم .

والتوصية الثالثة التي تنص على ضرورة بقاء خزانة الدولة غير منقوصة على الدوام ، فهي توصية ايجابية ولها ما يبررها ، خاصة وأن النقص في خزانة الدولة يشل من قوتها واستمرار ثباتها وتطورها . وقد عاصر الوزير محمد كوبرلي ما عانتة الدولة من نقص في مواردها المالية زمن السلطان ابراهيم الأول " ١٠٤٩ هـ - ١٠٥٨ هـ " عندما أسرف هو ورجال البلاط في موارد البلاد المالية وزيدت فئات

(١) عبد الرحمن شرف ، تاريخ دولتي عثمانية ، ص ٨٣ / ٨٤ .

Eversly , Lord . The Turkish Empire . P . 181 .

(٢) الشناوى ، الدولة العثمانية دولة مفتري عليها ، ج ١ ، ص ٦٠٨ / ٦٣٣ .

الضرائب المقررة واستحدثت ضرائب أخرى لسد نفقات القصر مما أدى الى سخط الرعية وقتل السلطان سنة ١٠٥٨ هـ / ١٦٤٨ م .

ولذلك لا نستغرب توصيته بهذه الوصية ، وكأنه يريد أن يؤكد على ضرورة الترشيح وعدم الانفاق في غير اللازم ، وهو ما التزم به أثناء عمله في منصب الصدارة .

أما التوصية الرابعة الخاصة بركوب الخيل وحركة الجيش ، فقد عاش الوزير تجربتها بنفسه عندما كان السلطان محمد الرابع متعلقا بركوب الخيل والقنص تاركا شئون الدولة في أيدي الغير ، ويبدو أن الوزير أراد أن يهتم السلطان بأمر دولته بنفسه ولا يجعل هذه الهواية تصرفه عن ممارسة واجباته الأساسية ، فقد يعتمد على من يسيء استخدام السلطة في حالة غيابه عنها ، وكان مقصد الوزير في ذلك جليل وتقديره للأمر عظيم .

وهكذا أيها القارئ الكريم ، أضاف هذا الوزير - محمد كوبريلي - الى انجازاته العملية توصياته الأدبية التي توحى بمدى حرصه على أمن واستقرار الدولة العثمانية حتى بعد وفاته . ولذلك فان الخمس السنوات التي حكم فيها وما شهدته من المجازات عظيمة تعتبر بحق فترة تاريخية مضيئة في تاريخ الدولة العثمانية . فخلالها قبض على زمام الأمور وقاوم أعداء الدولة في الداخل والخارج حتى أعاد للدولة سالف مجدها ، وخلالها محا آثار الفوضى وأعاد الأمن والنظام وفك الحصار على المضائق واسترجع الجزر من الأعداء حتى أصبحت الدولة في مركز مميز أمام الدول المعاصرة لها بعد أن كانت على وشك الانهيار .

وأخيرا أرجو من القارئ الكريم المعذرة في الخطأ والتقصير فجل من لا يخطئ والله من وراء القصد وهو الهادي الى سواء السبيل .

(١) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٢٩ .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- الحديث الشريف
- الكتب العربية والمعرية :
- اتحاف الملوك والالباب (لا يعرف مؤلفه) .
- ترجمه من اللغة الفرنسية خليفة محمود .
- بروكلمان ، كارل .
- تاريخ الشعوب الاسلامية . نقله الى العربية نبيه أمين فارس ، ومنير البعلبكي ، ط ٦ ، بيروت : دار العلم للملايين ١٩٧٤ م .
- بكر ، عبد الوهاب ،
- الدلة العثمانية ومصر في منتصف القرن الثاني من القرن الثامن عشر ،
- القاهرة دار المعارف ، ط ١ ، ١٩٨٢ م .
- جلال ، يحيى ،
- تاريخ العلاقات الدولية في العصور الحديثة ، الاسكندرية :
- دار المعارف ، ١٩٨١ م .
- سرهنك ، اسماعيل ،
- تاريخ الدولة العثمانية . بيروت : دار الفكر الحديث ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- شلبى ، أحمد ،
- التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ،
- ط ١ ، ١٩٧٧ م .

- الشناوى ، عبد العزيز محمد ،
الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها . ثلاث مجلدات ، القاهرة :
مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة جامعة القاهرة : ١٩٨٠ م .
- عبد الرحمن ، شرف ،
تاريخ دولت عثمانية ، اسطنبول : مطبعة سي-باب عالي جاده سنده ١٣٠٩ هـ .
- على حسون ،
الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية ، المكتب الاسلامي .
- كامل ، صدر أسبق ،
تاريخ سياسى دولت عليه عثمانية . ج ١ ، مطبعة أحمد حسان ، ١٣٢٧ هـ .
- محمد فريد بك المحامى ،
تاريخ الدولة العلية العثمانية ، بيروت : دار الجيل ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .
- محمد مراد ،
تاريخ أبو الفاروق ، تاريخ عثمانيده ، ط ١ ، مطبعة آمدى ، ١٣٢٩ هـ .

- Creasy , Edward . S .

History Of the Ottoman Turks , Beriut , 1961 .

- Eversly , G . J . S . ,

The Turkish Empire : Its Growth and Decay ,
London , Fisher Unwin Ltd . , 1917 .

- Naima

Annals Of The Turkish Empire , New York: Arno Press ,
1973 .

- Norman , I .

Ottoman Empire and Islamic Tradition , New York ,
Alfred A . Knopf , 1972

- Kinross , Lord .

The Ottoman centuries : The Rise and Fall Of The Turkish
Empire , London : Jonathan Cape .

- Shaw , S .

History Of the Ottoman Empire and Modern Turkey ,
London : Cambridge University Press .

الكرج والاتراك السلاجقة

فى عهد داوود الثانى

(١٠٨٩ - ١١٢٥ م / ٤٨٢ - ٥١٨ هـ)

دكتور

فايز نجيب اسكندر

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة بنها

الكرج والاتراك السلاجقة

فى عهد داوود الثانى

(١٠٨٩ - ١١٢٥ م / ٤٨٢ - ٥١٨ هـ)

د . فايز نجيب اسكندر

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة بنها

أطلقت قديما على بلاد الكرج^(١) اسم «هيركانى» HYRCANIE ، ثم وردت فى اللغة الكرجية تحت اسم «خارطلى» K'ART'LI ، وذكر الكرج أن «خارطلى» اسم مشتق من اسم جدهم الأول «خارطلوس» . وتربط الأساطير الكرجية القديمة بين «خارطلوس» وبين النبی نوح عليه السلام قائلة إنه «ابن طوركوم ابن جومر بن يافث بن نوح» . و«خارطلوس» هذا شقيق «هايك» البطل القومى الأسطورى الذى ينتسب إليه الأرمن^(٢) . وقد أطلقت الفرس على بلاد الكرج اسم «كوردجستان» GURDJISTAN أي بلاد الكر^(٣) . والروس يسمون بلادهم «جروزيا»^(٤) . أما المسلمون ، فقد أطلقوا على بلادهم اسم «جزران»^(٥) «تارة» ، و«مملكة جرجين»^(٦) «تارة أخرى» ، و«خزران»^(٧) «تارة ثالثة» ، و«بلاد الكرج»^(٨) «تارة رابعة» . والاسم الرابع هو الأكثر استخداما فى المصادر الإسلامية . إلا أن اللاتين والبيزنطيين ينفردون بتسمية بلادهم «أيبيريا»^(٩) IBERIE وكان سترابون^(١٠) (توفى حوالى سنة ٢٥ م) STRABON أول من تحدث عنهم .

أما هيرودوت ، فقد ذكر أن أيبيريا عرفت من قبل باسم «ساسپير»^(١١) . وكان الأرمن ، يسمون سكان بلاد الكرج باسم «فرك»^(١٢) VIRK ، وبلادهم باسم «فراكتون»^(١٣) VRACTUN .

تقع بلاد الكرج - أي أرمينية^(١٤) الثانية في المصدر الإسلامية^(١٥) - علي السفوح الجنوبية الغربية لجبال القوقاز، حول المجرى الأعلى لنهر الكر KOURA ، أي في الشمال الغربي لمجموع أرمينية وكانت تحد شمالا أرمينية الثالثة^(١٦) . وعلى هذا، فحدودها الشمالية تسير بمحاذاة سلسلة جبال القوقاز؛ أما حدودها الشرقية، فهي تتاخم بلاد داغستان^(١٧) الجبلية وسهول أذربيجان، وتحدها جنوبا أرمينية ومقاطعة قرص^(١٨) KARS ؛ أما حدودها الغربية، فتطل علي البحر الأسود وتشمل أيضا بلاد الابخاز^(١٩) ABKHASIE وجبال القوقاز . وعلى هذا تعد بلاد الكرج من البلدان الرئيسية في منطقة القوقاز^(٢٠) .

وتضم بلاد الكرج أساسا وادين خصبين هما :

واد نهر الكر KOURA ووادي نهر ريونة RION . ثم هناك منحدرات الجبال بوديانها العديدة الضيقة والمنخفضة والتي تنساب نحو أنهار سلاسل جبال القوقاز في الشمال. وهناك أيضا منحدرات جبال القوقاز الصغير وأعالي هضاب أرمينية في الجنوب^(٢١) .

وعلي هذا ، سكن الكرج في أعالي وادي نهر الكر، في اتجاه مصبه عند تفليس^(٢٢)، علي الضفة اليسرى منه، وانتشروا حتى نهر شوروخ^(٢٣) (TCHOROKH COROX) نحو ارتانوخ^(٢٤) ARTANUJ وحتى مقاطعة مسختي^(٢٥) MC'XET'A (MESXET'I) وبلاد الابخاز واللان^(٢٦)

ALAINS والصنارية (٢٧) جيران اللان . أما على الضفة اليمنى من نهر الكر، فقد استقر الكرج في وادي كشيبي (٢٨) K'C'IA وفي الأراضي التي تنساب مياهها نحو نهر الكر في اتجاه قرص واكستيك (٢٩) UXT'IK. وطبقا لما ورد في الحولية الكرجية، كل الأراضي التي تنساب مياهها نحو الجنوب، وتصب في نهر الرس (٣٠) ARAXE تعد من الأراضي الأرمنية . أما تلك التي تنساب نحو الشمال وتصب في نهر الكر KOURA، فهي أراضي كرجية (٣١) .

نتيجة هذا الارتباط الوثيق ، يعد الشعب الكرجي أقرب الشعوب القوقازية شيئا بالأرمن (٣٢) ، وأوثقها ارتباطا بهم، خاصة خلال العصور الوسطى؛ حتي أصبح يقال بحق أن الكرج والأرمن أخوة . وكان العلامة ابن خلدون خير معبر عن ذلك حين قال: « كان هؤلاء الكرج أخوة الأرمن (٣٣) » .

ولقد سكن بلاد الكرج أسر عديدة من السلالات الكرجية، فأصبحت منذ الأزمنة الغابرة مقسمة إلي عديد من المقاطعات، أهمها مقاطعة خارطلي K'ART'LI، الواقعة في وسط بلاد الكرج الشرقية، والتي تعد قلبها النابض. وقد حظيت عاصمتها تفليس TIFLIS باهتمامات المصادر الإسلامية الجغرافية منها والتاريخية (٣٤) . واحتلت المقاطعة وعاصمتها مركز الصدارة بين مقاطعات بلاد الكرج. ويأتي بعدها في المرتبة مقاطعة كاخيتي (٣٥) KAKHETIE ، المقاطعة الثانية في بلاد الكرج الشرقية ، الواقعة شرقي نهر أرجفي (٣٦) ARAGVI ، وشرقي خارطلي علي المنحدرات الجنوبية لجبال القوقاز . ففي الوديان الخصبة في لوري LORI (٣٧) وألزاني (٣٨) ALAZANI ، وخاصة في المناطق الشاهقة الارتفاع، شعر شعب الكرج بالأمن والأمان، فعاش في رغد من العيش (٣٩)، وعمل

فى ظروف اتسمت بالحرية المطلقة (٤٠) .

هذا عن أكبر مقاطعتي بلاد الكرج خارطلي وكاخيتي وأهمها علي الإطلاق. إلا أن هناك مقاطعات أقل منهما أهمية. ففي غرب جبل سورام SOURAM ، تقع مقاطعة إمرشي (IMERETHIE) IMERET'I بعاصمتها كوتاهية (كوتاييس) KOUTAIS الواقعة على نهر ريونة RION (٤١) . وتأتى بعد ذلك مقاطعة منجريلي MINGRELIE الواقعة شمال نهر ريونة علي البحر الأسود، بين مقاطعة إمرشي والبحر الأسود (٤٢). ثم مقاطعة إجرسي EGRISI الواقعة عند مصب نهر شوروخ بين منجريلي وبلاد الأبخاز (٤٣). أما مقاطعة سفانيشي SVANETHIE فتقع في الشمال، في جبال القوقاز (٤٤) . وفي أقصى الغرب تقع بلاد الأبخاز (٤٥) ABKHASIE بالقرب من البحر الأسود ، والمجاورة لبلاد اللان ALAINS (٤٦). وعلي طول الشاطئ ، جنوب نهر ريونة، غربى بلاد الكرج، تقع مقاطعة جروري (٤٧) GRURIE . وفي أعماق جبال القوقاز، تقع كل من مقاطعتي مسختي (٤٨) MESXET'I (MC'XET'A) وسمسخي (٤٩) SAMSAKHI (SAMC'XE) .

بناء على ما تقدم ، فبلاد الكرج متنوعة التضاريس. إذ نجد فيها الوديان الواسعة والخصبة، والغابات الكثيفة المنتشرة في الوديان الصغيرة الخلابية، إلى جانب المضائق العميقة، والجبال الشاهقة الارتفاع. كذلك تشتهر بلاد الكرج بخيولها الشرقية (٥٠)، وشجاعة فرسانها ، وبسالتهم ، وكرم طباعهم ، وجمال نسائهم (٥١). ولقد أحب الكرج الحرب والنزال (٥٢) ، ويرجع ذلك أنه طوال تاريخهم اضطروا أن يقاتلوا جيرانهم الأقوياء حفاظا على استقلالهم وحريتهم ، وكبح جماح أطماع

الطامعين فى خيرات بلادهم . ولقد انعكس ذلك على تحية البعض منهم للآخر ، إذ يحيون بعضهم البعض بهذه الأقوال « فليكن النصر حليفك » ، فيرد من يسمع هذه التحية قائلا: « وحليفك أيضا » (٥٣) .

على أية حال ، كان من الطبيعى أن يتطلع المسلمون إلى فتح بلدان القوقاز ، بعد أن أصبحت حدود دار الإسلام متاخمة لحدودها ، وذلك عقب الفتح الإسلامى لبلاد الجزيرة وأذربيجان . وشهدت الفترة من ٦٤٠ م / ١٩ هـ إلى ٦٤٦ م / ٢٦ هـ تنازع المسلمين والبيزنطيين السيادة على بلاد ما راء القوقاز . وراحت بلدانها ضحية الاقتتال بين الأسدین ، فتأرجحت بين السيادة الإسلامية تارة ، والسيادة البيزنطية تارة أخرى . إلى أن تمكن المسلمون فى نهاية المطاف من بسط السيادة الإسلامية عليها بسطا نهائيا وذلك سنة ٦٦١ م / ٤١ هـ فى أوائل عهد الخليفة معاوية بن أبى سفيان (٤١ - ٦٠ هـ / ٦٦١ - ٦٨٠ م) .

وكان الزعيم الأرمنى البطريق (٥٥) PATRICE ثيودور رشتونى (٥٦) THEODORE RSTUNI أول حاكم عام عينه المسلمون على بلاد الكرج وأرمينية والران (٥٧) وسيوغيا (سيونيك) (٥٨) SIOUNIE وبلاد القوقاز حتى دربند (٥٩) .

ولقد ظلت بلاد الكرج خاضعة للسيادة الإسلامية طالما كانت بلاد الإسلام فى أمن وسلام . أما إذا دب الاضطراب والاقتتال فى أعماقها - كما حدث أيام الفتنة الكبرى (٦٠) ، وعقب وفاة معاوية بن أبى سفيان ، وكذلك أواخر أيام الخلافة الأموية (٦١) - كانت الامبراطورية البيزنطية تنتظر هذه الفرصة السانحة لتعيد بلاد الكرج إلى سيادتها (٦٢) . إلا أن ملوك الكرج البجرانطيين (٦٣) حملوا على عاتقهم

مهمة توحيد البلاد وتزعم حركة الاستقلال بعيدا عن السيادة الإسلامية أو البيزنطية على حد سواء ، ونجحوا بالفعل فى بسط سيادتهم على بلاد الكرج الغربية، بينما ظلت بلاد الكرج الشرقية ، أي خارطلى وكاخيتى وتفليس وضواحيها تحت السيادة الإسلامية^(٦٤). وعين المسلمون أحد عمالهم عليها، وحمل لقب «والى» أو «أمير»، أقام فى العاصمة تفليس. وكان فى آن واحد القائد العسكرى والحاكم العام وقاضى القضاة، أى جمع فى يديه جميع السلطات من عسكرية وتنفيذية تشريعية. وتمركز الجزء الأكبر من جيش المسلمين فى العاصمة ؛ أما بقية القوات، فقد تفرقت فى المدن الكبرى والقلاع الحصينة^(٦٥) .

هذه لمحة سريعة موجزة عن بلاد الكرج وخضوعها للفتاحين المسلمين وقد سبق لنا أن أصدرنا كتابا بعنوان «الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج» تناولنا فيه التفاصيل الدقيقة عن هذا الموضوع .

وإذا انتقلنا إلى الاتراك السلاجقة، فنلاحظ أن عشرات المراجع تحدثت عنهم بإفاضة، لكن الذى يهمنا فى هذا البحث ليس تكرار القديم بأسلوب مغاير، لكن الاتيان بالجديد الذى لم يرد ذكره من قبل، والمتمثل فى الاحتكاك الحرسى الدائر بين الكرج والأتراك السلاجقة، فقد بدأ أول اقتتال بين الطرفين فى عهد طغرل بك (٤٤٧ - ٤٥٥ هـ / ١٠٥٥ - ١٠٦٣ م) ، وتواصل بعنف أكثر فى عهد ألب أرسلان (٤٥٥ - ٤٦٥ هـ / ١٠٦٣ - ١٠٧٢ م) ، وملكشاه (٤٦٥ - ٤٨٥ هـ / ١٠٧٢ - ١٠٩٢ م) وقد أفردت لهذا الموضوع بحثا جديدا^(٦٦). على أية حال، خلال عهود السلاطين العظام، رجحت كفة ميزان القوى بشدة لصالح الأتراك السلاجقة. إلا أنه عقب وفاة السلطان السلجوقى ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م

استجدت ظروف قلبت موازين القوى لصالح الكرج وملكهم داوود الثانى .
فبانقضاء عهد ملكشاه ، انطوت صفحة العصر الذهبى للأتراك السلاجقة، بعد أن
مزقت خلافت الزعماء والقادة والأمراء وحدة السلطنة، وتنازع آل سلجوق الملك فيما
بينهم وشنوا الحروب المحلية على بعضهم البعض . أما بقية الصفوف الإسلامية ،
فكانت أكثر اضطرابا. هذا بينما فشلت جهود المسلمين فى إيقاف زحف الصليبيين
فى بلاد الشام والأطراف المقدسة، بعد أن نجح الصليبيون فى ضع ملامح الإمارات
اللاتينية وطفقوا يوسعون حدودها وسط الحشد المعادى لهم من الإمارات الإسلامية
بالمنطقة. وفى شمال الجزيرة ربطت إمارة الرها الصليبية، وفى انطاكية قامت الإمارة
الثانية التى أسسها بوهيمند. وفى بيت المقدس تأسست المملكة اللاتينية التى غدا
لها شىء من الزعامة على بقية الإمارات، ثم أخيرا تكونت إمارة طرابلس الصليبية،
ليكمل بذلك استقرار الصليبيين ببلاد الشام والأراضى المقدسة. أضف إلى ذلك
ظهور إمارة أرمينية الصغرى فى آسيا الصغرى وتعاونها مع الصليبيين طوال عصر
الحرب الصليبية^(٦٧) . وإلى جانب هذه الإمارة الأرمينية المسيحية ، ظهرت مملكة
الكرج الموحدة والتى على حد قول المؤرخ الفرنسى ماريوس كانار MARIUS
CANARD كانت ثمرة من ثمار الحروب الصليبية^(٦٨) .

وقد نشأت مملكة الكرج نتيجة توحيد مملكتى أيبيريا والأبخاز منذ سنة
١٠٠٨م/ ٣٩٩ هـ فى عهد الملك بجراط الثالث BAGRAT III ملك
الكرج^(٦٩) (٩٧٥ - ١٠١٤م/ ٣٦٥ - ٤٠٥ هـ) . وازدهرت هذه المملكة ذات
المسحة الأرمينية وقويت فى عهد ملكها داوود الثانى البجراطى الملقب بالبناء^(٧٠)
(١٠٨٩ - ١١٢٥م/ ٤٨٢ - ٥١٨ هـ) DAVITI AGHMACHENEBELI .

حمل داوود الثانى على عاتقه عبثين أولهما : مهمة استعادة الأراضى الكرجية الخاضعة للسيادة الإسلامية؛ وثانيهما؛ استكمال وحدة بلاد الكرج مكملًا بذلك خطوات سابقه حنا مروشدزى JEAN MARUCHIDZE والقربلاط (٧١) داوود DAVID LE CUROPALATE . وتحقيقًا لأهدافه هذه قام بإعادة بناء مملكة الكرج داخليا قبل مواجهة الأخطار الخارجية. وأدرك بثاقب بصره وبصيرته أن الخطر الخارجى يحتل المرتبة الأكثر أهمية ، إلا أنه لا بد له من جبهة داخلية قوية، لذا عمل على إعادة النظام والأمن والأمان فى ربوع بلاد الكرج ، وتوطين القبائل المهجرة من قبل السلاجقة، وإخضاع رجال الإقطاع الثائرين على السلطة المركزية، وكبح جماح رجال الدين الذين لا يقلون خطورة عن رجال الإقطاع. وأهم من هذا وذاك إعادة بناء جيش قوى وإعداده أحسن إعداد حتى يتمكن من مجابهة أعداء بلاده وانظمتهم العسكرية المتقدمة، وأولى ذلك أهمية بالغة (٧٢).

كان الجيش الكرجى قد انخفض تعدادُه نتيجة الحروب الكرجية السلجوقية المتواصلة . كذلك أصاب الجيش الاقطاعى الضعف والفوضى نتيجة النزاع الدائر بين كبار رجال الاقطاع والسلطة المركزية . وعلاجا لهذا القصور الاستراتيجى قسم العاهل الكرجى جيشه إلى ثلاث فرق: الأولى ، وتشكل حرسه الخاص أى الحرس الملكى، ومهمتها تأمين سلامته وأمنه والمشاركة أيضا فى العمليات العسكرية ذات الأهمية البالغة. وأشرف على تجهيزها بأحسن وأحدث الأسلحة القتالية ولم يفته الاهتمام بتثقيفها (٧٣) .

أما الفرقة الثانية ، فقد كلفت بمهمة الدفاع عن المدن والقرى والقلاع والحصون. ثم تأتى فى النهاية الفرقة الثالثة وهى عماد الجيش وتشكل من الغالبية الساحقة من

الجنود . أدار داوود الثانى العمليات العسكرية بنفسه، فكان قدوة لأفراد جيشه. واهتم أيضا بتحليل كل معركة حربية يخوضها ليتكشف مواضع الخلل والقصور ويعمل على علاج الثغرات . وحرص أيضا على إغداق المكافآت على المقاتلين الشجعان، بينما أجبر المتخاذلين والمتقاعصين على لبس الملابس النسائية ليستعرضهم أمام قواته(٧٤) .

وبعد أن أتم الملك الكرجى كل هذه الاستعدادات المحسوبة والمدروسة ، قرر اجتياز مرحلة الدفاع والانتقال إلى مرحلة الهجوم، فبدأ بحشد أكبر قدر ممكن من الأعوان والحلفاء حتى يزيد من تعداد جيشه. وأدرك بعين الفاحص المدقق لمستقبل الأمور والأحداث أنه إذا جند المزارعين فى صفوف جيشه سينعكس ذلك سلبا على الانتاج الزراعى ، وسيؤثر تأثيرا سيئا على اقتصاد البلاد. وتيقن أيضا أن المزارع المجند قليل الخبرة بفنون الحرب والقتال . وبحكمته المعهودة يمم وجهه شطر القفجاق القاطنين شمال القوقاز وفكر فى توطينهم فى بلاده وتجنيدهم فى صفوف جيشه عوضا عن تجنيد المزارعين الكرج . وقد اختار القفجاق لمهارتهم القتالية وحنكتهم العسكرية وقناعتهم فى اشباع حاجياتهم الشخصية . إضافة إلى ذلك ، فإن صلة المصاهرة كانت رابطا قويا فى توثيق العلاقات بين الطرفين فقد تزوج داوود بابنة خان القفجاق المدعو أوتروك OTROK (تسمية المصادر الكرجية) أتاراك شاراجانتين(٧٥) ATARAK - CHARAGANIS - TSE ، كذلك كان الماكر الكرجى يدرك تماما أحوال حلفائه المترديه نتيجة ما يعانونه من ضغوط من قبل روسيا وكيف، إذ كان هدف كل منهما هو إبادة القفجاق وطردهم من الأراضى التى كانوا قد احتلوها فيما مضى(٧٦) .

فى ظل هذه الظروف ، كان من الطبيعى أن يحظى مبعوثو العاهل الكرجى بموافقة القفجاق على عملية التهجير المقترحة، مما شجعه على أن يقوم بنفسه بزيارة باب الأبواب(٧٨) ، ويشرف على عملية تهجير هذه العناصر المتوحشة والمتمرسنة على فنون الحرب والقتال إلى بلاده . ولم يكتف داوود بذلك ، بل صالح قبائل الأوسيت OSSETES الواقعة أراضيهم بين بلاد الكرج والقفجاق(٧٩) ، بعد أن احتل كل القلاع الموجودة على طريق عبور القفجاق إلى بلاد الكرج . واتفق أيضا على تجنيد خمسة آلاف من المرتزقة الأوسيت . وقام بتوزيع القفجاق على مختلف مقاطعات بلاده، فأسكن عددا منهم فى خارطلى الداخلية؛ ووطن من تبقى منهم شمال أرمينية وفى مقاطعة إريشى وكلفهم بحراسة الحدود . كذلك أسرع ببناء قلعة حصينة بالقرب من قازيك KAZBEK^(٨٠) تتحكم بفضل موقعها الاستراتيجى فى ممرات باب اللان(٨١) PAS DE DARYAL .

على أية حال ، اندمج القفجاق بسرعة بالغة فى بلاد الكرج ، فاعتنقوا المسيحية، وتعلموا لغة وطنهم الجديد، وانصهروا بلا مشقة فى الشعب الكرجى . وكان لهجرة القفجاق ، وإعدادهم ليكونوا جيشا منظما، أثره العظيم فى تقوية الجيش الكرجى وتدعيم مكانته الحربية، فقد بلغ تعدادهم آنذاك خمسة آلاف فارس من الحرس الملكى وستين ألف مقاتل كرجى إضافة إلى فرق من المرتزقة من الداغستانيين والأكراد وسكان الجبال يتم استدعاؤهم عند الضرورة(٨٢) .

شاعت الأقدار أن أصبح ميزان القوى لصالح العاهل الكرجى عقب وفاة ملكشاه سنة ١٠٩٢م / ٤٨٥هـ . كما سبق أن ذكرنا فأسرع بالانتقضاى على كتائب الأتراك الساجقة المستقرة فى خارطلى KARTLI ، ونجح فى إجلائهم عن البلاد،

وأعاد إليها سكانها من الكرج وأوصاهم باعادة بناء اقتصاد بلادهم المنهار بفعل الحروب ثم قام بمطاردة القبائل الرعوية السلجوقية التي اعتادت أن تأتي في شهر أكتوبر من كل عام إلى وادي متكافارى MTKAVARI - وهو الاسم الكرجي لنهر الكر - في الأراضي الممتدة من مدينة تفليس حتى برذعة، ومنعها من الرعى في هذه المناطق .

علما بأن هذه القبائل الرعوية كانت تنسحب في فصل الربيع من وادي نهر الكر لتعود ثانية إلى جبال سيخيت SOMKHETIE وإقليم أارات ARARAT^(٨٣) . ثم أعقب ذلك بالامتناع عن دفع الجزية المقررة عليه للسلاجقة وذلك سنة ١٠٩٧م / ٤٩٠هـ ، وكان معنى هذا اعلان الحرب على عدو بلاده. وقد أدرك خارطليس تسوخوفريبا KARTLIS TSKHOVREBA مؤرخ الملك داوود وكانب سيرته تمام الادراك الأحوال الجديدة التي أحاطت ببلاد الكرج والتي تمكن العاهل الكرجي بمهارة بالغة الاستفادة منها خير استفادة . فقد ربط هذا المؤرخ الفاحص المدقق في مصدره «سيرة داوود ملك الملوك» TSKHOREBA MEPHET MEPHISA DAVITISI بين الأوضاع الداخلية في بلاد الكرج بين الأحوال والمتغيرات العالمية آنذاك . فذكر أن ازدياد قوة عاهله وامتناعه عن دفع الجزية للأتراك السلاجقة تزامن مع الدعوة للحروب الصليبية وتأسيس الامارات الصليبية في فلسطين وبلاد الشام وركز في حديثه علي أهمية سقوط كل من انطاكية وبيت المقدس في أيدي الصليبيين^(٨٤) .

على أية حال ، بعد هذه الاستعدادات العسكرية الهائلة، استعد داوود لاستخدام آله العسكرية تحقيقا لمخططاته في استعادة البلدان الكرجية من الاتراك السلاجقة

وتحقيق وحدة بلاد الكرج. فبعد أن نجح فى اجلاء الاتراك السلاجقة عن خارطلى، استعد لضم كاخيتى KAKHETIE وارشى (٨٥) ERETHIE ، أى بلاد الكرج الشرقية (٨٦) .

ففى عام ١١٠١م/ ٤٩٥ هـ تخلص داوود الثانى من نفوذ آل أوربليان ORBELIAN الذين نازعوه السيادة على بلاد الكرج. فقد أسر أمير أوربليان الجسور ليباريت الثالث LIPARIT III ، ثم توفى ابنه وخلفه راتى RATI وذلك فى نفس العام ، فحرم الأوربليون من زعمائهم الشرعيين .

وهكذا ساعد الموت الطبيعى لآخر أمراء آل اوربليان، الزعيم الكرجى داوود، على القضاء على مناوئة أهم رجال الاقطاع الكرج له (٨٧) . ثم جاء الدور على الزعيم الاقطاعى الثانى، ألا وهو الأمير الكرجى كويريكه الرابع KWIRIKE IV وخلفه أغزر ثان الثانى AGHSARTHAN II الخاضعين لسيادة الأتراك السلاجقة. كان على الملك الكرجى أن يجابه آل كويريكه بالسلاح، فبدأ عام ١١٠١م / ٤٩٥ هـ بالهجوم على كويريكه الرابع أمير كاخيتى وارشى وهما من أهم معاقل الاتراك السلاجقة؛ وتمكن من الاستيلاء على قلعة زايدارادبنى ZEDAZADENI التى تعد أهم قلاع الحصينة، وتقع بالقرب من مصب نهر ارجفى (٨٨) ARAGVI عند التقائه بنهر الكر، شمال مدينة تفليس . ثم شاعت الأقدار السعيدة أن ثار رجال الاقطاع فى كاخيتى وارشى على أغزر ثان الثانى خليفة كويريكه الرابع بسبب فساد أخلاقه وسوء تدبيره للحكم واعتبروه غير جدير بإعتلاء العرش على حد قول لوند موفسسيان LEWOND MOVSESIAN فى مصدره تاريخ ملوك كويريكيان لورى (٨٩) HISTOIRE DES ROIS

KURIKIAN DE LORI . وانتهى المطاف بأن تحالف كبار رجال الاقطاع في كاخيتى واريشى وقبضوا على أميرهم وسلموه إلى الملك الكرجى داوود . وبذلك نجح في ضمهما إلى بلاد الكرج الموحدة، وأسدل الستار نهائيا على أسرة آل كويريكيان (٩٠) .

وهكذا أصبحت الأراضى الكرجية الواقعة تحت سيادة داوود الثانى تمتد من شواطئ البحر الأسود إلى جبال داغستان بعد نجاحه فى ضم بلاد الكرج الشرقية إلى مملكته .

هكذا، نجح داوود الثانى فى انشال مخططات الاتراك السلاجقة وسياستهم الهادفة إلى اضعاف بلاد الكرج حتى تظل خاضعة للسيادة السلجوقية. فقد استن ملكشاة منذ سنة ١٠٨٠م / ٤٧٣ هـ سياسة تقضى باشعال نيران الشقاق والفرقة بين الأسرتين البجراطيتين الحاكميتين فى كل من بلاد الأبخاز وخارطلى من ناحية بين أسرة أغزرتان الحاكمة فى مقاطعتى كاخيتى واريشى من ناحية أخرى (٩١) . لكن بسياسته الحكيمة، قوض داوود سياسة الأتراك السلاجقة ، حين نجح فى ضم بلاد الابخاز إلى مملكة الكرج الموحدة عقب وفاة راتى آخر أمراء أسرة أوريليان - كما سبق أن ذكرنا، ثم استولى على خارطلى وضم كاخيتى واريشى عقب ثورة كبار رجال الاقطاع على أغزرتان الثانى آخر أمراء أسرة كويريكيان وانخراطهم تحت لواء العاهل الكرجى .

وكان من الطبيعى أن تثير هذه التوسعات الإقليمية أفئدة الأتراك السلاجقة الذين أسرعوا بحشد القوى الإسلامية المجاورة لمواجهة الخطر الكرجى المتنامى . وفى ظل هذه الظروف الحرجة تزعم طغرل بن محمد (ت المحرم ٥٢٩ هـ / اكتوبر ١١٣٤م)

أمير كنجة GANDJA (٩٢) والران المعسكر الإسلامى وأعلن الحرب على داوود. ودارت بين المتصارعين معركة ضارية بالقرب من إرتسوخى ERTSOUKHI خرج منها الزعيم الكرجى ظافرا بعد أن تمكن من إلحاق الهزيمة بالتحالف الإسلامى وطرده من كاخيتى وارشى (٩٣) :

عقب هذه الانتصارات التى حققها الجيش الكرجى ، ظلت العاصمة تفليس ورستافى ROUSTAVI والأراضى الواقعة جنوبى خارطلى خاضعة لسيادة السلاجقة . إلا أن داوود لم يركن إلى السكينة، إذ بدأ بتوجيه أولى حملاته على جنوب خارطلى هادفا من وراء ذلك التمهيد للإستيلاء على تفليس حيث تتمركز فيها القوات الأساسية للجيش السلجوقى لكن كان عليه أن يستولى أولا على الأطراف الجنوبية للمدينة . وبالفعل فى سنة ١١١٠ م / ٥٠٤ هـ نجح الجيش الكرجى فى الاستيلاء على شمشفلدى (٩٤) SAMCHVILDE الحصينة . وكان سقوطها هزيمة ساحقة للاتراك السلاجقة، اضطروا بعدها إلى الانسحاب من الأراضى المتاخمة لها. وفى نفس الوقت، تمكن الكرج من احتلال قلعة دزينا DZENA ، واجلاء السلاجقة عن مقاطعة سُمخيت SOMKHETI، والحاق هزيمة بهجوم مضاد قام به السلطان السلجوقى (٩٥) . بعد ذلك واصل الجيش الكرجى زحفه إلى أن وصل إلى بلاد كنجة وضواحيها . ويذكر ابن القلاسى (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) فى مصدره «ذيل تاريخ دمشق» أن هذه المنطقة عانت الأمرين من عبث وفساد الكرج. وعندما علم بذلك السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه (ت فى ١٤ ذى الحجة ٥١١ هـ / ١١١٨ م) حشد لمواجهة جيشا وافر العدد، وتمكن من «كف أذاهم» ، ونجح فى هزيمتهم وتشيدهم وطردهم خارج البلاد

الإسلامية بعد أن «دوخ بلادهم وأخرب أعمالهم». ثم أمن أهل بلاد كنجة من هجماتهم، وعاد ظافرا غانما إلى بلاده (٩٦).

وعلى الرغم من هذه الهزيمة التى لحقت بالجيش الكرجى، فقد بذل الملك داوود الثانى قصارى جهده لوضع حد للاغارات الموسمية التى كان يشنها الاتراك السلاجقة على الأراضى الواقعة جنوب العاصمة تفليس . ونجح بالفعل فى تحقيق هدفه حين استولى سنة ١١١٥م / ٥٠٩ هـ على قلعة رستافى ROUSTAVI الواقعة جنوب شرق تفليس. وكانت هذه القلعة الحصينة قبل سقوطها فى أيدى الكرج تحمى تحركات الاتراك السلاجقة عبر وادى متكافارى MTKAVARI ويورى (٩٧) YORI.

وفى سنة ١١١٦ م / ٥١٠ هـ تمكن فرسان الكرج أيضا من إجلاء السلاجقة عن قلرجيت (٩٨) KLARDJETH والطاييك (٩٩) TAYQ. ثم واصل العاهل الكرجى توسعاته بأن استولى سنة ١١١٨م / ٥١٢ هـ على أجارانى AGARANI، وتوج انتصاره هذا بانتصار على درجة كبيرة من الأهمية حين استولى على قلعة لورى LORI الواقعة على الطريق المؤدى إلى بردودج BERDOUDJ والتى عبرها كان الاتراك السلاجقة يستطيعون الوصول بسهولة إلى مقاطعة سمخيت (١٠٠). وبعد ضم مملكة لورى إلى مملكة الكرج الموحدة أحد أهم الانتصارات السياسية والعسكرية التى حققها العاهل الكرجى . فبفضل بسط سيادته على هذه المملكة، أصبح الكرج يسيطرون على الطريق من الجنوب حتى بلاد الكرج الشرقية وتفليس، وبذلك قطعوا على الأتراك السلاجقة طريق الوصول إلى تفليس ومهدوا السبيل لاسقاطها فى قبضتهم. كذلك نجح بدهائه الحربى فى بسط سيادته على الاطراف

والأراضي الواقعة جنوبى تفليس، وقضى على كتيبة سلجوقية كانت تمضى الشتاء على شواطئ نهر الرس، مما جعل الأتراك السلاجقة فى موقف لا يحسدون عليه، بعد أن نجح الكرج فى ضم جنوب خارطلى إلى مملكة الكرج الموحدة. ومع ذلك، فقد ظلت كل من تفليس ودمانيسى DMANISI فى أيدي الأتراك السلاجقة^(١٠١). بعد هذه الانتصارات الحربية المتواصلة والمتلاحقة، خطط الملك الكرجى لمرحلة الهجوم الشامل على خصمه العنيد الذى عمل له ألف حساب. ويذكر كاتب سيرته أن عيون السلاجقة كانت ترصد أولا بأول تحركات الجيش السلجوقى، فى حين كان داوود الثانى أكثر مكرًا منهم. ففى تحرك غير محتمل ولا متوقع ولكى يخدع جواسيس السلاجقة، زحف بجيشه إلى بلاد الكرج الغربية وذلك سنة ١١٢٠م/٥١٤هـ. وبينما كان الجيش السلجوقى يجتاح الأراضي الكرجية، انقض عليه الجيش الكرجى كالصاعقة، ولم يفلت إلا القليل من السلاجقة لاذوا بالفرار من ساحة القتال.

عقب ذلك، تسلل الملك الكرجى إلى شروان^(١٠٢) CHIRVAN واستولى على مدينة قبالا KABALA. ثم واصل زحفه إلى خارطلى، لكنه اضطر إلى الانسحاب ثانية إلى شروان^(١٠٣) ربما بسبب مقاومة سكان خارطلى له، ورفضهم الخضوع للسيادة الكرجية.

إلا أن العاهل الكرجى لم يركن إلى السكينة، فمنذ شهر فبراير من عام ١١٢٠م / رمضان ٥١٣هـ حتى شهر يونيو من عام ١١٢١م / ربيع أول ٥١٦هـ شن الجيش الكرجى هجوما ضاريا على قرى الاثراك السلاجقة الواقعة على الأطراف الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية فيما وراء جبال القوقاز، واحتل بذلك نقاط ارتكاز

الاتراك السلاجقة. ولم يقنع بما حققه من انتصارات بل ضيق الخناق فى نفس الوقت على العاصمة تفليس ذلك منذ أوائل عام ١١٢٠م / شعبان ٥١٣ هـ ، علما بأن تفليس كانت تعاني منذ ما يزيد على أربعة عقود من حالة فوضى وتدهور سياسى عقب زوال نفوذ أسرة بنى جعفر ، التى تولت حكمها ما يقرب من قرنين من الزمان(١٠٤). على أية حال، بعد أن تمكن داوود الثانى من الاستيلاء على مدن وقلاع الأتراك السلاجقة التى تحيط بفريسته، أصبحت العاصمة تفليس محاطة بالجيش الكرجى كإحاطة الدائرة بمعصم اليد، خاصة بعد أن فقد السلاجقة نقاط ارتكازهم الواحدة تلو الأخرى .

ثم واصل الجيش الكرجى شن هجماته الشرسة على قبائل السلاجقة التى اعتادت الرعى فى أحراش بلاد الكرج . فما كان من زعماء هذه القبائل أن أرسلوا يستنجدون بالقوى الإسلامية المجاورة ، وانضم إليهم كبار تجار كنجة وتفليس ودمانيسى . ومثل الجميع أمام السلطان السلجوقى محمود بن ملكشاه (ت فى شوال ٥٢٥ هـ / أغسطس ١١٣١م) الذى بدوره - قد انتابه الفزع لإدراكه مدى خطورة بسط السيادة الكرجية على الأراضى الواقعة فيما وراء جبال القوقاز على حساب الوجود السلجوقى هناك. إزاء ذلك، استعد لتلك المجابهة الحاسمة خير استعداد، وأعد هجوما مضادا(١٠٥) .

هذا بينما وسع داوود الثانى من نطاق مصاهراته السياسية بأن زوج ابنته ثمارا THAMAR لشروانشاه ملك شروان المسلم، وأصبح بذلك صديقا حميما ومناصرا قويا له(١٠٦) . كذلك بفضل سياسته الماكرة هذه ، كسب ود الامبراطورية البيزنطية بعد أن زوج ابنته الثانية كاتا KATA بابن القيصر نقفور برينيوس(١٠٧)

هكذا ، توغل اسفين الكرج فى عمق الأراضى السلجوقية، وأحدث تصدعا رهيبا وآثارا مفزعة بين الدويلات الإسلامية الصغيرة المتنافرة .

إزاء هذا الخطر الداهم والساحق والذى كاد يؤدي إلى استئصال الوجود السلجوقى من هذه البقاع، كان لابد من توحيد الصفوف الإسلامية خاصة بعد أن وردت الأخبار سنة ١١٢١م/ ٥١٥ هـ «بظهور الكرج من الدروب، وقصدهم بلاد الملك طغرل» الذى كان باسطا سيادته على الران ونتجوان (١٠٨) حتى نهر الرس (١٠٩) والمتاخم مباشرة لحدود بلاد الكرج (١١٠) .

علاجاً لهذا الخطر المستشرى على الوجود الإسلامى، أعلن السلطان السلجوقى محمود بن ملكشاه (ت فى شوال ٥٢٥ هـ / أغسطس ١١٣١ م) الدعوة للجهاد و«تكاتب الأمراء المجاورون لبلادهم واجتمعوا» (١١١) ، فتحالف كل من الأمير نجم الدين إيلغازى بن أرتق (١١٢) صاحب وأمير حلب وماردين ومؤسس دولة بنى أرتق التركمانية ، والأمير سيف الدولة ديبس بن صدقة بن مزيد الأسدى (١١٣) أمير الحلة وصهر نجم الدين إيلغازى على ابنته كمارختون (١١٤) ، والملك طغرل بن محمد (١١٥) ملك كنجة والران ، وشمس الدين طغان أرسلان الأحدب حاكم أرزن (١١٦) وبدليس (١١٧) ودوين (١١٨). وهكذا «كان المسلمون فى عسكر كثير يبلغون ثلاثين ألفاً» (١١٩) .

أما الملك داوود الثانى ، فقد استعد لهذه المعركة الفاصلة أحسن استعداد، إذ حشد حسب قول عز الدين بن شداد (ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) «خلقا لا يحصى» (١٢٠). فقد انخرطت فى جيشه جموع من «القفجاق وغيرهم من الأمم المجاورة لهم» (١٢١).

وينفرد المؤرخ الأرمني متى الرهاوى (ت ١١٤٤م/٥٣٩هـ) MATTHIEU D'EDASSE والمستشار جلتيرى GALTERII بذكر تعداد وأجناس الجيوش المتحالفة مع الجيش الكرجى. إذ جاء فى هذين المصدرين المهمين أن جيش داوود ضم أربعين ألف من أشجع جنود الكرج وخمسة عشر ألفا من أمهر جنود خان القفجاق وخمسة آلاف من الأوسيت وألفين من الصليبيين وعناصر أخرى متحالفة من الداغستانيين والأكراد وسكان الجبال لم يرد ذكر تعدادها . وذكر جلتيرى أن إجمالى الجيش الكرجى بلغ الثمانين ألف مقاتل (١٢٢) .

هذا عن تعداد جيش المعسكرين المتصارعين ، ويتضح من خلاله أن جيش داوود الكرجى بلغ ما يقرب من ثلاثة أضعاف جيش الأتراك السلاجقة وحلفائهم من الأمراء المسلمين المجاورين .

وإذا انتقلنا إلى العاصمة تفليس، فقد بلغ اضطراب انظمة الحكم فيها مداه، مما دفع الفارقى (ت ٦٨٧ هـ/١٢٨٨م) إلى ذكر أنه « كان كل شهر يلى أمرهم منهم واحد بقوا كذلك مدة أربعين سنة» (١٢٣) وذلك عقب زوال نفوذ أسرة بنى جعفر التى حكمت المدينة طوال ما يقرب من قرنين من الزمان كما سبق أن ذكرنا .

على أية حال ، استغل داوود كل هذه الظروف المواتية أحسن استغلال . فبدأ بممارسة ضغطه العسكرى على تفليس. وكان لابد من وحدة الجيوش الإسلامية لمواجهة المد الكرجى، خاصة بعد أن أسرع الجميع لتلبية نداء الجهاد. وسجل ابن القلانسى (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠م) الفرع الذى استشرى فى صفوف الجيش الكرجى بسبب كثرة اعداد جيوش المتحالفين المسلمين بقوله «فعاد (الكرج) فرقا (١٢٤)» . فما كان من المسلمين إلا أن تعقبوا فلول الفرق الكرجية المنسحبة ، وضيقوا عليهم

الحناق فى الدروب . لكن الكرج تشجعوا واستداروا لقتال المسلمين ، وتمكنوا من هزيمتهم بعد استشهاد أعداد كبيرة من المجاهدين .

بعد ذلك، قصد الجيش الكرجى مدينة تفليس حيث قتلوا من فيها (١٢٥)، مما دفع أهالى المدينة - على حد قول الفارقى - إلى إرسال وفد إلى نجم الدين ايلغازى لاستدعائه ليسلموه تفليس ، خاصة بعد أن «ضايقهم» (داوود ملك الأبخاز والكرج) مضايقة شديدة» وأصاب مدينتهم الاضمحلال والخراب. كذلك استنجدوا بطغرل ملك كنجة والران ، فأمدهم بجيش مزود بعتاد للدفاع عنهم، لكنه لم ينجح فى إجلاء الجيش الكرجى المحاصر لمدينتهم «وزادت مضايقة الكرج لهم» مما اضطر أهل تفليس بعد طول الحصار المفروض على مدينتهم- إلى أن يتفقوا مع داوود الثانى على «أن يحملوا له فى كل سنة عشرة آلاف دينار، ويكون عندهم شحنة معه عشر (صحتها عشرة) فوارس ، فبقوا على ذلك مدة» (١٢٦) .

إلا أن سكان تفليس خرقوا الاتفاق، إذ أوفدوا سفارة ثانية إلى نجم الدين ايلغازى «يستدعونه ليسلموا إليه تفليس» (١٢٧) . فسار لنجدتهم وبصحبه جيش عظيم، وانضم إليه صهره نور الدولة ديبس بن سيف الدولة صدقة بن مزيد الأسدى ملك العرب صاحب الحلة، وكذلك شمس الدولة طغان أرسلان بن الأحذب صاحب أرزن وبوليس ودوين الذى تسلل إلى تفليس من الشرق مصطحبا معه القاضى علم الدين بن نباتة وولده علم الدين أبو الفتح الكبير والوزير أبو تمام بن عبدون. ووصل المتحالفون المسلمون إلى أرزن الروم (١٢٨) ، وأتخذ الجميع طريق ثرياليت (١٢٩) THRIALETH واتفقوا على أن تجتمع الجيوش الإسلامية على باب تفليس (١٣٠) . أما الملك طغرل ، فقد قدم من ناحية كنجة، وسار طغان أرسلان بن

الأحدب من دوين؛ وزحف نجم الدين إيلغازي بجيشه إلى مشارف العاصمة تفليس على مقربة نصف يوم من تفليس الجبل (١٣١) أي على مقربة من مرتفعات ديدجوري DIDGORI الواقعة جنوب غرب تفليس حيث دارت المعركة الفاصلة .

هذا عن حشود الجيوش الإسلامية وتحركاتها لمواجهة معركة حاسمة تهدد كيائها ليس فقط في بلاد الكرج بل في القوقاز عامة .

أما الملك داوود، فلم يكن أقل استعدادا من الجيوش الإسلامية . إذ يذكر ابن الأزرق (ت ٥٩٠ هـ / ١١٩٤ م) إنه خرج ومعه ولده وولي عهده ديمتري من الناحية الغربية (١٣٢) «ومعه خلق لا يحصى» (١٣٣) ، واتخذ موقعا استراتيجيا إذ كان يجدر عليهم من الجبل وهم في الحفة» (١٣٤) وقبل وصول جيش الملك طغرل بن محمد ولا شمس الدولة طغان أرسلان بن الأحدب بمن معه، اندلع قتال ضار بين المتصارعين وكانت الجيوش الإسلامية المتقدمة بقيادة نجم الدين إيلغازي وصهره ديبس (١٣٥) . وانفرد ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) - وعنه نقلت معظم المصادر الإسلامية - بذكر أسباب هزيمة الأتراك السلاجقة والجيوش الإسلامية المتحالفة معها، إذ أرجع ذلك إلى خدعة مأكرة استنها ملك الكرج، أدت إلى حدوث فوضى واضطراب في صفوف المعسكر الإسلامي . فبعد أن اصطف الجيشان المتصارعان استعدادا للقتال، خرج من بين صفوف القفجاق حلفاء الكرج ما يربو على المائتي رجل، فظن المسلمون أنهم استسلموا، فلم يحترزوا منهم . وبذلك تمكن القفجاق من اختراق صفوف المسلمين دون أن يلحق بهم أذى، وسرعان ما أمطروهم بوابل من النشاب، فاضطربت صفوفهم وظنوا أن هزيمة ساحقة أصابتهم (١٣٦) ، كان ذلك في الرابع عشر من أغسطس سنة ١١٢١ م (١٣٧) / ٢٩ جمادى الأولى سنة

٥١٥ هـ فى منجلس MANGLISI غربى تفليس (١٣٨). «وتبع الناس بعضهم بعضا منهزمين ؛ ولشدة الزحام صدم بعضهم بعضا فقتل منهم عالم عظيم» (١٣٩). فتعقبهم الجيش الكرجى وأخذ يطاردهم لمسافة عشرة فراسخ (١٤٠). «وقتل وأسر من المسلمين ما لا يحصى» (١٤١). ويذكر ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) أن الكرج «أسروا أربعة آلاف رجل» (١٤٢). وأن نجم الدين إيلغازى عاد هزيمًا فى عشرين فارسًا إلى ميفارقين ومعه صهره دبىس، فأقام بها مدة، ثم سار إلى ماردين وأقام بها إلى سنة ست عشرة وخمسة على حد قول ابن شداد (١٤٣) (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م). ويذكر ابن الأثير أن حصار تفليس دام إلى سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م. (١٤٤) وإنه عندما قارب أهلها على الهلاك، أوفدوا بعثة ضمت قاضى المدينة وخطيبها إلى الكرج طالبين الأمان. «فلم تصغ الكرج إليهما، فأحرقوا بهما (أي أحرقوا القاضى والخطيب) ودخلوا البلد قهرا وغلبة واستباحوه ونهبوه» (١٤٥). ولم يكتف الكرج بهذه الأعمال الوحشية بل «قتلوا عامة أهلها، وسبوا الذرية» (١٤٦).

هذا عن تفاصيل سقوط تفليس فى المصادر الإسلامية، ومنها نستخلص أن رواية ابن الأثير تعد أكمل هذه الروايات ، وأن معظم المصادر الإسلامية الأخرى إما نقلت عنه نقلا يكاد يكون حرفيا أو اختصرت روايته اختصارا شديدا (١٤٧).

وإذا انتقلنا إلى المصادر الأجنبية، فنلاحظ أنها زودتنا بتفاصيل أدق وأكمل وأكثر إفاضة من المصادر الإسلامية. فقد جاء فيها أن السلطان السلجوقى حشد جيوشا من دمشق وحلب حتى القوقاز وكون اتحادا من الفرس والعرب والأتراك السلاجقة لمواجهة هذا الخطر الداهم، ووضع حد لتفاقمه. وبالغت المصادر الأجنبية مبالغة واضحة فى احصاء تعداد الجيوش الإسلامية المتحالفة. فقد ذكر المستشار

جلتيرى ، مستشار إمارة انطاكية GALTERII CANCELLARII
ANTIOCHENI فى حوليته «انطاكية الجميلة» ANTIOCHENA BELLA
أن تعداد الجيوش الإسلامية بلغ ستمائة ألف (١٤٨)؛ بينما جاء فى كل من الحولية
الكرجية التى صنفها « خارطليس تسوخوفريبا » KARTLIS
TSKHOVREBA وعنوانها «سيرة الملك داوود ملك الملوك» (١٤٩) وحولية
المؤرخ الأرمنى متى الرهاوى CHRONIQUE DE MATTHIEU أنه
كان أربعمائة ألف فقط (١٥٠) . ومن المؤكد أن الأرقام الواردة فى المصادر الأجنبية
مبالغ فيها مبالغة واضحة، والهدف من هذه المبالغة إكساب الملك الكرجى داوود
الثانى مظهر البطل الاسطورى الذى تمكن من كسر شوكة الاتراك السلاجقة والقضاء
على الاسطوره القائلة بأنهم قوم لا يقهرون. هذا بينما ذكرت المصادر الإسلامية فى
حديثها عن معركة ديدجورى (١٥١) أن عسكر المسلمين بلغ تعداده ثلاثين ألف مقاتل
فقط كما سبق أن ذكرنا .

على أية حال فى الثانى عشر من أغسطس سنة ١١٢١م / ٢٧ جمادى الأولى
سنة ٥١٥ هـ تسلل المسلمون إلى بلاد الكرج عن طريق ثرياليت رمنجليس
وديدجورى وتمكنوا من احتلال تفليس والتمركز فوق مرتفعات ديدجورى
DIDGORI الواقعة جنوب غرب العاصمة (١٥٢) . فى حين قاد العاهل الكرجى
جيشه المكون من تحالف الكرج والقفجاق والاسيت والصليبيين والداغستانين
والأكراد وسكان الجبال (١٥٣)، واختار ضواحي ديدجورى الواقعة داخل مقاطعة
خارطلى لتكون ساحة معركته الأولى. لذا سميت هذه المعركة فى المصادر الأجنبية
باسم معركة ديدجورى. وفى هذه المعركة ابتدع الماكر الكرجى حيل حربية ماهرة

تقضى ببث الفوضى والاضطراب فى صفوف التحالف الإسلامى المتراص والمنظم أحسن تنظيم. فقد أصدر أوامره إلى الكتائب الكرجية بالانقضاض على جناحى الجيش الإسلامى، فما كان من الجنود المسلمين إلا أن انطلقوا كالوحوش المفترسة لاقتناص المهاجمين الذين سارعوا بدورهم إلى الانسحاب والاختفاء من ساحة القتال. وطبق داوود هذه الخطة فى كافة الجبهات فى أوقات متقاربة. وفى كل هجمة كان الجيش الكرجى يلوذ بالفرار دون مواجهة الجيوش الإسلامية. وبالفعل، كان لهذا التكتيك الحربى الماكر عواقبه الوخيمة على التحالف الإسلامى، إذ تبددت صفوفه المنتظمة، وأصيب بنوع من البلبلة والاضطراب، وصاحب كل ذلك الفوضى العارمة. كان هذا أهم ما أسفرت عنه المعركة الأولى من نتائج (١٥٤). وفى اليوم الرابع عشر من أغسطس سنة ١١٢١ م / ٢٩ جمادى الأولى سنة ٥١٥ هـ اندلعت المعركة الثانية الحاسمة والفاصلة والتى حددت مصير تفليس. وفى هذا اليوم، أصدر داوود أوامره إلى كتائب الجيش الكرجى وبدأ عملية المناورة، بحيث يتم ذلك بأن تحارب كل كتيبة على حدة كأنها مستقلة تماما عن باقى فصائل الجيش. بينما ترأس بشخصه كتيبة تضم نخبة مختارة من أحسن الفرسان المتمرسين على فنون الحرب والقتال. وانتظر الملك الكرجى الفرصة المواتية لخوض غمار معركته الفاصلة. وبالفعل واته هذه الفرصة حين شعر بتطرق البأس إلى صفوف الجيوش الإسلامية ولاحظ انهيار معنوياته عقب المناورات والاغارات الكرجية المتواصلة. حينئذ قام بتوحيد كتائبه. ويذكر المستشار جلتيرى أن داوود أقام معسكره بين جبلين مغطين بغابات كثيفة فى وادى ديدجورى. ويرجع فضل اختياره هذا الموضع الاستراتيجى إلى عيونه المندسة فى صفوف الجيش الإسلامى والذين اخبروه أن عدوه سيهاجم هذا

الموضع (١٥٥) . وقبيل اندلاع المعركة المصيرية خطب العاهل الكرجى فى جنوده خطبة حماسية (١٥٦) جاء فيها : «هيا بنا يا جنود المسيح ! فإذا أبلينا بلاء حسنا ، سنضع حدا ليس فقط لأخطار ومصائب هؤلاء الأعداء الأشرار ، لكن أيضا سنتمكن من القضاء عليهم قضاء مبرما . لقد طرأت على ذهنى فكرة أعرضها عليكم، وسيكون من بين نتائجها الحفاظ على كرامتنا وسلامتنا فى آن واحد. فلنرفع أيدينا إلى السماء، متضرعين إلى الله عز وجل الذى نجه من أعماق قلوبنا، طالبين منه الموت والاستشهاد فى ميدان القتال بدلا من الفرار مخذولين. ولكى نقضى على أى تفكير شيطانى يدفعنا إلى الهرب من ساحة الوغى، اقترح أن نسد بواسطة كتل الأخشاب السميكة الممرات التى دخلنا عن طريقها إلى هذا الوادى (أى وادى ديدجورى) . وهكذا ، دون أن يتطرق الخوف أو الاضطراب إلى قلوبنا، سنخوض بشجاعة منقطعة النظير معركة فاصلة مع عدونا. وستكون المواجهة وجها لوجه وجسداً لجسد حتى لا يتجراً على مواجهتنا ثانية» (١٥٧) .

والجدير بالملاحظة أن مصنف «انطاكية الجميلة» لجلتيرى انفرد - دون غيره من المصادر - بذكر خطاب داوود السالف الذكر . كذلك يعد أهم المصادر الأجنبية والإسلامية على وجه الإطلاق بصدد تفاصيل معركة ديدجورى وفنون الحوب والقتال فيها .

على أية حال ، حظى خطاب داوود الحماسى والمثير للهمم بقبول الجميع، فأسرع اللعاهل الكرجى بترتيب صفوفه وتنظيمها استعدادا للمواجهة الكبرى التى عمل لها ألف حساب . فوضع فى المقدمة مائتين من جنود الفرنج، كانوا قد سبق لهم الانخراط فى خدمته، وأوكل إليهم مهمة القيام بالضربات الأولى. إلا أنه فجأة

وعلى غير موعد، فى الجانب الآخر من مدخل وادى ديدجورى، سمع صياحاً عالياً، وضجيجاً مفزعاً لأسلحة ومعدات حربية ، وصهيل خيول. ورأى الجميع الربة ورايات الأعداء تتقدم مصحوبة بدقات الطبول والكوسات إعلانا عن قدومهم إلى ساحة القتال . وانطلقت هذه الأصوات المفزعة من التلال والوديان المجاورة معلنة الحرب . لكن الملك داوود انتظرهم فى ثبات وخشوع دون أن يتطرق الفزع إلى قلبه وحرص على رفع معنويات جنوده مؤكدا لهم أن باستطاعة جيش صغير العدد أن يحرز انتصارا على جموع غفيرة من الأعداء بفضل الله وحده (١٥٨) . وبمجرد أن أنهى حديثه هذا، انقض عليه جيش المتحالفين المسلمين كالصاعقة مطلقين صيحاتهم المدوية «الله أكبر» وعلى الرغم من هذا الهجوم المباغت تمكن الجيش الكرجى من إحراز نصر على المسلمين الذين انسحبوا فى فوضى عارمة بعد أن تعرض الغالبية العظمى منهم لسيوف جنود الكرج والمتحالفين معهم. واستمرت عملية مطاردة الفارين ثلاثة أيام وتعقبوهم حتى حدود أنى ، وجرح ايلغازى قائد الجيوش الإسلامية فى رأسه ، وفر من ساحة القتال مع قلة قليلة من اتباعه. فقد تمكن من الفرار إلى ماردين سالما بفضل مساعدة صهره دبيس بن صدقة على حد قول جلتيرى (١٥٩) بعد أن نهب لدبيس ثلاثمائة ألف دينار (١٦٠).

هكذا أحرز الجيش الكرجى وحلفاؤه نصرا حاسما على الأتراك السلاجقة وحلفائهم فى معركة ديدجورى. وكان لهذا النصر آثاره البعيدة المدى على الشعوب الخاضعة لسيادة السلاجقة، إذ ولد هذا النصر لدى هذه الشعوب الأمل فى إنهاء تبعيتهم لهم. كذلك بدأت تظهر على حلبة السياسة فى الشرق الأدنى الإسلامى آنذاك قوة جديدة يحسب لها ألف حساب ، خاصة بعد أن حققت نصرا حاسما على

السلاجقة. فالبيزنطيون والصليبيون وجدوا حليفا جديدا سيناصرهم ويتحالف معهم في حروبهم المقبلة ضد الأتراك السلاجقة والمسلمين .

على أية حال، عقب هذا النصر الكبير، أسرع الملك الكرجي داوود بالاستيلاء على إمارة تفليس الإسلامية فأحكم عليها الحصار مدة من الزمن، ثم هدم سورها الغربي. وتمكن في نهاية المطاف من الاستيلاء عليها سنة ١١٢٢م / ٥١٦ هـ «وجعلها ترسانة سلاحه، ومقر إقامة أبنائه» . وأعادها ثانية عاصمة لمملكة الكرج الموحدة، بعد أن ظلت ما يقرب من أربعة قرون خاضعة للسيادة الإسلامية (١٦١). وبلاستيلاء على تفليس ، استكمل العاهل الكرجي عملية إعادة الوحدة إلى ربوع مملكة الكرج. ولم يكتف بذلك بل طمع في مواصلة حرب استرداد الأراضي الخاصة للسلاجقة وجيرانه المسلمين .

ففي سنة ١١٢٣م / ٥١٧ هـ شن الزعيم الكرجي غارة شرسة على دريند شروان (١٦٢)، وشدد عليها الحصار، . فأسرعت جموع غفيرة من أعيان المدينة إلى السلطان السلجوقي طالين نجده (١٦٣) «وشكوا إليه ما يلحقون منهم (أى من الكرج) وأعلموه بما هم عليه من الضعف والعجز عن حفظ بلادهم (١٦٤) . فعزم العاهل السلجوقي على نجدهم ووضع حد لإغارات الكرج. هذا بينما كان داوود الثانى قد تمكن من الوصول إلى شماخى (١٦٥) CHEMAKHA . فنزل السلطان ببستان هناك، فأسرع الجيش الكرجي لنزال جيش السلطان الذى انتابه الفزع الشديد. وأشار الوزير السلجوقي شمس الملك عثمان ابن نظام الملك على السلطان بالانسحاب (١٦٦). وعندما علم أهل شروان بذلك قالوا للسلطان «نحن نقاتل ما دمت عندنا وإن تأخرت ضعفت نفوس المسلمين وهلكوا». فاقتنع السلطان بأقوالهم

و«أقام مكانه» (١٦٧) وقرر عدم الانسحاب. وقد علق ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣م) على أحوال الفرع المنتشر فى صفوف الجيش السلجوقى أحسن تعليق حين قال: «وبات العسكر على رجل عظيم» (١٦٨). ثم أورد فى موضع آخر أن الفرع جاء من الله إن «ألقى بين الكرج وقفجاق اختلافا وعداوة فاقتلوا تلك الليلة ورحلوا شبه مهزومين» (١٦٩). بعد هذه الهزيمة التى منى بها الجيش الكرجى نتيجة الاقتتال بين الحليفين، تمكن السلطان السلجوقى من فتح شروان والاستيلاء على مدينة شماخى وأسر حاكم شروان. ثم أرسل خطاب تهديد إلى ملك الكرج طالبا فيه رد كل ما سبق أن استولى عليه من السلاجقة. فما كان من داوود إلا أن أسرع بالتسلل إلى شروان، وفرض عليها حصارا شديدا، مما اضطر السلطان السلجوقى إلى الانسحاب منها خوفا من المجابهة. وأعاد داوود شروان إلى ما كانت عليه قبل الفتح السلجوقى. إلا أنه فى سنة ١١٢٤م/ ٥١٨ هـ رأى بثاقب بصره وبصيرته ضرورة ضمها إلى رقعة بلاد الكرج، فعين عليها حامية كرجية مكونة أساسا من الأريشين والكاخيتيين أقامت فى مدن وقلاع شروان (١٧٠).

وينفرد متى الرهاوى - دون غيره من المصادر - بذكر اندلاع قتال ضار حدث سنة ١١٢٣م / ٥١٧ هـ بين الكرج والاتراك السلاجقة، لم يحدد موضعه، نتج عنه قتل جموع لا تحصى من الاتراك السلاجقة؛ مما دفع طغرل (ت المحرم ٥٢٩ هـ / أكتوبر ١١٣٤م) ملك كنجة إلى حشد جيش ضخم للتأثر من الكرج. ويروى أن حاكم كنجة أقام جسرا من السفن على نهر الكر، ليعبر عليه جنوده البالغ عددهم ستين ألف مقاتل. وكانت خطته قائمة على اجتياز نهر الكر والانقضاض على بلاد الابخاز. إلا أنه عندما علم العاهل الكرجى بهذه الحشود، عبأ جيوشه، ونجح فى

تخطيط جسر السفن الذى أقامه السلاجقة، وبذلك تمكن من تمزيق خصمه إريا على حد قول متى الرهاوى . أما ملك كنجة ، فقد لاذ بالفرار إلى مدينة أوزكند OZKEND ومثل أمام عمه السلطان سنجر طالبا نجدة (١٧١) .

ولم يكتف دأود باستعادة بلاد الكرج، بل شجعت انتصاراته المتلاحقة على الاستيلاء على المدن الأرمنية. ففي خلال عام ١١٢٣م / ٥١٧هـ تمكن العاهل الكرجى من الاستيلاء على سلسلة من القلاع الأرمنية . ثم بلا ترث ولا تمهل زحف على كولا (١٧٢) KOLA وباسيان (١٧٣) BASSIANI وتمكن من إلحاق الهزيمة بالأتراك السلاجقة الذين كانوا قد بسطوا سيادتهم على هذه الأقاليم الجنوبية من بلاد الكرج (١٧٤).

ثم جاء بعد ذلك دور أنى ANI - عاصمة أرمينية الكبرى - والتي كان قد فتحها من قبل العاهل السلجوقى ألب أرسلان سنة ١٠٦٤ م / ٤٥٦ هـ (١٧٦)، وظلت ستة عقود خاضعة لسيادة الاتراك السلاجقة. وقد لعبت مدينة أنى باعتبارها مركزا إداريا وتجاريا كبيرا، ونقطة استراتيجية مهمة للعهدين البجراطى والسلجوقى، دورا بالغ الأهمية فى تاريخ البلاد السياسى والحربى . وقد غدت أنى خلال تلك الحقبة ميدانا للمصادمات الحربية العديدة بين بلاد الكرج من ناحية والأمراء المسلمين الذين ثبتوا مواطىء أقدامهم فى أرمينية من ناحية أخرى . وتوقف على نتائج الصراع بين هذين الطرفين مصير لا مدينة أنى وحدها وإنما معها أيضا مصير مقاطعة أراجدزوتن (١٧٧) ARAGADSOTN وإقليم شيراك CHIRAK (١٧٨) . ولهذا كان استيلاء الكرج على أنى ضربة انزلت لا بأمن وسلامة التجار المسلمين فحسب، وإنما أيضا بالمصالح التجارية للإمارات الإسلامية

فى أرمينية ككل . فبعد أن فجح الملك الكرجى فى الاستيلاء على سبير^(١٧٩)
SPER المطلة على نهر شوروخ والواقعة فى منتصف الطريق بين ارزن الروم^(١٨٠)
وطرابيزون^(١٨١)، حمل على عاتقه مهمة الاستيلاء على آنى .

وكانت العاصمة الأرمينية - على حد قول أحمد بن لطف الله منجم باشى فى
مصدره «باب فى الشدادية من كتاب جامع الدول» (كتبه حوالى سنة ٥٠٠ هـ
/ ١١٠٧م) - قد آلت منذ سنة ١٠٦٥م / ٤٥٧ هـ إلى أبى الأسور^(١٨٢) حاكم
الران من أسرة بنى شداد الكردية ، إذ تمكن من الاستيلاء على حصن آنى الحدودى
وأصلح ما تهدم منه وعمره ورممه، وعين عليه عماله بعد أن «شحنه بالسلاح
والذخيرة والميرة والرجال^(١٨٣)» .

وحتى الربع الأّل من القرن الثانى عشر الميلادى كان الشداديون تابعين لسيادة
الأتراك السلاجقة. وكان هؤلاء بدورهم حماة الشدادين ومدافعين عنهم فى مواجهة
أطماع كل من بلاد الكرج والإمارات الإسلامية المجاورة. بيد أن الحكام الشداديين
لم يعبأوا دوما بمصالح أهالى مدينة آنى وقواعد حياتهم وعاداتهم، مما حدى بأهل
هذه المدينة إلى الاستنجد والاستعانة بملوك الكرج. وينبغى أن نضع فى الاعتبار
أيضا أن مملكة الكرج كانت لديها خططها ومصالحها واهتماماتها المرتبطة بمدينة
آنى، وهى فى زودها عنها وقفت ضد تحالف الأمراء المسلمين حماة أسرة بنى
شداد^(١٨٤) .

على أية حال ، يذكر المؤرخ الأرمنى صموئيل الآنى SAMUEL D'ANI
فى حوليته CHRONIQUE أنه عقب وفاة الأمير الشدادى مانوتشه^(١٨٥)
MANDOUTCHE سنة ١١١٠م / ٥٠٤ هـ خلفه ابنه أبو الأسور . وتصف

المصادر الأرمنية حاكم آنى الجديد بأنه كان منخور القوى، ضعيف القلب والعزيمة، جباناً لا يقوى على مواجهة الأخطار والاغارات المهددة بربوع العاصمة الأرمنية والتي نجم عنها تدمير اقليم شيراك GHIRAK عن بكرة أبيه . فبدلاً من أن يسعى أبو الأسور بن مانوتشه إلى رد الهجمات عن مدينته، قرر بيعها إلى أمير قرص KARS نظير مبلغ قدره ستون ألف دينار . وعندما شاع هذا الخبر بين الأرمن، انتاب الخوف والفرع زعماء وسكان آنى، فأسرعوا بالاستنجاد والاستعانة بالملك الكرجى داوود الثانى، وحشوه على الاستيلاء على مدينتهم وتعهدها له بمساعدته على تحقيق هذا الهدف (١٨٦) .

إزاء هذا الاستنجاد، حشد الزعيم الكرجى جيشاً قوامه ستون ألف فارس، زحف على رأسه إلى العاصمة آنى وقام بحصارها من كافة الجهات حسب قول بروسية BROSSET فى كتابه «أطلال من آنى» LES RUINES D'ANI . وبفضل مناصرة ومساعدة سكانها من الأرمن وكبار أمراء الاقطاع من آل أوريليان ORBELLIAN وآل ايفانيه IVANE وآل زخارى ZAKHARE تمكن العاهل الكرجى من التسلل إلى داخل العاصمة الأرمنية والاستيلاء عليها بعد ثلاثة أيام من حصارها. ولم ينل آنى أية أضرار أو خسائر من الأرواح. كان ذلك فى شهر أغسطس سنة ١١٢٣م / (١٨٨) جمادى الآخرة سنة ٥١٧ هـ . وعين حاكماً على العاصمة الأرمنية الأمير الكرجى أبا الحيث ABELHETH وابنه ايفانيه، وخصص لها حامية قوية للدفاع عنها، وعاد ثانية إلى عاصمته تفليس وبصحبه أسيره أبو الأسور والبقية الباقية من أسرة بنى شداد الكردية (١٨٩) .

كان لاستيلاء الزعيم الكرجى على العاصمة الأرمنية آنى صدها البعيد المدى؛ إذ

كانت المدينة مركزا للحياة القومية والثقافية لأرمنية والأرمن ، وكانت لها مكانتها التجارية إذ تعد من أغنى مدن الشرق الأدنى آنذاك، إضافة إلى أنها كانت قلعة استراتيجية على درجة كبيرة من الأهمية. واستبشر سكانها خيرا عقب تحريرها. وغمرت الفرحة قلب المؤرخ الأرمني متى الرهاوى وعبر فى حوليته عن ارتفاع معنويات الشعب الأرمني عقب إعادة مسجد المدينة إلى كاتدرائية حين قال: «وانتشرت الفرحة البالغة بين أفراد أمتنا خاصة بعد أن رأينا ذلك البناء المقدس يعود ثانية إلى أصحابه الشرعيين» ، ووصف الملك الكرجى بأنه الصديق الوفى للأرمن (١٩٠) .

وأخيرا، انفرد متى الرهاوى دون غيره من المصادر الكرجية والأرمنية والإسلامية على حد سواء بذكر أخبار آخر حلقة من حلقات الصراع الضارى بين الأتراك السلاجقة والكرج فى عهد داوود الثانى. فقد ذكر أخبار حملة تمت قبيل وفاة الملك الكرجى سنة ١١٢٥م/٥١٨ هـ . فقد أورد أن السلطان السلجوقى أعد تحالفا إسلاميا ضم إبراهيم بن سقمان صاحب خلاط، وداوود بن سقمان أمير هنزيط HANTZITH وانضمت إليهما جيوش بعض الأمراء المسلمين المجاورين . احتشدت هذه الجموع الغفيرة وزحفت لاجتياح بلاد الكرج. فأسرع الزعيم الكرجى لقتالهم، ودارت بين الخصمين معركة طاحنة خرج منها داوود الثانى ظافرا بعد أن «طفحت الجبال والوديان بدماء المتحالفين ، وانتشرت روائح جثث القتلى فى كافة ربوع البلاد من أقصاها إلى أقصاها» على حد مبالغة متى الرهاوى. ولم يكتف الجيش الكرجى بذلك بل قام بمطاردة فلول المنسحبين لمدة خمسة أيام (١٩١) . على أية حال، كان للمد الكرجى على حساب الأتراك السلاجقة فى كل من بلاد

الكرج وأرمينية الكبرى صدها المدوى فى ربوع العالم الإسلامى آنذاك، إذ كان لا يقل عن الصدى الذى أحدثته الانتصارات التى حققها الصليبيون فى الشرق الأدنى الإسلامى. إزاء هذا الخطر الكاسح، أسرع وفد من مسلمى القوقاز للمثول أمام الخليفة العباسى فى بغداد ، وتوسلوا إليه لاعلان الدعوة للجهاد ضد الكرج، تماما كما فعل مسلمو بيت المقدس وطرابلس وحلب عندما طلبوا من خليفة بغداد اعلان الجهاد لمواجهة الوجود الصليبي على أراضى المسلمين. إلا أن هذه النداءات لم تأت ثمارها وذهبت سدى (١١٢). وهكذا كانت تدور هذه المعارك حامية الوطيس بين الكرج والأتراك السلاجقة وأمير المؤمنين لا يكاد يفعل شيئا، فازداد الكرج قوة وخطرا .

وقبل طى صفحات هذا البحث المتواضع، ينبغى الإشارة إلى أن الملك الكرجى داوود الثانى سبق عصره المتسم بالتعصب الدينى الأعمى حين تسامح تسامحا بالغا فى تعاملاته مع رعاياه من المسلمين والأرمن (١١٣) المخالفين له فى المذهب الدينى. وعلى هذا، فقد سبق تاريخيا صلاح الدين الأيوبي رائد التسامح الدينى فى عصر الحروب الصليبية .

والملاحظ أن معظم المصادر الإسلامية منها قبل الكرجية أجمعت على أن العاهل الكرجى لم يفرق بين طوائف شعبه من مسلمين ومسيحيين ويهود . فقد أشار إلى ذلك ابن الأزرق الفارقى (ت ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨م) الذى زار مملكة الكرج، وسجل لنا فى تاريخه ما شاهده من نظم وعادات . وتوصل إلى خدمة ملكها ديمترى بن داوود الثانى ، وزار بعض ولايات مملكة الكرج آنذاك مثل أنى والابخاز ودريند فقد ذكر أنه فى سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤م أقام فى تفليس . والتقى

بأحد المسلمين الأسرى منذ أيام حملة نجم الدين ايلغازى سنة ٥١٥ هـ / ١١٢١ م ،
ودار بينهما حديث أورده الفارقى فى مصنفه أشار فيه الشيخ الطاعن فى السن إلى
أن أمير بلاد الكرج، وكل من ولى أمر هذه البلاد من قبل كان يحسن إلى المسلمين،
وانهم احتلوا مرتبة سامية فى بلاده ويذكر الفارقى أنه عقب استيلاء داوود على
العاصمة تفليس ، حرص على أن يؤمن أهلها، ويطيب قلوبهم، ووعدهم بالمعاملة
الحسنة، وأسقط عنهم الأعشار والمؤن والأقساط والخراج. وقبل كل شروط مسلمى
تفليس وكان من بينها أن لا يعبر بالمدينة خنزير ولا يذبح بها ولا فى سوقها. كذلك
روى أن الزعيم الكرجى لم يح الهوى الإسلامية للعملة الكرجية؛ فقد ضرب لسكان
تفليس دراهم عليها اسم السلطان والخليفة فى الوجه الواحد، وفى الوجه الآخر اسم
الله واسم الرسول عليه الصلاة والسلام، وأخيرا يأتى اسمه على جانب من الدرهم
الجديد. وأورد كذلك أن داوود نادى فى البلدان الكرجية أن من ألحق الأذى بمسلم
سيهدر دمه «وشرط لهم الآذان والصلاة والقراءة ظاهرا، وأن يخطب يوم الجمعة
ويصلى، ويدعى للخليفة والسلطان ولا يدعى لغيرهما على المنبر» . أما حمام
اسماعيل بتفليس، فقد منع الكرج والأرمن واليهود من دخوله، وجعله قاصرا على
المسلمين فقط. واختتم ابن الأزرق حديثه قائلا أن الملك الكرجى أحسن إلى المسلمين
غاية الإحسان، وجعل لأهل العلم والدين والصوفية أحسن المنازل، التى فاقت منازل
أقرانهم فى البلدان الإسلامية الأخرى (١٩٤) .

كذلك أشار ابن حوقل الذى زار العاصمة تفليس أن ملك الكرج - رغم كونه
مسيحيا - كان يعامل المسلمين بالحسنى ، فيحميهم من كل أذى، ويحافظ على
إقامة شعائرهم الدينية ، ويحمى مقدساتهم الإسلامية من كل دنس، ويوقد المسجد

الجامع فى تفليس بالشمع والقناديل ، ويزوده بكل احتياجاته ، والآذان فى جميع مساجدها يجره . ولاحظ بعين الفاحص المدقق أن المسلمين والكرج يعيشون فى جو يسوده الحب والسلام والأمان ويظله التسامح الدينى (١٩٥) .

أما القزوينى (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣) فقد ذكر فى مصنفه «آثار البلاد وأخبار العباد» نقلا عن بعض التجار، أن حمام تفليس ، الشبيه بحمامات طبرية «يختص بالمسلمين ولا يدخله كافر ألبته». وفى موضع ثان من مصنفه ، أشار القزوينى إلى حرية ممارسة سكان تفليس لشعائهم الدينية قائلا: «من أحد جانبي الكر يؤذنون ومن الجانب الآخر يضربون بالناقوس» (١٩٦) . مما يؤكد ما ذكره الفارقي وابن حوقل عن التسامح الدينى السائد فى ربوع بلاد الكرج .

كذلك أشار المؤلف المجهول «للبيستان الجامع لتواريخ الزمان» فى حديثه عن وفاة داوود الثانى تحت أحداث سنة ٥١٦ هـ (صحتها ٥١٨ هـ) أنه «هو الذى فتح تفليس، وكان له نظر عظيم فى الإسلام، وجرت له مناظرة مع القاضى الكنجى فى الكلمة هل هى مخلوقة أم قديمة» (١٩٧) . أما ابن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٦٨ م) ، فقد ذكر أن الملك الكرجى كان عادلا فى الرعية، وكان يحضر صلاة الجمعة ويسمع الخطبة ويحترم المسلمين (١٩٨) .

هذا عن التسامح الدينى الذى اتصف به داوود الثانى كما أوردته المصادر الإسلامية ، وقد اتفقت معها أيضا المصادر الكرجية. فقد ذكرت أن الملك الكرجى قام بحماية التجار المسلمين ، وصادق الشعراء والفلاسفة، وعاش المسلمون فى مملكته فى أمن وأمان أكثر من المسلمين المقيمين فى البلدان الإسلامية المجاورة واستمر ذلك فى عهد خلفه ديمترى . وقد أيد ذلك القول ابن الأزرقي حين قال : «لقد

كنت أرى لاحترامه للمسلمين ما لو أنهم ببغداد ما احترموا تلك الحرمة» (١٩٩) .
كذلك أشارت المصادر الكرجية إلى انه كان ملما بالعقيدة الإسلامية خير إمام،
وأنه شارك فى المناقشات الفقهية مع قاضى كنجة فيما يتعلق بالأحاديث الشريفة
والنصوص القرآنية. وإنه كان يحضر صلاة الجمعة بصحبة ابنه وولى عهده ديمترى.
إضافة إلى ذلك كان يوزع الأموال والعطايا على رجال الدين الإسلامى. كذلك أقام
مبنى مشتركا ضم شعراء المسلمين والصوفية وأغدق عليه الأموال الطائلة حتى
يضمن له الاستمرارية والبقاء. ويذكر مؤلف سيرة الملك داوود انه كان شغوفاً بمعرفة
كافة الثقافات، ومتبحراً فى علم اللاهوت والفقه الإسلامى، دارساً للتاريخ والفلسفة
وعلم الفلك، محباً للشعر الكرجى والفارسى والعربى . وإنه حرص على أن
يصطحب معه مكتبته الخاصة فى تجواله (٢٠٠) .

على أية حال ، ورث ابنه وخليفته على العرش نفس الخصال الحميدة التى تحت
على التسامح مع رعاياه من المسلمين. فقد التحق ابن الأزرق بخدمة ديمترى بن
داوود ، وبقي عنده مدة من الزمن. وذكر أنه ذات يوم الجمعة، ذهب الملك الكرجى
إلى المسجد الجامع بتفليس، وجلس على دكة تقابل الخطيب، وسمع خطبة الجمعة.
وبعد انتهاء الصلاة «أطلق برسم الجامع مائتى دينار أحمر» ، ولم يكتف بذلك، بل
أغدق الأموال على العلماء والوعاظ والأشراف والصوفية وحظى كل هؤلاء بتكريمه
واحترامه تماماً كما كان يفعل والده من قبل (٢٠١) .

وقد اعترف المؤرخ الأرمنى فريدتجوف نانسن FRIDTJOF NANSEN
فى كتابه «أرمينية والشرق الأدنى» - L'ARMENIE ET LE PROCHE
ORIENT بفضل المسلمين الكرج والحضارة الإسلامية على ازدهار الثقافة

والحضارة الكرجية فى كافة الميادين حين قال: «على الرغم من الاختلاف فى العقيدة، فقد ساهم مسلمو الكرج مساهمة فعالة فى النهوض بالحضارة والثقافة الكرجية فى العديد من الميادين والمجالات» (٢٠٢) .

وهكذا نجح الزعيم الكرجى داوود الثانى فى أن يجعل بلاد الكرج مملكة متحدة متماسكة الأطراف بعد أن ضم إلى ملكه كل جنوبى القوقاز وبلاد الابخاز حتى بحر الخزر، ووطد الأمور، وطمأن النفوس ، ونشر السكينة بين الناس. ونهض بالمملكة وأحيائها ، وجعل منها حكومة قوية قادرة على حفظ كيانها . وتوفى فى الرابع والعشرين من يناير سنة ١١٢٥م/ ١٧ من ذى الحجة سنة ٥١٨ هـ بعد أن كانت له - عند الشعب الكرجى - المسلم منه قبل المسيحى - مكانة مقدسة . وترك لابنه ديمترى من بعده ملكا عظيما، وحكومة قوية . ونسج ولى عهده على منواله، ووضع نصب عينيه قدسية الوطن، والعمل على تقويته، ووجوب المحافظة عليه وعلى وحدته الوطنية فى ظل التسامح الدينى الموروث عن أبيه .

(١) أصدرت أولى كتاب باللغة العربية على مستوى العالم العربى عن تاريخ بلاد الكرج أى جمهورية جورجيا وكان بعنوان «الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج حتى أواخر القرن الثانى الهجرى / أواخر القرن الثامن الميلادى» - دار النهضة المصرية - القاهرة ١٩٨٨ .

(٢) Brosset, Histoire de la Georgie,
Paris, 1849 - 1858, t. I, p. 15 - 17; Laurent, L'Arménie
entre Byzance et L'Islam, Lisbonne , 1980, p. 46 .

Laurent, p.46 . (٣)

Brosset, Description Geographique de la Georgie, St.(٤)
Pet. , 1842, p. 53 .

(٥) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك - تحقيق محمد أبو الفضل - القاهرة ١٩٧٧ ،
ج ٤ ، ص ١٦٢ ؛ البلاذرى : فتوح البلدان - بيروت ١٩٧٨ - ص ٢٠٤ ؛
اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى - بيروت - دار صادر بدون تاريخ - ج ٢ ص
١٦٨ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ - بيروت ١٩٦٧ - ج ٣ ، ص ٤٤ ؛
ياقوت : معجم البلدان - بيروت بدون تاريخ - ج ٢ ، ص ١٢٥ ؛ يحيى
الأنطاكى : تاريخ يحيى - نشر لويس شيخو - بيروت ١٩٠٩ ، ص ١٧٠ ؛
البغدادى : مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع - تحقيق على محمد
البجاوى - القاهرة ١٩٥٤ ، ج ١ ، ص ٢٦٦ ، ٣٢٥ .

(٦) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر - بيروت ١٩٨٢ - ج ١ ، ص
١٧٤ . ويسمىها المسعودى تارة أخرى «خزران» انظر : ج ١ ، ص ١٧٢ .

(٧) المسعودى : ج ١ ، ص ١٧٢ : القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد - بيروت بدون تاريخ - ص ٤٩٣ .

(٨) اليعقوبى : كتاب البلدان - طبعة ابريل ١٨٩١ - ص ٢٧٢ - ٢٧٣؛
ياقوت: معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٢٥؛ ابن حوقل: صورة الأرض -
بيروت ١٩٧٩ - ص ٢٩٢ ؛ ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج ٨ ص
٢٩٣؛ ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق - بيروت ١٩٠٨ - ص ١٦٨؛
القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الانشاء - القاهرة ١٩١٣-١٩٢٠-
ج ٤ ، ص ٣٧٢؛ العظمى : تاريخ العظمى - تحقيق كلود كاهن فى
الجريدة الآسيوية ١٩٣١ - ص ٣٨١ و ٣٩٣؛ المقرئى : السلوك لمعرفة
دول الملوك - القاهرة ١٩٥٧ - ج ١ ، ق ١ ، ص ١٧ و ٢٦ ؛ الفارقى :
تاريخ الفارقى - بيروت ١٩٧٤ ، ص ٤١؛ ابن كثير: البداية والنهاية -
القاهرة ١٣٨٧ هـ - ج ١٢ ، ص ١٨٥؛ النويرى : نهاية الأرب فى فنون
الأدب - تحقيق سعيد عاشور - القاهرة ١٩٨٥ ، ج ٢٧ ، ص ٢٣ .

(٩) - Theophane, Chronographia , Ed. de Boor, Leipzig, 1883
1885, p. 391. Cf. Laurent, p. 61, n. 51 .

أنظر أيضا : فايز نجيب اسكندر : غزو الامبراطورية البيزنطية لأرمينية سنة
٤٥٠م/٤٣٧ هـ - دار النهضة المصرية - القاهرة ١٩٨٨ - ص ٣٤ ،
حاشية رقم ٣٩ .

(١٠) - Strabon, The Geographie of Strabon, London, 1931
1948 , XI, 3 , 1-6 .

(١١) فايز نجيب اسكندر: أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة - الاسكندرية ١٩٨٣ ، ص ١٥٨ ، حاشية رقم ١٠٨ .

(١٢) أطلق الأرمن اسم «فرك» Virk على الجزء الشرقى لجمهورية جورجيا الحالية. والمقصود من ذلك «سكان الشمال». انظر Brosset, I , p. 15 .

(١٣) Canard, Sur Quelques questions relatives a L'Epopée Byzantine de Digenis Akritas, London, 1974, Fasc., XX A.P. 298 - 299, n. 11 .

(١٤) أطلق المؤرخون والجغرافيون المسلمون على اقليمى ما وراء جبال القوقاز Transcaucasie وشرق الأناضول اسم «أرمينية» (انظر : البلاذرى: ص ١٩٧؛ ابن حوقل: ص ٢٨٥، ياقوت: ج ١ ، ص ٢٢٠) ليشمل هذا الاسم جميع البلدان الواقعة شمال اقليم الجزيرة، (أى العراق الشمالى أو إقليم ما بين النهرين) وغربى إقليم آذربيجان الفارسى، (وهو ميديا الصغرى فى العصور السابقة على الفتوحات الإسلامية لهذه المناطق) وشرقى إقليم الامبراطورية البيزنطية بآسيا الصغرى، (أى الأناضول) وجنوبى جبال القوقاز حيث فى شمالها مملكة الخزر. وقد أطلق المسلمون على كل هذه البلدان اسم «أرمينية»، جريا على عادتهم التى تقضى باطلاق اسم الجزء المعروف لهم، على الكل غير المعروف لهم. وعلى هذا ، درج الجغرافيون والمؤرخون المسلمون على جعل أرمينية وبلاد الكرج وآذربيجان والران اقليما واحدا.

(١٥) عن تقسيمات أرمينية فى المصادر الإسلامية، وموقعها وجغرافيتها وطبغرافيتها وأثر كل ذلك على تاريخها أنظر: فايز نجيب اسكندر:

الفتوحات العربية لأرمينية - دراسة تاريخية لحملة المسلمين الأولى سنة ١٩هـ - بحث منشور في مجلة سيرتا - مجلة معهد العلوم الاجتماعية بجامعة قسطنطينة بالجزائر - العدد ٩/٨ سنة ١٩٨٣ ، ص ١٢٩ - ١٣٢ ، حاشية رقم ١ ؛ وكذلك : أرمينية بين البيزنطيين والخلفاء الراشدين (١١) - ٤٠ هـ / ٦٣٢ - ٦٦١م) - الاسكندرية ١٩٨٢ - ص ٦٩ - ٧١ ، حاشية رقم ١ ، ص ٩٦ ، حاشية رقم ١٤٦ ؛ ص ١٢٠ - ١٢١ ، حاشية رقم ٢٧١ .

(١٦) عن أرمينية الثالثة أنظر : فايز نجيب اسكندر: الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج ، ص ١٢ - ١٣ .

(١٧) تقع «بلاد داغستان» غربى بحر قزوين . انظر : زكى محمد حسن: الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى - القاهرة ١٩٤٥ - ص ١٧ .

(١٨) كانت «قرص» Kars سوقا تجاريا هاما، إذ تقاسمت مع أرزن وملطية تجارة أرمينية بأكملها . وتقع قرص على الطريق من أنى إلى أرتانوج . وكانت فى أول أمرها قلعة، وفمت تدريجيا مع ازدهار التجارة الدولية فى البحر الأسود، إلى أن أصبحت أحد أهم المراكز التجارية فى أرمينية. وكان لقرص علاقات تجارية وثيقة مع أرتانوج والموانىء الشرقية للبحر الأسود وأردهن Ardahan وبلاد الابخاز وبلاد الكرج .

وعنها قال ياقوت فى مصدره معجم البلدان «قرص مدينة بأرمينية من نواحي تفليس يجلب منها الابريم، خبرنى بذلك رجل من أهلها. بينها وبين تفليس يومان» (انظر : ياقوت: ج ٤، ص ٣٢٣؛ البغدادى : ج ٣ ، ص

١٠٧٨). وقرص كانت تسمى قديما «جاروتس» Garouts ، وتطل على نهر أخوريان. وهى مدينة رئيسية ، إذ أنها عاصمة مملكة فاناند Vanand. أسسها الملك موشيج Moucheh . والجدير بالذكر أن سكان قرص عاشوا على اللصوصية وقطع الطرق، واعتبروا عملهم هذا من الأعمال الشريفة. وكانوا من قدامى الشعوب القوقازية . وقد توارث السكان أعمال اللصوصية وقطع الطرق ومارسوها ليس فقط فى الأماكن النائية عن بلادهم، بل أيضا فى داخل عاصمتهم قرص. وأخيرا، نجح الملك عباس (٩٨٤ - ٩٨٩م) خليفة موشيج من تطهير قرص من كل اللصوص، الكبير منهم والصغير. وقد وردت «قرص» فى ترجمة قسطنطين بورفيرو جنيتس على شكل «Kaps» وترجمت «كورى» بدلا من قرص . انظر Const. Porphy, de Adm. Imp Vol. II, Commentary, p. 169. انظر أيضا: محمود سعيد عمران، إدارة الامبراطورية البيزنطية، حتى ١٦١. علما بأنها وردت فى كافة المصادر الجغرافية الإسلامية على شكل قرص كما أوضحنا . وللتفاصيل الدقيقة عن قرص وأهميتها . انظر: فايز نجيب اسكندر: الحياة الاقتصادية فى أرمينية إبان الفتح الإسلامى - دار النهضة المصرية ١٩٨٨ - ص ٥٥ - ٥٦ ، وكذلك حاشية رقم ٣٤٧؛ استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمينية «أنى» سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤م - الاسكندرية ١٩٨٧ - ص ٣٧ ، حاشية رقم ٧٢ . انظر أيضا Favez Naguib Iskandar, Les Richesses de L'Armenie au temps des Bagratides (885 - 1045), Alexandrie, 1988, p.15.

(١٩) عن بلاد الأبخاز أنظر: فايز نجيب اسكندر: أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة : ص ١٩٥ ، حاشية رقم ٣٤٨ .

(٢٠) Laurent, p. 46; C.M.H. , IV, p. 594.

(٢١) Nansen, L'Arménie et le Proche-Orient, Paris, 1928, p. 89 .

ونهر الكر «يبتدىء» من بلاد خزران من مملكة جرجين، ويمر ببلاد أبخاز حتى يأتى ثغر تفليس، ويشق فى وسطه، ويجرى فى بلاد السياوردية حتى ينتهى على ثمانية أميال من برذعة ، ويجرى إلى برداج من أعمال برذعة. ثم يصب فيه مما يلى الصنارة نهر الرس، ويظهر من أقاصى بلاد الروم من نحو مدينة طرابزنده حتى يجىء إلى الكر، وقد صار فيه نهر الرس، فيصب فى بحر الخزر» . انظر : المسعودى: ص ١٧٤. وعلى هذا، فالكر والرس نهران تؤمان للكرج والأرمن، وهما أطول أنهار اقليم ما وراء القوقاز، يتجهان شرقا فى جنوب هذا الاقليم ثم يلتقيان معا ويكونان نهرا واحدا يصب فى بحر قزوين .

(٢٢) فى البلاذرى: ص ٢٣٨ «تفليس» : وفى الطبرى: ج ٤ ، ص ١٦٢؛ وياقوت: ج ٢ ، ص ٣٦ «تفليس». وعلى هذا الشكل وردت فى كافة المصادر الجغرافية والتاريخية. وقد أشار ياقوت فى «معجم البلدان» إلى أنه عقب خضوع تفليس للسيادة الإسلامية ، انتشر الإسلام بين سكانها «وأسلم أهلها» . (انظر ياقوت: ج ٢ ، ص ٣٦) . وذكر ياقوت والقزوينى إلى أن تفليس كانت آخر موضع وصل إليه الإسلام. ففى هذا المعنى أورد «...» . وهى مدينة لا إسلام وراءها» . (انظر: معجم البلدان، ج ٢ ، ص ٣٥؛ آثار

البلاد، ص ٥١٨). وقد حظيت تفليس عاصمة بلاد الكرج باهتمامات المصادر الإسلامية الجغرافية منها والتاريخية. فقد زارها ابن حوقل (توفي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ القرن العاشر الميلادي) وفصل الحديث عن موقعها وحصانتها وخيراتها وأهميتها وذلك في مصنفه صورة الأرض (للتفاصيل أنظر ابن حوقل : ص ٢٩٢ - ٢٩٣). والجدير بالذكر أن الملك فاختانج الأول (٤٦٦ - ٥٠٠م) ملك ايبيريا (جورجيا) بنى مدينة تفليس وذلك سنة ٤٦٩ م.

(٢٣) ينبع نهر شوروخ من جبال سبير Sper ، ويتجه نحو الشمال الشرقي بمحاذاة خاجديك Khagh'dik وكولشيد Colchide ؛ ثم يعبر الوديان المنيعه في مقاطعة طايبك، ويستدير فجأة نحو الشمال الغربي، ثم يصب في البحر الأسود. للتفاصيل انظر: فايز نجيب اسكندر: الحياة الاقتصادية في أرمينية، ص ٥٢، حاشية رقم ٣٢٦.

(٢٤) تقع أرتانوج عند ملتقى الطريق التجارية بين طرابيزون وأرمينية ومدن القوقاز الشمالية وأباهونيك على مسافة ليست ببعيدة عن مجرى نهر شوروخ. انظر Heyd, Histoire du commerce du Levant au moyen age, Amsterdam, 1967, T. I, p. 44 .

(٢٥) تقع «مقاطعة مسختي» في أعماق جبال القوقاز (انظر Hubschmann, Die Altarmeinischen Ortsnamen, Strasbourg, 1904, p. 212, n. 1 et p. 265; Hewsen, Armenia According to the Asxarhac'oye, dans R.E.A., T. II, Paris, 1965, p.337

وكانت «مسختى» عاصمة بلاد الكرج. إلا أنه حدث سنة ٤٦٩ م أن أقام الملك فختانج جورجسلان Vakhtang Gourgasslan فى تفليس ، فأصبحت بالتالى عاصمة البلاد، خاصة وأنها أكثر بعدا من وديان القوقاز، وأقل عرضة لهجمات القبائل الجبلية. انظر : Nansen, p. 98 .

(٢٦) أقام اللان شمالى تفليس فى جبال القوقاز، على سفحى الجبل، بين نهر ريونة الذاهب إلى البحر الأسود فيما وراء القوقاز ونهر تيريك Terek الذى يصب فى بحر قزوين . انظر: فايز نجيب اسكندر: الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج، ص ٣٦ - ٣٧ . وللتفاصيل الدقيقة انظر المرجع السابق ، ص ٣٦، حاشية رقم ١٦ .

(٢٧) ذكر المسعودى أن مملكة الصنارية تقع بين ثغر تفليس وقلعة باب اللان . للتفاصيل انظر: مروج الذهب، ص ١٧٣ - ١٧٤ .

(٢٨) يقع وادى كشيائ جنوب العاصمة تفليس. انظر فايز نجيب اسكندر: الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج ، ص ٣٣ .

(٢٩) Laurent, p. 46.

(٣٠) للتفاصيل عن نهر الرس انظر: فايز نجيب اسكندر: الفتوحات الإسلامية لأرمينية فى ضوء كتابات المؤرخ الارمنى چيفوند - الاسكندرية ١٩٨٣ ، ص ٩٨، حاشية رقم ١٥٠ ؛ مملكة أرمينية الصغرى بين الصليبيين ودولة المماليك الأولى - رسالة دكتوراه لم تطبع بعد - الاسكندرية ١٩٨٠ - ص ب ، حاشية رقم ٣.

(٣١) Brosset, T. I, p. 89 .

(٣٢) أطلق الكرج على الأرمن اسم «سموختى» (سمكسى) Somexi وعلى أرمينية اسم «سمخت» (سمكست) Somxet. انظر: Hubschmann .p. 276

(٣٣) فى حديثه عن «استيلاء جلال الدين على تفليس من الكرج بعد هزيمتهم اياهم» بدأ بالقول «كان هؤلاء الكرج أخوة الأرمن». انظر ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون - بيروت ١٩٧٩ - المجلد الخامس ، ص ١٢٧ .

(٣٤) للتفاصيل انظر: فايز نجيب اسكندر: الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج، ص ١٨ - ٢٢ .

(٣٥) وردت فى المصادر الإسلامية على شكل «خاخيطة» ، انظر: البلاذرى: ص ٢٣٩. انظر أيضا : Brosset, Description, p. 283 SQQ; Hist. .
. de la Georgie, T. I, p. 41 , 248 .

(٣٦) «نهر أرجفى» Aragvi هو أحد روافد نهر الكر، ويقع شمالى تفليس .
انظر . Laurent; p. 575, n. 66 .

(٣٧) عنها انظر : فايز نجيب اسكندر: أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة، ص ٢٦ .

(٣٨) Brosset, description, p. 283 SQQ; Histoire de la Georgie, I , p. 41, 248 .

(٣٩) عن هذه الثروات قال ابن حوقل الذى زار هذه الاصقاع النائية : «... وبهذه الجبال والنواحي والمدن والبقاع التى ذكرتها من الرخص والخصب والمراعى والمواشى والسوائم والخيرات والبركات والمشاجر والأنهار والفواكه الرطبة

واليابسة» . انظر : صورة الأرض ، ص ٢٩٨ .

(٤٠) لمزيد من التفاصيل عن مقاطعة كاخيتى أر «خاخيظ» فى المصادر الإسلامية انظر: فايز نجيب اسكندر: الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج، ص٢٢ - ٢٣ .

Laurent, p.61, n. 51 . (٤١)

Laurent, p.568, n. 20 . (٤٢)

Laurent, p.61, n. 51 . (٤٣)

Nansen, p. 90 (٤٤)

Laurent, p.49 . (٤٥)

Laurent, p.48 . (٤٦)

Laurent, p.61, n. 51 . (٤٧)

Hubschmann, p. 212, n. 1 et p. 265; Hewsen, (٤٨)

p . 337. Nansen, p. 98 .

(٤٩) يسميها المسعودى «مملكة الصمصخية» وعنها قال: «تلى مملكة خزران

(يقصد بلاد الكرج) مملكة يقال لها الصمصخية، نصارى، وفيهم جاهلية لا

ملك لهم» انظر: مروج الذهب، ص١٧٣. وأيضاً Nansen, p. 90.

و«سمسخى» باللغة الكرجية تعنى ثلاث قلاع حصينة . وهى مقاطعة فى

أعلى بلاد الكرج الشرقية. وكانت قديماً تسمى مسخيا Meschia (انظر:

(Cont. Porphyrogenete, de Adm., Commentaire, p. 178

وتقع فى أعلى نهر الكر على ضفته اليسرى غرب ثرياليت وشمال

دجواكستى Djawaxet'i انظر Brosset, Description, p. 75; Saint
- Martin, Memoires, T. II p. 427; Adontz, Armenia, p.
117, 121, 123 .

(٥٠) أشار إلى ذلك ابن حوقل بقوله: «ويجلب منها البغال الجياد الموصوفة
بالصمة والجلد والصبر إلى العراق والشام وخراسان. ويكون بها الشهاري
الحسنة الموصوفة بالجمال والفراة وما يقارب شهاري طخارستان، وربما زاد
عليها وعلى نتاج الجوزجان». انظر: صورة الأرض، ص ٢٩٧ .

(٥١) أشار إلى ذلك ابن حوقل بقوله: «وأهلها قوم فيهم سلامة وقبول للغريب
وميل إلى الطاريء عليهم وأنس بمن له أدنى فهم وانتساب إلى شيء من
الأدب». انظر: صورة الأرض، ص ٢٩٢ .

(٥٢) عبر المسعودي عن ذلك خير تعبير حين قال: «أهلها ذو قوة وبأس شديدين».
انظر: مروج الذهب، ج ١، ص ١٧٢ .

(٥٣) Nansen, p. 90 .

(٥٤) للتفاصيل أنظر: فايز نجيب اسكندر: الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج، ص
٤١ - ٦٦ .

(٥٥) عن لقب بطريق انظر: فايز نجيب اسكندر: أرمينية بين البيزنطيين والخلفاء
الراشدين، ص ١٠٣، حاشية رقم ١٨٠ .

(٥٦) عنه انظر: فايز نجيب اسكندر: المرجع السابق، ص ٩٩، حاشية رقم ١٥٤ .

(٥٧) وردت في بعض المصادر الإسلامية على شكل آران، وعن حدودها قال
أحمد بن لطف الله منجم باشي (الف مصنفه حوالي سنة ٥٠٠ هـ) في

مصدره «باب فى الشدادية من كتاب جامع الدول» إن «آران اقليم مشهور يتاخم آذربيجان فى جهة الغرب منها، ويحدها من الغرب حدود أرمينية، ومن الشرق والجنوب آذربيجان، ومن الشمال جبال القبق (أى القوقاز) . ومن قواعدها مدينة نشوى» انظر ص ١ .

(٥٨) عنها انظر : فايز نجيب اسكندر : أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة، ص ٢٦ .

(٥٩) الدريند مدينة على بحر الخزر تعرف أيضا باسم مدينة باب الأبواب .
للتفاصيل انظر: ابن حوقل: ص ٢٩١ - ٢٩٢؛ البغدادى: ج ١ ، ص ١٤٢ - ١٤٣ ؛ القزوينى: ص ٥٠٦ - ٥٠٩ ؛ القلقشندى: ج ٤ ، ص ٣٦٤؛ ياقوت : ج ٢ ، ص ٤٤٩؛ أبو الفداء: ص ٤٠٥ ؛ الاضطخري: ص ١٠٩ - ١١٠؛ وص ١٠٩ ، حاشية رقم ١٠ .

(٦٠) عن تفاصيل ذلك انظر: فايز نجيب اسكندر: الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج، ص ٦٤ - ٦٥ .

(٦١) عن ذلك انظر: فايز نجيب اسكندر: المرجع السابق، ص ٦٩ - ٧١ ؛ ص ٧٣ - ٧٥؛ ص ٧٧ - ٧٩ .

(٦٢) فايز نجيب اسكندر: المرجع السابق ، ص ٧١ - ٧٢ .

(٦٣) عن أسرة بجراط الكرجية انظر: فايز نجيب اسكندر: الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج ، ص ٨٣ - ٨٥ .

(٦٤) عن تفاصيل ذلك انظر: فايز نجيب اسكندر: المرجع السابق، ص ٨٥ - ٩٢ .

(٦٥) Brosset, Georgie, T. I, p. 80; Nansen, p. 96 .

(٦٦) انظر فايز نجيب اسكندر: الكرج والأتراك السلاجقة فى عهد السلاطين العظام (٤٤٧ - ٤٨٥ هـ / ١٠٥٥ - ١٠٩٢ م) ، العدد الأول من مجلة كلية الآداب - جامعة بنها . (تحت الطبع) .

(٦٧) للتفاصيل انظر: فايز نجيب اسكندر: مملكة ارمينية الصغرى بين الصليبيين ودولة المماليك الأولى - رسالة دكتوراه لم تطبع بعد - الاسكندرية ١٩٨٠ .

(٦٨) Canard, Les Reines de la Georgie dans l'Histoire et la Legende Musulmanes, p. 3 .

(٦٩) Brosset, Georgie, T. I, p.292 - 301; et Additions, p. 179;

Schlumberger, Epopée, T. II, p. 176; Allen, History of the Georgian People , p. 84; Minorsky, Tiflis, Enc. de L'Islam, p. 793 - 794; Nansen, p. 100 .

(٧٠) Grousset , L'Empire du levant, Paris, 1946, p. 418; Nansen, p. 100.

(٧١) عن لقب قريلاط انظر: فايز نجيب اسكندر: البيزنطيون والاتراك السلاجقة فى معركة ملاذكرد فى مصنف نقفور برينيوس - الاسكندرية ١٩٨٤ ، ص: ٣٠ ، حاشية رقم ٣٤ .

(٧٢) للتفاصيل انظر: Salia, p. 165 - 171 .

(٧٣) أطلق على حرسه الشخصى اسم «موناسبا» Mona - Spa. انظر , Salia , p. 171.

(٧٤) Salia , p. 172 .

(٦٦) انظر فايز نجيب اسكندر: الكرج والأتراك السلاجقة فى عهد السلاطين العظام (٤٤٧ - ٤٨٥ هـ / ١٠٥٥ - ١٠٩٢ م) ، العدد الأول من مجلة كلية الآداب - جامعة بنها . (تحت الطبع) .

(٦٧) للتفاصيل انظر: فايز نجيب اسكندر؛ مملكة ارمينية الصغرى بين الصليبيين ودولة المماليك الأولى - رسالة دكتوراه لم تطبع بعد - الاسكندرية ١٩٨٠ .

(٦٨) Canard, Les Reines de la Georgie dans l'Histoire et la Legende Musulmanes, p. 3 .

(٦٩) Brosset, Georgie, T. I, p.292 - 301; et Additions, p. 179;

Schlumberger, Epopee, T. II, p. 176; Allen, History of the Georgian People , p. 84; Minorsky, Tiflis, Enc. de L'Islam, p. 793 - 794; Nansen, p. 100 .

(٧٠) Grousset , L'Empire du levant, Paris, 1946, p. 418; Nansen, p. 100.

(٧١) عن لقب قريلاط انظر: فايز نجيب اسكندر: البيزنطيون والأتراك السلاجقة فى معركة ملاذكرد فى مصنف نقفور برينيوس - الاسكندرية ١٩٨٤ ، ص ٣٠ ، حاشية رقم ٣٤ .

(٧٢) للتفاصيل انظر: Salia, p. 165 - 171 .

(٧٣) أطلق على حرسه الشخصى اسم «موناسبا» Mona - Spa. انظر , Salia , p. 171.

(٧٤) Salia , p. 172 .

(٧٥) استقر القفجاق في شمال بلاد الكرج ، وامتد استيطانهم نحو الشرق، على

طول الشاطئ الشمالي لبحر قزوين. عنهم انظر , Matthieu D'Edesse ,

p. 460, n. 2. انظر أيضا : القلقشندی: ج ٤ ، ص ٤٧٠ .

(٧٦) Brosset, I, p. 379 .

(٧٧) Salia, p. 173 .

(٧٨) باب الأبواب هو الدريند، دريند شروان. وتطل المدينة على بحر الخزر. انظر:

ياقوت : ج ١ ، ص ٣٠٣؛ البغدادی: ج ١ ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(٧٩) Grousset, p. 419; Salia, p. 173 .

سكن «الأوسيت» القسم الأوسط من سلسلة جبال القوقاز ، في مرتفعاته

المنبعة وقممه الشاهقة المعروفة بجبال «قازيك» (يرتفع ٥٠٤٤ مترا)

و«البرز» (يرتفع ٥٦٣٠ مترا) .

(٨٠) Brosset, I , p. 379 .

(٨١) اهتم المسعودی اهتماما بالغا بذكر مناعة «قلعة باب اللان» فقد ذكر أن قلعة

باب اللان على صخرة صماء لا سبيل إلى فتحها والوصول إليها إلا بإذن من

فيها. ولهذه القلعة المبنية على أعلى هذه الصخرة عين من الماء عذبة تظهر في

وسطها من أعلى هذه الصخرة. وهذه القلعة إحدى قلاع العالم الموصوفة

بالمنعة» . ثم أشار في موضع آخر إلى موقعها الاستراتيجي الهام في الدفاع

عن بلاد اللان قائلا: «ولو كان رجل واحد في هذه القلعة لمنع سائر الملوك

الكفار أن يجتازوا بهذا الموضع، لتعلقها بالجو واشرافها على الطريق والقنطرة

والوادي» . (انظر : مروج الذهب: ج ١ ، ص ١٦٥ - ١٦٦) والأرمن

يسمون باب اللان باسم «الناك درن» Alanac Durn . أما الكرج فيسمونه «باب تريك» Porte Terek تارة و«خفيس كاري» Khevis Kari أى «باب خيفى» Porte de Khevi تارة ثانية . (انظر : I , Brosset , 154 - 155) . وفى موضع آخر من مصنفه أشار المسعودى إلى اهتمام مسلمة بن عبد الملك بن مروان بحراسة هذا الموضع، إذ قام بإسكان بعض المسلمين لحراسته. وكانت تفليس تزودهم بالرزق والأقوات (انظر: مروج الذهب، ج ١ ، ص ١٦٥ - ١٦٦) . إلا أن هذا يتعارض مع ما ذكره ابن رسته، إذ أورد فى مصنفه أن قلعة باب اللان يسهر على حراستها ألف جندى من اتباع ملك اللان. انظر: الاعلاق النفيسة - ليدن ١٨٩١ - ص ١٤٨ - انظر أيضا : Minorsky, Hudud Al - Alam, p. 446 ; Marquart, Streifz., p. 165 .

والملاحظ أن ياقوت الحموى نقل الكثير عن المسعودى عند حديثه عن باب اللان. انظر: معجم البلدان، ج ١ ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ . وقارنه مع : مروج الذهب، ج ١ ، ص ١٦٥ - ١٦٦ . ويرجع سبب ذلك أن ياقوت أدرك بثاقب بصره وبصيرته أن المسعودى أورد فى مصنفه سردا على درجة كبيرة من الأهمية عن مملكة باب اللان، فاق فى غزارته ما ورد فى غيره من المصادر الجغرافية والتاريخية .

(٨٢) Salia, p. 173 - 174 .

(٨٣) Allen, p. 98 . وعن اقليم أرارات Ararat أنظر : فايز نجيب اسكندر: الحياة الاقتصادية فى أرمينية إبان الفتح الإسلامى، ص ١٢ - ١٣ ، وكذلك

ص ١٢ ، حاشية رقم ٢٣ .

Brosset, I , p. 354 et SQ' Grousset, p. 419; (٨٤)

Salia, p. 175 - 176 .

(٨٥) تقع إريشى أو هيريشى Heret'i شمالى نهر الكر وشرقى تفليس . أنظر :

فايز نجيب اسكندر : الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج، ص ٣٧ .

(٨٦) للتفاصيل عن أحوال كاخيتى فى عهد أسرة كويريكيان وعهد السيادة

السلجوقية انظر Movsesian, Histoire des Rois Kurikian de

. Lori, Paris, 1927, p. 260 - 262.

Brosset, I, p. 354 et SQ. (٨٧)

(٨٨) نهر أرجفى Aragvi هو أحد روافد نهر الكر، ويقع شمالى تفليس . انظر

. Laurent, p. 575, n. 66.

Movsesian, p. 262 . (٨٩)

Brosset, I, p. 354 et SQ; Movsesian ,p. 262; (٩٠)

Grousset , p. 418 - 419 .

Allen, p. 93 - 94 ; Grousset, p. 418 . (٩١)

(٩٢) كنجة أعظم مدينة بالران (أو بلاد أران)، وهى قصبتها، وتقع بين شروان

وآذربيجان، بينها وبين برذعة ستة عشر فرسخا (انظر ياقوت: ج ٤ ، ص

٤٨٢؛ البغدادى : ج ١ ، ص ٣٥١) وأهل الألب يسمونها جنزة (انظر

المصدر السابق : ج ٣ ، ص ١٠٨٠) . وقد أعجب ابن حوقل بخيراتها

وعمرانها وأخلاق أهلها الحسنة. ففى هذا المعنى يقول: «وجنزة مدينة حسنة

كثيرة الخير عامرة بعمارة تامة متغصنة بالخلق وأهلها ذور مروءة وأخلاق طيبة مرضية ومجاملة ومحبة للفرقاء وأهل العلم . (انظر: صورة الارض؛ ص ٢٩١) وقد وردت فى المصادر الاجنبية تحت اسم جاندزاك Gandzak (Ganjak) ، وتقع فى اقليم ارتشاك Artsakh (انظر, Arisdagues, CH. XVII, p. 103, n. 1).

وقد نجح أبو الأسور شاور بن الفضل فى فرض سيادته عليها وذلك سنة ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م (انظر أحمد بن لطف الله، باب الشدادية من كتاب جامع الدول، ص ١٣ وكذلك . Aristakes, CH. XVII, p. 89, n. 2) . وقد ظلت هذه المدينة ملكا لأسرة بنى شداد والتي ينتمى إليها أبو الأسور حتى سنة ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م حيث استولى عليها بوزان Bouzan ، قائد السلطان ملكشاه . انظر . Brosset , I , p. 344 .

(٩٣) Salia, p. 176 .

(٩٤) تقع شمشفلى Samchvilde (أو شمشلديه Schamschoulde) على الضفة اليمنى لنهر الكر Brosset, I, p. 467; Laurent, p. 29, n. 3 .

(٩٥) Salia, p. 176 .

(٩٦) ابن القلاسى: حوادث سنة ٥٠٣ هـ ، ص ١٦٨ ؛ الحسينى: أخبار الدولة السلجوقية - نشر محمد اقبال - لاهور ١٩٣٣ ، ص ٨١ .

(٩٧) Laurent, p. 419; Salia , p. 176

(٩٨) قلرجيت أحد أقاليم بلاد الكرج الغربية وهى عاصمة أرتانوج، وتقع بين بلاد الطايك Tayk وشوشت . وقد انفرد البلاذرى دون غيره من المصادر

الإسلامية بذكرها حين ذكر أن حبيب بن مسلمة الفهري صالح أهلها. انظر
البلاذري : ص ٢٣٩ . وللتفاصيل انظر 'Adontz, p. 117, 121, 123
Marquart, Strifzuge, p. 393 et AQ; Honigmann, p. 159
Laurent, p. 419; Salia, p. 176. (٩٩)

Brosset , I , 359; Allen, p. 98; Laurent, p. 419 - 420; (١٠٠)
Salia, p. 176 .

Salia, p. 176- 177; Laurent , p. 420 . (١٠١)

و «دمانيسى» أو «تمانيس» Tmanis مدينة أرمنية ، تقع على حدود
بلاد الكرج، فى أقصى مقاطعة كوكارك Koukark (أوجوجارك) نحو
الشمال الشرقى منها . انظر Matthieu d'Edesse, p. 463, n. 3 .

(١٠٢) «شروان» مدينة من نواحي الباب والأبواب، وقبل ولاية قصبته شماخى،
قرب بحر الخزر . انظر : البغدادى: ج ٢ ، ص ٧٩٣ . وتقع مقاطعة شروان
شمال شرقى أرمنية ، بين نهر الكر وبحر قزوين أطلق عليها أيضا اسم
«اجهوانك» Agh'ouank أو «البانى» Albanie . للتفاصيل انظر:
. Indjidji, l'Armenie Moderne, p.413 - 415

Salia, p. 177 . (١٠٣)

Laurent , p.420 ; Salia, p. 177 . (١٠٤)

Salia, p. 178 . (١٠٥)

Laurent , p. 420 . (١٠٦)

(١٠٧) فايز نجيب اسكندر : أسرة برينيوس ودورها فى تاريخ الامبراطورية
البيزنطية - دار النهضة المصرية ١٩٨٧ - ص ٣٧ ، حاشية رقم ١٢٨ .

(١٠٨) عن نتجوان انظر : فايز نجيب اسكندر : الفتوحات الإسلامية الأرمينية ، ص ٩٧ - ٩٨ ، حاشية رقم ١٤٩ .

(١٠٩) عن نهر الرس انظر : فايز نجيب اسكندر : المرجع السابق ، ص ٩٨ ، حاشية رقم ١٥٠ .

(١١٠) ابن القلانسي : حوادث سنة ٥١٥ هـ ، ص ٢٠٤ : ابن خلدون : حوادث سنة ٥١٦ هـ ، ج ٥ ، ص ٤٩ .

(١١١) ابن الأثير : حوادث سنة ٥١٤ هـ ، ص ٢٩٣ وعنه نقل العيني نقلاً حرفياً (أنظر : عقد الجمان ، القسم الرابع من الجزء العشرين، ورقة ٧٦٦) أما ابن القلانسي فقد أدرج هذه الأحداث تحت سنة ٥١٥ هـ . انظر : ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٠٤ ، والملاحظ أن ابن الأثير خطأ حين ذكر أن «الكرج هم الخزر» . انظر : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٢٩٣ . وقد أدرك ابن خلدون خطأ ابن الأثير وصححه حين نقل عنه. انظر: العبر ، ج ٥ ، ص ٤٩ . ونتيجة النقل بلا تمحيص، انزلق إلى نفس خطأ ابن الأثير كل من ابن العبري . (أنظر : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠١) والذهبي (كتاب دول الإسلام - القاهرة ١٩٧٤ - ج ٢ ، ص ٤١) .

والملاحظ أن رواية ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣م) عن الاحتكاك الحربي بين الأتراك السلاجقة والكرج، كانت فريسة دسمة انقضت عليها بالنقل الحرفي تارة وبالاختصار تارة أخرى كل من ابن العبري (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦م) ، والنويري (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢م) ، والذهبي (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨م). وابن كثير (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣م) ، وابن خلدون (ت

٨٠٨م/١٤٠٥م) ، والعيني (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١م) . قارن : ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج ٨ ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤ ، ٣١٣ مع المصادر الآتية : ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول، ص ٢٠١ ، ٢٠٢؛ النويرى: نهاية الأرب، ج ٢٧ ، ص ٢٣ - ٢٤؛ الذهبى : كتاب دول الاسلام، ج ٢ ، ص ٤١؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج ١٢ ، ص ١٨٥ ، ١٩٣؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ، ج ٥ ، ص ٤٩ ، ٥٢؛ العيني : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان - مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ ميكروفيلم ٥٦٥٤ ، القسم الرابع من الجزء العشرين، ورقات ٧٦٦ - ٧٦٨. وهناك مصادر إسلامية أخرى اشارت إشارة عابرة إلى هذا الاحتكاك ومنها : ابن القلاسى (٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) : ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ؛ العظمى (ت ٥٥٦ هـ / ١١٦١م) : تاريخ العظمى ، ص ٣٨٨ ؛ مؤلف مجهول (عاش، فى نهاية القرن السادس الهجرى / نهاية القرن الثانى عشر الميلادى) : البستان الجامع لتواريخ الزمان) ص ١١٨ ابن العديم (ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م) زبدة الحلب من تاريخ حلب، ج ٢ ، ص ١٩٩؛ عز الدين بن شداد (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥م) : الأعلام الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة، القسم الثانى من الجزء الثالث، ص ٤٣٠ - ٤٣١؛ أبو الفداء (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) : المختصر فى أخبار البشر، ج ٢ ، ص ٢٣٢ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة، ج ٥ ، ص ٢٢٣. والملاحظ أن محقق ابن القلاسى زودنا برواية ابن الازرق فى تاريخه عن أحداث سنة ٥١٥ هـ ، وهى رواية على درجة كبيرة من الأهمية. انظر ابن القلاسى:

حاشية رقم ١ عن ما ذكره ابن الأزرقي في تاريخه عن أحداث سنة ٥١٥ هـ ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ ، على أية حال، أغفلت كافة المصادر الإسلامية ذكر معركة ديدجوري Didgori الفاصلة . إلا أن المصادر الكرجية واللاتينية والأرمنية سدت هذا النقص، إذ زودتنا بتفاصيلها الدقيقة .

(١١٢) في ابن القلائسي «نجم الدين ايل غازي بن أرتق صاحب حلب» . انظر: ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٠٤ ، وعنه قال أبو المحاسن : «كان عادة نجم الدين إذا شرب الخمر وتمكن منه، أقام أياما مخمورا لا يفيق لتدبيره ولا يستأمر في أموره . (انظر: النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٢٠٨) . وتوفي ايلغازي سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢م بمدينة ميفارقين ، فكانت وفاته يوم الخميس سابع عشر رمضان (٢١ نوفمبر ١١٢٢م) في قرية تعرف بالفحول. انظر: العيني: ورقة ٨٠٦ ؛ النجوم: ج ٥ ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤؛ أبو الفداء: ج ٢ ، ص ٢٣٦ . وقد وصفه متى الراهوي بأنه «كان محبا لسفك الدماء» أنظر . Matthieu d'Edesse , p. 303 .

(١١٣) سيف الدولة ديبس بن صدقة «أصله من بني أسد وقيل من بني خفاجة. كان شر أهل بيته، يرتكب الكبائر ويفعل العظائم، ولقى منه الخليفة والمسلمون شرورا كثيرة، وأبطل الحج ، وأباح الخروج في شهر رمضان قتله السلطان مسعود السلجوقي في ذي الحجة سنة تسع وعشرين وخمسائة ، وكان قتله بالمراغة. انظر: أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ٥ ، ص ٢٥٦ . انظر أيضا . Matthieu d'Edesse, p. 459, n. 2 .

(١١٤) في وفيات الأعيان، الترجمة رقم ٢٢٦ ، ترجمة ديبس بن صدقة،

«كهارخاتون» ولبس «كمارختون» . انظر ص ٢٦٥ . وفى متى الرهاوى
«كهارخاتون» Kohar - Khathoun . انظر , Matthieu d'Edesse ,
. p. 297

(١١٥) هو الملك طغرل بن محمد شاه بن ملكشاه السلجوقى، شقيق السلطان
محمود، توفى فى المحرم سنة ٥٢٩هـ. (انظر: ابن الأثير؛ ج ٨، ص ٣٤٥)،
بينما اختلف أبو الفداء فى تحديد تاريخ وفاته عن ابن الأثير، إذ أورد:
«توفى فى المحرم سنة ٥٢٩ هـ ، وقيل أن وفاته كانت فى أول سنة ٥٢٨ هـ
وهو الأصح فى ظنى » . انظر : المختصر ، ج ٣ ، ص ٨ . وقد اجمعت
المصادر الإسلامية على صحة رأى ابن الأثير. والجدير بالذكر أن يسميه
المؤرخ الارمنى متى الرهاوى «ملك، سلطان كنتزاك» أى الملك طغرل حاكم
كنجة. إذ جاء فى حديثه عن معركة ديدجورى (يسمىها تيجور Tegor) أنه
عبأ جيشا قوامه أربعمئة ألف فارس، وتسلى إلى بلاد الكرج : « En
meme temps, Melik, sultan de Kantzag, a la tete de
«400,000 cavaliers Agueris, penetra en Georgie

انظر: . Matthieu d' Edesse, p. 304 .

(١١٦) للتفاصيل عن «أرزن» انظر: فايز نجيب اسكندر: الحياة الاقتصادية فى
أرمينية إبان الفتح الإسلامى، ص ٥٤ ، حاشية رقم ٣٣٨ .

(١١٧) تقع «بدليس» شمال بحيرة وان. للتفاصيل انظر: ابن حوقل ، ص ٢٧٨ .
Laurent , p. 389 .

(١١٨) للتفاصيل عن «دوين» انظر: فايز نجيب اسكندر: المرجع السابق، ص ١٧ ،

حاشية رقم ٤٩ .

(١١٩) ابن الأثير : ج ٨ ، ص ٢٩٣ ؛ ابن العبري: ص ٢٠١ - ٢٠٢ ؛

الذهبي: ج ٢ ، ص ٤١ ؛ ابن خلدون: ج ٥ ، ص ٤٩ ؛ العيني: ورقة ٧٦٦.

انظر أيضا : Matthieu d'Edesse, Chronique, Trad., Ed.

Dulaurice, Paris, 1858, CH . CCXXXI , p. 303 .

(١٢٠) ابن شداد : الأعلام الخطيرة ، القسم الثاني من الجزء الثالث ، ص ٤٣٠.

(١٢١) ابن الأثير : ج ٨ ، ص ٢٩٣ ؛ ابن العبري: ص ٢٠١ ؛ ابن كثير: ج ١٢ ،

ص ١٨٥ ؛ العيني: ورقة ٧٦٦ .

(١٢٢) Matthieu d'Edesse , p. 304; Galterii Cancellarii

Antiocheni, Bella Antiochena, 1121, dans R.H.C.,

Auteurs Occidentaux, Paris , 1895, T. V, 131 وللتفاصيل

عن متى الرهاوي وحوليته (٩٥٢ - ١١٤٤م / ٣٤١ - ٥٣٩ هـ) انظر :

فايز نجيب اسكندر : أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة، ص ١٣٩ ،

حاشية رقم ١٩ .

(١٢٣) ابن الأزرقي الفارقي : أحداث ٥١٥ هـ ، ص ٢٠٥ .

(١٢٤) ابن القلانسي : ص ٢٠٥ .

(١٢٥) ابن القلانسي : ص ٢٠٥ ؛ ابن العديم : ج ٢ ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

(١٢٦) الفارقي: ص ٢٠٥ . وقد اختلفت رواية ابن العديم عن رواية الفارقي، إذ

ذكر أن الملك طغرل استنجد بإيلغازي وملكهم داود، «فسار اليه في عالم

عظيم ومعه ديبسى بن صدقة» .

- انظر : ابن العديم : ص ١٩٩ - ٢٠٠ .
- (١٢٧) عز الدين بن شداد: ص ٤٣٠ ؛ الفارقي : ص ٢٠٥ .
- والملاحظ أن الحسيني أشاد بحصانة تفليس ومناعة أسوارها . إذ أورد في مصنفه: «وطول سور تفليس أربعون ذراعا في عرض يطابقه» . أنظر: أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٤٥ .
- (١٢٨) «أرزن الروم» مدينة مشهورة من مدن أرمينية قرب خلاط . انظر القزويني: ص ٤٩٤ ، ياقوت: ج ١ ، ص ١٥٠ ؛ البغدادى: ج ١ ، ص ٥٥ ؛ أبو الفداء : ص ٣٨٤ - ٣٨٥ .
- (١٢٩) «ترياليت» منطقة جبلية تقع بين نهر الكر وبحيرة بانافاري P'anavari . انظر : Brosset, Description, p. 157 et SQ; Adontz , p. 117; Hubschmann, p. 354; Honigmann, p. 163, 168 .
- وقد انفرد البلاذري وابن الأزرقي الفارقي دون غيرهما من المصادر بذكرها.
- انظر : فتوح البلدان ، ص ٢٣٩ ؛ تاريخ الفارقي ، ص ٢٠٥ ، حيث وردت في هذا المصدر الأخير على شكل «ترياليت» .
- (١٣٠) ابن الأزرقي الفارقي : ص ٢٠٥ ؛ ابن الأثير: ج ٨ ، ص ٢٩٣ ؛ ابن العبري: ص ٢٠١ - ٢٠٢ ؛ ابن خلدون : ج ٥ ، ص ٤٩ ؛ العيني: ورقة ٧٦٦ ؛ ابن شداد : ص ٤٣٠ - ٤٣١ .
- (١٣١) الفارقي : ص ٢٠٥ .
- (١٣٢) الفارقي : ص ٢٠٥ ؛ ابن شداد : ص ٤٣١ .
- (١٣٣) ابن شداد : ص ٤٣١ .

(١٣٤) الفارقي : ص ٢٠٥ .

(١٣٥) الفارقي: ص ٢٠٥؛ الذهبي: ص ٤١؛ أبو المحاسن: ج ٥، ص ٢٢٣.

(١٣٦) ابن الأثير: ج ٨، ص ٢٩٣ وعنه نقل ابن العبري: ص ٢٠٢؛ ابن كثير:

ج ١٢، ص ١٨٥؛ ابن خلدون: ج ٥، ص ٤٩؛ العيني: ورقة ٧٦٦ .

(١٣٧) Grousset, p. 420 .

(١٣٨) في ياقوت (ج ٢ ؛ ص ٣٦) «رستاق منجليس» ويقع غربى تفليس

(Adontz, Armenia,p.117,123) ويقابله عند الكرج .

Mangleac'p'or أى «وادي منجليس» . انظر : Toumanoff,

Studies, p. 402, 407, n. 2 ; Hewsen, Armenia, p. 338;

Hubschmann, p. 355.

(١٣٩) ابن الأثير : ج ٨ ، ص ٢٩٣؛ ابن العبري: ص ٢٠٢ ؛ العيني: ورقة

٧٦٦ - ٧٦٧ . وواضح أن كل من ابن العبري والعيني نقلوا الاقتباس عن

ابن الأثير نقلا حرفيا .

(١٤٠) ابن الأثير: ج ٨، ص ٢٩٣؛ ابن العبري: ص ٢٠٢؛ العيني: ورقة ٧٦٧؛

ابن خلدون : ج ٥ ، ص ٤٩ .

(١٤١) ابن شداد : ص ٤٣١ ؛ ابن العديم : ص ١٩٩ .

(١٤٢) ابن الأثير: ج ٨، ص ٢٩٣؛ ابن العبري: ص ٢٠٢؛ الذهبي: ج ٢، ص ٤١؛

ابن كثير: ج ١٢، ص ١٨٥ ؛ العيني : ورقة ٧٦٧ .

(١٤٣) ابن شداد: ص ٤٣١. والجدير بالتسجيل هنا أن ابن العبري في مصدره

الثاني (تاريخ الزمان، بيروت ١٩٨٦، ص ١٣٩) جنح إلى الاختصار

الشديد فى ذكر أخبار المواجهة الكرجية السلجوقية، إذ اكتفى بالقول: «وفى سنة ١٤٣٣ لليونان (١١٢٢م) وجه السلطان محمود جيشا ضخما من الأتراك إلى بلد الكرج ، فأرصد الملك الثغور وفتك بالكثيرين منهم» . هذا بينما زودنا بتفاصيل أكثر فى مصدره الأول (تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠١ - ٢٠٢) نقلا عن ابن الأثير: ج ٨ ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤ ، ٣١٣ و«ميفارقين» قاعدة ديار بكر، وتقع بين الجزيرة الفراتية وأرمينية وهى بالقرب من آمد. (انظر : فايز نجيب اسكندر: مملكة أرمينية الصغرى بين الصليبيين والمماليك - رسالة دكتوراه لم تطبع بعد - ص ١٠٤ ، حاشية رقم ١) . أما «ماردين» فهى قلعة مشهورة بديار ربيعة من الجزيرة الفراتية، مشرفة على دينسر، ودارا ، ونصيبين وذلك الفضاء الواسع وقدامها روض عظيم. وهى معقل أمراء بنى حمدان. أنظر : فايز نجيب اسكندر: المرجع السابق، ص ١٣٥ ، حاشية رقم ٣ .

(١٤٤) ابن الأثير: ج ٨ ، ص ٢٩٣. أما الذهبى فقد ذكر أن الكرج حاصروا تفليس لمدة سنتين ثم أخذوها بالسيف. انظر: كتاب دول الإسلام ، ج ٢ ، ص ٤١ .

(١٤٥) ابن الأثير: ص ٢٩٣؛ ابن العبري: ص ٢٠٢؛ ابن كثير: ج ١٢ ، ص ١٨٥. وفى ابن الأزرقي: ص ٢٠٥ «وغنم الكفار منهم غنيمة عظيمة» .

(١٤٦) ابن كثير: ج ١٢ ، ص ١٨٥ .

(١٤٧) عن تحليل مختلف روايات المصادر الإسلامية انظر حاشية رقم ١١١ .

(١٤٨) جاء فى Galterii Cancellarii Bella Antiochena الآتى : "Ipsi

vero cum superbia equitanti ira dei obstitit : eo namque die,
quo soldanus et ipse Algazi cum Sexcentis Millibus
Terram Regis Bellaturi intraverunt, ipse idem Rex David,
...."

وترجمة النص: «بينما كان (الأمير ايلغازي) يتقدم بغطرسية على رأس جيشه،
انصب عليه غضب الله وقلب رأسا على عقب كل مخططاته، ففي نفس يوم
دخوله بلاد الملك داوود حيث ترأس جيشا قوامه ستمائة الف مقاتل ... »
انظر : Galterii, dans R.H.C.H. Occid, T. V, p. 130.

هذا بينما ذكر جلتيري أن تعداد جيش داوود بلغ ثمانية الف مقاتل فالنص
اللاتيني التالي أوضح ذلك، إذ جاء فيه: Signo Sanctae Crucis
Praemunitus, Habens intra Medos et Christianos
QUATER VIGINTI MILIA PUGNATORUM..."
وترجمة النص أن «(الملك داوود) تقوى بشارة الصليب وحشد ثمانية الف
مقاتل من الميدين والمسيحيين ... »

انظر R.H.C., H. Occid., T. V, p. 130 .

Kartlis Tskhovreba, T. I, p. 365 . (١٤٩)

Ch. CCXXXII "En meme temps, جاء في متى الرهاوى (١٥٠)

Melik, Sultan de Kantzag, a la tete de 400,000 Cavaliers
Aguerris, penetra en Georgie du cote de la ville de
Deph'khis (Tiflis), par la montagne de Tegor"

انظر: Matthieu d'Edesse : P. 304 . وترجمة النص: «في نفس

الوقت، تسلل ملك (يقصد طغرل)، سلطان كنجة على رأس جيش قوامه أربعمئة ألف من الفرسان المدربين على فنون الحرب والقتال، تسلل هذا الجيش الجرار على بلاد الكرج عبر مدينة تفليس عن طريق جبل تبجور (ديدجورى Didgori فى خارطليس تسخوفريبر Kartlisa Tskhovreba).

(١٥١) لم يرد ذكر اسم جبل ديدجورى Didgori فى كافة المصادر الإسلامية، ولا ذكر لتفاصيل هذه المعركة الحاسمة والتي كان من أهم نتائجها سقوط العاصمة تفليس فى قبضة الملك الكرجى داوود الثانى البناء، على أية حال ذكر ابن الأثير ومن نقلوا عنه أن هذه المعركة دارت بالقرب من تفليس. انظر: الكامل فى التاريخ، ج ٨، ص ٢٩٣؛ ابن العبرى: ص ٢٠٢؛ ابن كثير: ج ١٢ ص ١٨٥؛ العينى: ورقة ٧٦٦) هذا بينما ذكر ابن الأزرى أن نجم الدين ايلغازى «وصل إلى أن بقى بينه وبين تفليس الجبل (يقصد جبل ديدجورى الواقع جنوب غربى تفليس) مقدار نصف يوم» حيث دارت المعركة الطاحنة. انظر: تاريخ الفارقى: ص ٢٠٥.

Matthieu d'Edesse, p. 460, n. 1. (١٥٢)

Matthieu d'Edesse, p. 304 - 305. (١٥٣)

Brosset, I, p. 365 - 367; Et Additions, I, p. 230, 236 - (١٥٤)
241. CF. Salia, p. 178.

(١٥٥) جاء النص اللاتينى على هذا النحو "Factis Agminibus, INTER DUOS MONTES, Densissimis Nemoribus insitos, in

valle restitit, Qua , Ut Fama Retulit, super Eum Hostes
ingredi praesumebant. "

Galterii , p. 130 . انظر

وتعد رواية جلتيري أهم المصادر التي فصلت الحديث عن معركة ديدجورى .
(١٥٦) انفراد جلتيري دون غيره من المصادر بذكر النص الكامل لخطبة الملك
الكرجى داوود الثانى . انظر . Galterii, p. 130 - 131

Galterii , p. 130 - 131 . (١٥٧)

(١٥٨) اقتبس هذا القول عن القرآن الكريم، إذ ورد فى سورة البقرة الآية ٢٤٩ :
بسم الله الرحمن الرحيم « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع
الصابرين » صدق الله العظيم . ويعد هذا دليلا واضحا على إمام العاهل
الكرجى بالعقيدة الإسلامية .

Galterii , p. 131 - 132 . (١٥٩)

(١٦٠) ابن العديم: ج ٢ ، ص ١٩٩ . والملاحظ أن العينى انفراد بذكر هذا الحدث
دون غيره من المصادر .

Brosset, I, p. 365 - 367; Et Additions , I , 236 - 241 . (١٦١)

(١٦٢) «دريند شروان» وتسمى أيضا «الدريند» أو «الباب» أو «باب الأبواب»
وهى مدينة قرب بحر الخزر ، وقيل ولاية قضبتها شماخى. سميت الباب
لأنها بناها شروان، فنسبت إليه. انظر: ياقوت: ج ٣ ، ص ٣٩٩؛ البغدادي:
ج ٢، ص ٧٩٣ ؛ النويرى: ج ٢٧ ، ص ٢٤ ، حاشية رقم ١ . فى ابن
الأثير: ج ٨ ، ص ٣١٣ «أهل دويند» وصحتها «دريند» . وتقع شروان

شمال شرق أرمينية ، بين نهر الكر وبحر قزوين ، وقد وردت فى المصادر

الأرمنية تحت اسم «أجهوانك» Agh'ouank' تارة و«البانى» Albanie

تارة أخرى . انظر Indjidji, l'Armenie Moderne, p. 413 - 415 .

(١٦٣) ابن الأثير: ج ٨ ص ٣١٣ ؛ النويرى: ج ٢٧ ، ص ٢٤ ؛ ابن خلدون: ج ٥ ص ٥٢ ؛ العينى : ورقة ٧٦٧ .

(١٦٤) ابن الأثير: ج ٨ ، ص ٣١٣ .

(١٦٥) «شماخى» قصبة بلاد شروان ، فى طرف الران. وتعد من أعمال الباب

والأبواب . انظر: ياقوت : ج ٣ ، ص ٣٦١ ؛ البغدادى : ج ٢ ، ص ٨١ .

(١٦٦) ابن الأثير: ج ٨ ، ص ٣١٣ ؛ النويرى: ج ٢٧ ، ص ٢٤ (والملاحظ أن

النويرى نقل نقلا حرفيا عن ابن الأثير) ؛ ابن خلدون: ج ٥ ، ص ٥٢ (جنح

ابن خلدون إلى تلخيص رواية ابن الأثير أحداث شروان فى أربعة أسطر)؛

العينى: ورقة ٧٦٧ (بعد أن كان العينى ينقل حرفيا عن ابن الأثير، جنح إلى

ايجاز رواية ابن الأثير ايجازا شديدا) .

(١٦٧) ابن الأثير : ج ٨ ، ص ٣١٣ ؛ النويرى: ج ٢٧ ، ص ٢٤ ؛ ابن خلدون:

ج ٥ ، ص ٥٢ ؛ العينى: ورقة ٧٦٧ .

(١٦٨) ابن الأثير: ج ٨ ، ص ٣١٣ ؛ النويرى: ج ٢٧ ، ص ٢٤ ؛ ابن خلدون:

ج ٥ ، ص ٥٢ ؛ العينى: ورقة ٧٦٧ . انظر أيضا : . Salia , p. 181 .

(١٦٩) ابن الأثير: ج ٨ ، ص ٣١٣ ؛ النويرى: ج ٢٧ ، ص ٢٤ ؛ ابن خلدون:

ج ٥ ، ص ٥٢ ؛ العينى: ورقة ٧٦٧ .

Salia, p. 181 .

(١٧٠)

Matthieu d'Edesse, Ch. CCXXXIX, p. 310 . (١٧١)

(١٧٢) تقع «كولا» جنوب نهر الرس، فى مقاطعة أارات (انظر p. Laurent,

56 n. 86) وكان جنوب كولا من المناطق الارمنية الشهيرة بانتاج القمح

منذ القدم (انظر p. 145 Moise de Khorene , وقد بلغ من غزارة

انتاج الحبوب بها انها كانت تصدر القمح إلى بغداد (انظر Sirarpie der

(Nersessian, Etudes Byzantines et Armeniennes, p. 304

إذ أورد الطبرى أن المؤن كانت تصل بسهولة إلى بغداد من الجزيرة وأرمينية.

انظر: تاريخ الأمم والملوك - المطبعة الحسينية المصرية - ج ٣ ، ص ٢٧٢ ،

٢٧٥ .

(١٧٣) «باسيان» الاقليم الرابع فى مقاطعة أارات فى أعلى نهر الرس

(Aristakes, p. 12, n. 1) . ويقع شرق كارين . (Arisdagues, p.)

1 (22, n. 1) ويتفق ما ذكره موبيز الخورينى فى مصدره عن تاريخ الأرمن

وما جاء فى معجم ياقوت الحموى الذى ذكر أنه يوجد باسين العليا وباسين

السفلى . ويقول انهما كورتان قصبتهما أرزن الروم . انظر : ياقوت : معجم

البلدان، طبعة بيروت - ج ١ ، ص ٣٢٢ ؛ البغدادى : ج ١ ، ص ١٥٣

وأىضا : Moise de Khorene, II , CH. VI , p. 135 - 136 et

135 , n. 8 .

Salia, p. 182 . (١٧٤)

(١٧٥) تقع آنى على الشاطئ الأيمن من نهر أخوريان ، على بعد عشرين ميلا،

عند ملتقى هذا النهر بنهر الرس . للتفاصيل انظر: فايز نجيب اسكندر:

استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمينية آنى ، ص ٨ - ٩ .

(١٧٦) تناولنا فى بحثنا السابق تفاصيل هذه الاحداث فى ضوء الدراسة التحليلية

النقدية المقارنة لمختلف المصادر . انظر : فايز نجيب اسكندر: استيلاء

السلاجقة على عاصمة أرمينية آنى- الاسكندرية ١٩٨٧ - ص ٩ - ٤٢ .

(١٧٧) تقع «مقاطعة أراجدزوتن» شرق نهر أخوريان ، الرافد الأيسر لنهر الرس .

انظر . Laurent , p. 42 .

(١٧٨) تقع «شيراك» فى اقليم أارات ، وتعد من أهم المدن الأرمينية. وقد اتخذ

أشوط الثالث مدينة آنى، الواقعة فى اقليم شيراك، عاصمة لأسرة بجراط،

وذلك سنة ٩٦١م / ٣٥٠ هـ ، وبذلك ازدادت أهمية اقليم شيراك . (انظر

Aristakes, p. 49, n. 3; Asolik, II , p. 16, n. 1 . CF.

Ghazarian, Arabischen, p. 72) . والجدير بالذكر أن الجغرافيين

المسلمين يسمونها «سراج طير» ، ويقول البغدادى نقلا عن ياقوت الحموى

إنها «كورة فى أرمينية الثالثة وقيل الثانية» . انظر : مرصد الاطلاع، ج٢،

ص ٧٠٢؛ ياقوت: معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٠٣ .

(١٧٩) «سبير» Sper أو «اسبير» Ispir ، اقليم فى أرمينية العليا، شمال شرق

أرزن الروم، مشهور بمناجم الذهب، كان منذ قديم الزمان من الأملاك الموروثة

لأسرة بجراط (انظر Moise de Khorene, II, CH, XXXVI,

p.179, n. 8. CF. Saint- Martin, I , p. 69 - 70; Indjidji,

l'Armenie Ancienne, p. 52 - 62) ولا يزال بهذا الاقليم مناجم

تحتوى على مختلف أنواع المعادن ، خاصة الذهب والفضة المتواجد بكثرة فى

وادی شوروخ ، ضواحي سبیر . انظر : Arisdagues, IX, p. 73, n.1 ; Aristakes, IX, p. 59, n. 2. CF. Manandian, p. 151; David Lang, p. 192; Der Nersessian, p. 304 .

(١٨٠) «أرزن الروم» مدينة مشهورة من مدن أرمينية قرب خلاط . انظر: القزويني: ص ٤٩٤؛ ياقوت: ج ١، ص ١٥٠؛ البغدادی: ج ١ ، ص ٥٥؛ أبو الفداء : ص ٣٨٤ - ٣٨٥ .

(١٨١) عن «طرابيزون» انظر: فايز نجيب اسكندر : امبراطورية طرابيزون والبندقية . الاسكندرية ١٩٨٣ - ص ٩ وما بعدها .

(١٨٢) . «أبو الأسوار» هو أحد أمراء بني شداد الكردية. حكم دوين في الفترة من ١٠٢٢ إلى ١٠٤٩ م / ٤١٣ - ٤٤١ هـ . ونجح أيضا في فرض سيادته على كنجة وذلك سنة ١٠٤٩ / ٤٤١ هـ . وظلت هذه المدينة ملكا لأسرة بني شداد والتي ينتهي إليها أبو الاسور حتى سنة ١٠٨٨ م / ٤٨١ هـ ، حيث استولى عليها بوزان قائد السلطان ملكشاه . للتفاصيل انظر : Arisdagues,X, p. 69, n. 1; Aristakes, X, p. 52 - 53 , n. 2; 89, n. 2; Brosset, I , p. 344 .

(١٨٣) أحمد بن لطف الله منجم باشي : ص ١٥ .

(١٨٤) Matthieu d'Edesse, p. 465 , n. 2 .

(١٨٥) عنه انظر , Matthieu d'Edesse , p. 465, n. 1; Brosset,

Ruines d'Ani, p. 126, n. 2 .

(١٨٦) Matthieu d'Edesse, p. 465, n. 2; Salia, p. 182;

Brosset , Ruines d'Ani, p. 128 .

Brosset, Ani, p. 128; Salia, p. 182 . (١٨٧)

Brosset, Georgie, I, P. 359; Additions, p. 280 , 282; (١٨٨)

Ani , p. 128; Matthieu d'Edesse, p. 313 - 314 .

وهكذا صارت آنى بعد إخراج بنى شداد منها نهائيا جزءا من مملكة الكرج الموحدة، ولكنها بقيت فى حوزة الزخارية يدفعون عنها الجزية. وامتدت أسوار المدينة فى أيامهم حتى بلغت شواطىء نهر ارتشاي المنحدرة. وتدل الابنية الدينية لذلك العصر على أن حكام الكرج كأسلافهم البيزنطيين كانوا يميلون إلى المذهب الخلقدونى ، مما أدى إلى انتشاره بين الأرمن على حساب مذهبهم المونوفيزيتى .

Matthieu d'Edesse, p. 313 - 314. CF. Brosset, Ani, p. (١٨٩)
129; Salia , p. 182 .

Matthieu d'Edesse, p. 313 - 314. (١٩٠)

Matthieu d'Edesse, p. 318. (١٩١) و «هنريط» بالكسر، ثم السكون،

وزاى، ثم ياء ، وطاء مهملة: من ثغور الروم. انظر : البغدادى : ج ٣ ، ص ١٤٦٦ .

(١٩٢) ابن الأثير: ج ٨ ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤ .

(١٩٣) عبر عن ذلك متى الرهاوى بقوله "Il Prodigua a notre nation toute sorte de consolations et de bienfaits. "

انظر . Matthieu d'Edesse , p. 311

(١٩٤) الفارقي: ص ٢٠٥ - ٢٠٦ ؛ انظر أيضا : تاريخ الفارقي - تحقيق بدوي عبداللطيف - بيروت ١٩٧٤ ، ص ٤١ - ٤٥ . ومن المؤكد أن «حمام اسماعيل» هو نفس الحمام الذي ذكره الحسيني في حديثه عن سقوط تفليس في قبضة السلطان الب أرسلان، إذ جاء في روايته «فوجد فيها حماما بناه سليمان بن داود صلوات الله عليهما على عين حمئة سخنة بماءها الحار من غير أن تجاوره النار وهو أول حمام بنى في الدنيا » . انظر : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٤٥ .

(١٩٥) ابن حوقل : ص ٢٩٢ .

(١٩٦) القزويني : ص ٥١٨ ، ياقوت : ج ٢ ، ص ٣٥ .

(١٩٧) مؤلف مجهول : البستان الجامع لتواريخ الزمان ، ص ١١٨ - ١١٩ . والجدير بالذكر أن ياقوت أشار أنه ينسب إلى تفليس جماعة من أهل العلم منهم التفليسي والبهيتي والهاقولي (انظر : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٧)؛ هذا بينما اكتفى أبو الفداء بالقول «وخرج منها علماء» . انظر: تقويم البلدان ، ص ٥١٠ .

(١٩٨) شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ٥٨ .

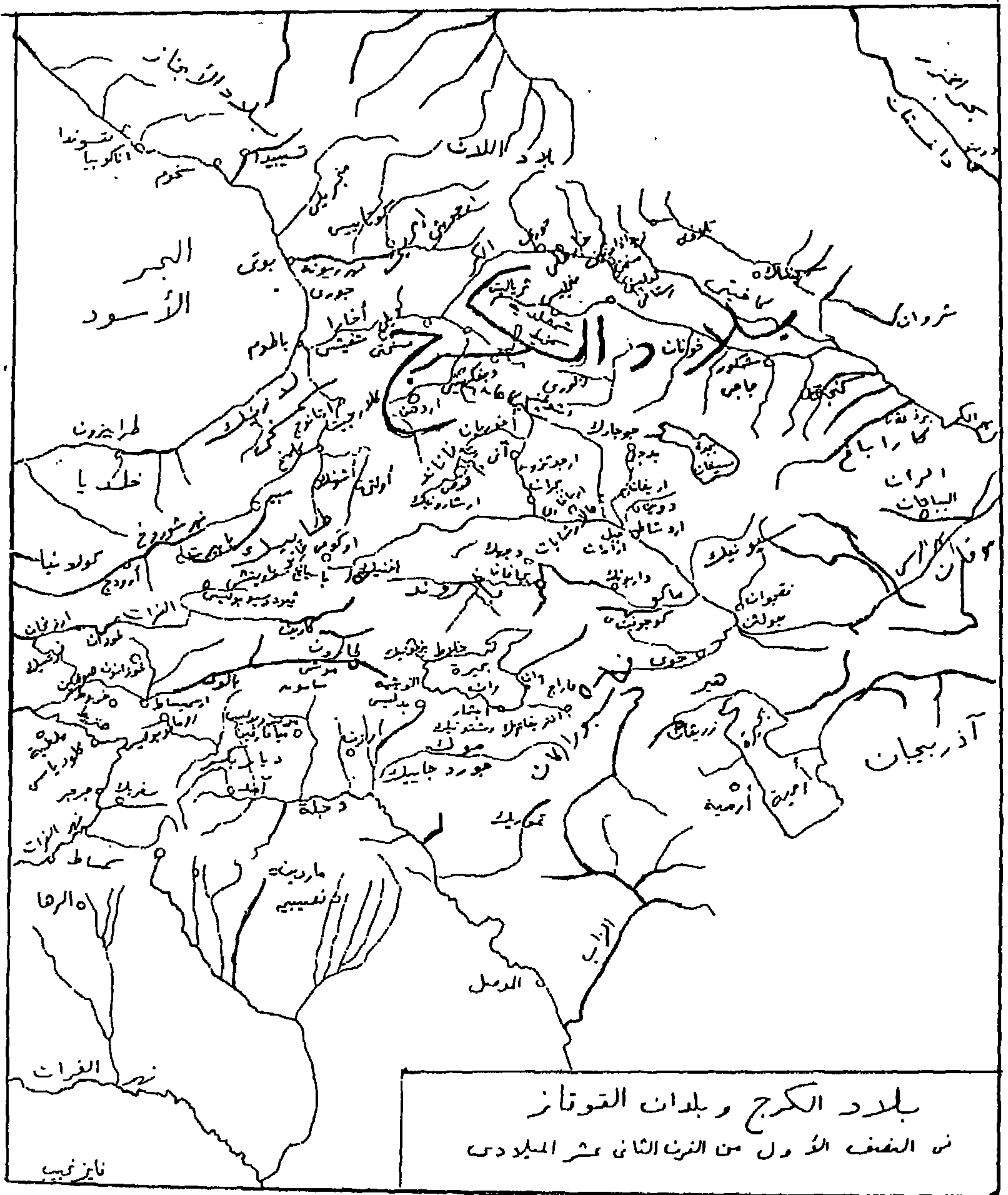
(١٩٩) ابن الأزرقي : ص ٢٠٦ .

(٢٠٠) Salia , 182 - 183 .

(٢٠١) ابن الأزرقي : ص ٢٠٦ .

(٢٠٢) Nansen, p. 100 .

(٢٠٣) Matthieu d'Edesse , p. 318 .



تقرير

عن اجتماع الجمعية العمومية لاتحاد المؤرخين العرب
التي عقدت بالقاهرة (٧ - ٩ ديسمبر ١٩٩١) .

أولا : جدول الأعمال .

ثانيا : كلمة الافتتاح

ثالثا : النظام الأساسي لاتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة .

رابعا : البيان الختامي والتوصيات

جدول الأعمال

اليوم الأول السبت ١٢/٧/١٩٩١ م

٩ - ١٠ التسجيل

١٠ - ١١ الافتتاح

كلمة الافتتاح

* أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

- رئيس اللجنة المؤقتة للاتحاد .

* معالي أ. د. سليمان سعدون البدر

- وزير التربية بالكويت .

* أ. د. عبد الله بن يوسف الشبل

- وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

* د. محمد العبدروس

- كلية الآداب - جامعة الإمارات العربية المتحدة

١١ - ١١٣٠ استراحة

١١٣٠ - ١١٣٠ الجلسة الأولى

كلمة ممثلي الجامعات العربية المشاركة في المؤتمر

١٣٠ - ٤ غداء وراحة

٤ - ٦ الجلسة الثانية

بقية كلمات ممثلي الجامعات العربية المشاركة في المؤتمر

٧٣٠ - التوجه من الفندق لحضور برنامج الصوت والضوء بالسيارة .

اليوم الثامن الأحد ٨ / ١٢ / ١٩٩١ م

١٠ - ١١ الجلسة الثالثة

عرض مشروع اللائحة الأساسية الدائمة لإتحاد المؤرخين العرب

يقدمه أ. د. حسنين محمد ربيع

١١ - ١١ر٣٠ استراحة

١١ر٣٠ - ١١ر٣٠ الجلسة الرابعة

مناقشة مشروع اللائحة الأساسية الدائمة لإتحاد المؤرخين العرب

المقرر: رئيس اللجنة المؤقتة لإتحاد المؤرخين العرب .

١٣ر٤ - ٤ غذاء وراحة

٤ - ٦ الجلسة الخامسة

تكملة مناقشة مشروع اللائحة الأساسية لإتحاد المؤرخين العرب .

٦ر٣٠ - التوجه من الفندق لإحدى البواخر السياحية

لتناول العشاء على صفحة نهر النيل .

اليوم الثالث الإثنين ١٩٩١/١٢/٩

الجلسة السادسة	١١ - ١٠
إقرار اللائحة الأساسية للإتحاد	
إستراحة	١١ - ١١ر٣٠
الجلسة السابعة	١١ر٣٠ - ١١ر٣٠
انتخابات أمين عام الإتحاد	
ومجلس إدارة الإتحاد للدورة ١٩٩١ - ١٩٩٤ م	
غذاء	١١ر٣٠ - ٣
الجلسة الختامية - توصيات	٣ - ١١ر٣٠
جولة حرة	١١ر٣٠ - ٤

كلمة الافتتاح التى ألقاها

الأستاذ الدكتور/ سعيد عبدالفتاح عاشور

رئيس اللجنة المؤقتة لإتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة

فى إجتماع الجمعية العمومية ٧ ديسمبر ١٩٩١م

حضرات الإخوة والأخوات ... حضرات الزملاء والزميلات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عندما تجتمع اليوم تحت شعار إتحاد المؤرخين العرب، فإنما نجتمع فى حقيقة الأمر ليس لخدمة قضية معينة أو شريحة محددة من شرائح مجتمعنا العربى، وإنما لخدمة العروبة وتاريخها وتراثها وحاضرها ومستقبلها كبناء واحد متكامل. إنه (اتحاد) المؤرخين العرب، ولعل فى هذه التسمية ما يكفى للتعبير عن أننا نجتمع لنوحد لا لنفرق، ولنشيد ونبنى لا لنهدم ونمزق، لنقوم لا لنعوج .

حضرات الإخوات ، الزملاء والزميلات

إن لهذا الإجتماع قصة لا بد من إحاطة حضراتكم علما بها. ذلك ن الإتحاد السابق للمؤرخين العرب - الذى اتخذ من بغداد مركزا له - نهج نهجا سياسيا معيناً، الكل يعرفه، ولا نريد الخوض فيه حرصاً على رأب الصدع وتجنباً لإستفحال الشرخ. ولكن يكفى أن نشير إلى أن ذلك الإتحاد لم يلتزم بروح النظام الأساسى الذى أعلنه دستوراً لنشاطه، فجاءت الفجوة واسعة بين الشعارات البراقة التى نصن عليها ذلك النظام، وبين السلوك والأهداف التى سعى إليها، وتحايل على تنفيذها إرضاء لنزوة حاكم بعينه .

وهكذا سخر التاريخ لخدمة السياسة، وما أدراك ما السياسة اليوم بمتاهاتها ومنحنياتها الفكرية والعقائدية والمذهبية وغيرها. وباستعراض نشاط ذلك الإتحاد، نجد أنه لم ير فى تاريخ هذه الأمة إلا الشعبوية، محاولا تطبيق مقاييس الماضى على الحاضر، والعودة بنا إلى الوراء، متناسيا أنه من سنن التاريخ تبدل الأوضاع وأن للتاريخ دورة، عبر عنها الله عز وجل بقوله «وتلك الأيام نداولها بين الناس» . وبدلا من جميع الشمل إزداد الخرق إتساعا حتى كانت الكارثة التى حلت بالعالم العربى فى العام الماضى عندما غزا العراق دولة الكويت، وأحدث بها ما أحدث من دمار وخراب ، مما عاد بخسارة فادحة على حاضر الأمة العربية ومستقبلها .

وفى تلك الظروف الصعبة، نفذ إتحاد المؤرخين العرب فى بغداد الخطة التى رسمت له، والتى كان يعد لها فى إجتماعاته وندواته وفقا لأهداف مرسومة لم يفتن إليها معظم من شاركوا فى تلك الإجتماعات من الزملاء والزميلات بنوايا حسنة وعن طيب خاطر . وما كاد يبدأ العدوان العراقى على الكويت، حتى إستباح أمين عام الإتحاد فى بغداد لنفسه أن يصدر بيانا بإسم المؤرخين العرب يؤيد العدوان، وببارك ما قام به حاكم العراق ورجاله من أعمال، بل لقد حاول أمين عام إتحاد المؤرخين العرب فى بغداد أن يخلق لذلك العدوان مبررات تاريخية لا وجود لها فى التاريخ ولا أساس لها من الصحة .

وكان أن اجتمع فريق من أساتذة التاريخ العرب فى القاهرة فى سبتمبر ١٩٩٠، واتصلوا بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية، وهى الجمعية التى لم تربط نفسها مطلقا بإتحاد المؤرخين العرب فى بغداد، وإنما ظلت دائما تتشكك فيه وفى سياسته المشبوهة. وفى اللقاء الذى تم بين أعضاء مجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات

التاريخية فى مقرها بالقاهرة من ناحية، وبين الإخوة المؤرخين العرب وكانوا ينتمون إلى ما لا يقل عن خمس دول عربية من ناحية أخرى، طلب الطرف الأخير إدانة إتحاد المؤرخين العرب فى بغداد وتنحية أمينه العام عن مركزه، ونقل مقر الإتحاد إلى القاهرة .

وفى يومى ١٨ ، ١٩ نوفمبر ١٩٩٠ اجتمع جمع من المؤرخين العرب بالقاهرة، واتخذوا القرارات الآتية، على أن تكون ذات صفة مؤقتة لحين إجتماع الجمعية العمومية الموسعة المثلثة فى حضراتكم . أما القرارات فهى :

أولا : نقل مقر إتحاد المؤرخين العرب فورا من بغداد إلى القاهرة .

ثانيا : تنحية الدكتور مصطفى النجار عن أمانة إتحاد المؤرخين العرب وسحب الثقة منه .

ثالثا: إنتخاب لجنة مؤقتة تتولى مهام الدعوة لعقد الجمعية العمومية لإتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة . وقدتم إختيار أعضاء هذه اللجنة على الوجه التالى :

١ - الأستاذ الدكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور .

الأستاذ بكلية الآداب جامعة القاهرة - رئيسا .

٢ - سعادة الأستاذ الدكتور / عبد الله بن يوسف الشبل .

وكيل جامعة الإمام محمدبن سعود الإسلامية بالرياض - وكيل .

٣ - الأستاذ الدكتور / يونان لبيب رزق

رئيس قسم التاريخ بكلية البنات بجامعة عين شمس - أمينا للصندوق

٤ - الأستاذ الدكتور / سليمان العسكرى
أستاذ التاريخ بجامعة الكويت - عضوا .

٥ - الأستاذ الدكتور / مصطفى عقيل
أستاذ التاريخ بجامعة قطر - عضوا

٦ - الأستاذ الدكتور / عبد العزيز نوار

أستاذ التاريخ بكلية الآداب بجامعة عين شمس - عضوا

٧ - الأستاذ الدكتور / محمد العبدروس

أستاذ التاريخ بجامعة العين بدولة الإمارات العربية - عضوا

٨ - الأستاذ الدكتور / حسنين محمد ربيع

عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة - عضوا

٩ - الأستاذ الدكتور / عبد العزيز الهلابى

أستاذ التاريخ بجامعة الملك سعود - عضوا

وهكذا أقيت على كاهلنا مهمة الإعداد لهذا الاجتماع فى ظروف صعبة، تطلبت منا الكثير من الجهد والوقت، مما يجعلنى أنتهز هذه الفرصة لأرجو حضراتكم إعفائى من رئاسة هذه اللجنة تماماً بعد أن تقوموا حضراتكم بانتخاب اللجنة الجديدة الدائمة لاتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، وذلك وفقاً للبرنامج المحدد فى هذا اللقاء .

حضرات الإخوة الزملاء والزميلات

لا أخفى على حضراتكم أنه واجهتنا فى الأشهر الأخيرة صعوبات ضخمة من أجل تنظيم هذا الاجتماع والإعداد له . ومن هذه الصعوبات العشور على قوائم بأسماء أسرة التاريخ فى كل بلد عربى داخل الجامعات وخارجها. هناك أسماء

نعرفها جيدا ولكن لم نستدل على عناوين المراسلات معها مما أدى إلى إرتداد عدد كبير من الرسائل التي أرسلناها إلى شتى أنحاء العالم العربى. ونرجو عن طريق حضراتكم وبمساعدتكم أن تنوبوا عنا فى تقديم الاعتذار إلى من لم تصله الدعوة لحضور هذا الإجتماع من الإخوة المؤرخين العرب، كما نرجو حضراتكم إمداد الأمانة العامة للإتحاد بكل ما يتوافر لديكم من أسماء وعناوين خاصة بالأخوة المشتغلين بالدراسات التاريخية، ليجتمع الشمل وتقوى الروابط .

على أن الصعوبة الكبرى التى واجهتنا عند الإعداد لهذا الإجتماع كانت بلا شك عملية التمويل. ويبدو أن حالة الإضطراب النفسى نتيجة للصدمة التى تعرضت لها الأمة العربية جعلت الحصول على دعم من الحكومات العربية القادرة أمرا صعبا. وهكذا حتى إستجابت لنا جهتان لابد من التنويه بهما وتقديم الشكر باسمى وأسمكم لهما. أما الجهة الأولى، فهى المملكة العربية السعودية وعلى رأسها خادم الحرمين جلالة الملك فهد بن عبد العزيز، وقد تجاوزت معنا عن طريق وساطة جامعة الإمام محمد بن سعود ومديرها معالى الأستاذ الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركى ووكيلها سعادة الأستاذ الدكتور عبد الله بن يوسف الشبل. قام هذا الجانب بتحمل نفقات الانتقال بالطائرة ذهابا وإيابا لكافة الأعضاء المشاركين فى هذا الإجتماع والمقيمين خارج مصر . فلهم منا ومنكم وافر الشكر والتقدير .

وإما الجهة الثانية فتتمثل فى شخص سمو الشيخ الدكتور سلطان القاسمى أمير الشارقة، وهو الحاكم المؤرخ، الفخور بانتماؤه إلى أسرة المؤرخين العرب. والذى يشكل تاريخ العرب والعروبة جزءا من فكره ووجدانه . وقد تكفل سموه بكافة

نفقات هذا اللقاء الذى يضمنا اليوم . فله منا ومنكم وافر الشكر والتقدير .

حضرات الإخوة الزملاء والزميلات

إن إتحاد المؤرخين العرب فى وضعه الجديد الذى تساهمون فى إرساء قواعده الآن لا يربطه بالإتحاد السابق فى بغداد إلا الاسم ، بمعنى أنه ليس إمتدادا له بقدر ما هو وليد جديد ، يحمل وعيا جديدا ، وفكرا جديدا ، وفهما جديدا ، ونظرة جديدة إلى الأمور .

وبعبارة أخرى فإننا نرجو أن نبدأ من نقطة إنطلاق جديدة لا أن تستأنف مسيرة سابقة نحو أهداف مشبوهة مستترة. إن المرض الخطير الذى يعانى منه علم التاريخ فى عالمنا العربى اليوم هو محاولة إخضاعه لأهواء السياسة وتطلعات رجال السياسة، بمعنى تفسير التاريخ ومحاولة تشكيكه وفق أهواء بعض الحكام وآرائهم وتطلعاتهم، حتى ولو أدى ذلك إلى تشويه الحقيقة التاريخية وإفسادها .

حضرات الإخوة الزملاء والزميلات

إن تاريخ الأمة العربية يحتل والحمد لله صفحة مشرقة فى سجل تاريخ الإنسانية، فعلىنا أن نكشف عن جوانب هذا التاريخ بأمانة وموضوعية وحياد. وإذا صادفنا بعض ثغرات، فعلىنا أن ندرك أن الآباء والأجداد كانوا بشرا، والبشر معرض للصواب والخطأ. فلنذكر الحسنات وما أكثرها ولا نتغاضى عن الزلات لنأخذ منها عظة وعبرة فليس عيبا أن يخطئ الإنسان ولكن العيب هو ألا يستفيد الإنسان من خطئه .

وبعد ، أيها الإخوة الزملاء والزميلات، فإننى أكرر ما بدأت بالإشارة إليه من أن

الهدف الأساسى من إجتماعنا هذا هو البناء ووضع خطة عمل لإتحاد جديد
للمؤرخين العرب، تستهدف إلقاء الأضواء على أمجاد الماضى وكشف الغمة عن
حاضر مضطرب وفتح باب الأمل أمام مستقبل مشرق إن شاء الله .

وفقكم الله ومكثنا جميعا من الوفاء بعهد كان مستولا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أ.د. سعيد عبد الفتاح عاشور

بسم الله الرحمن الرحيم

النظام الأساسي

لاتحاد المؤرخين العرب

جمادى الآخر ١٤١٢ هـ - ديسمبر ١٩٩١ م

الباب الأول

التعريف بالإتحاد

أهدافه ونشاطه ومقره

مادة (١)

إتحاد المؤرخين العرب هيئة علمية مهنية تضم المشتغلين بالدراسات التاريخية من أبناء الأمة العربية .

مادة (٢)

يسعى إتحاد المؤرخين العرب لتحقيق الأهداف الرئيسية الآتية :

أ - دراسة تاريخ الأمة العربية وفق منهج علمي موضوعي، وإبراز العناصر التي أسهم بها العرب والمسلمون في بناء صرح الحضارة البشرية .

ب - تشجيع الدراسات التاريخية التي تساهم في دعم أواصر الوحدة العربية وتحقيق الترابط بين الدول العربية .

ج - التصدي بالأدلة العلمية التاريخية للدفاع عن القضايا العربية وبخاصة قضية فلسطين .

د - الدفاع عن الحقيقة التاريخية من أن تقع تحت أي تأثير سياسي أو مذهبي أو عقائدي .

هـ - تنقية التاريخ العربي مما لحق به من شوائب على مر العصور .

و - تحديث الدراسات التاريخية باستخدام وسائل التقنية الحديثة .

ز - الدفاع عن حقوق المؤرخ العربي وإنتاجه العلمي . .

- ح - العناية بالتراث التاريخى للأمة العربية .
- ط - تنمية المعرفة التاريخية لدى المواطن العربى .
- ى - الدفاع عن المؤسسات والمنجزات التاريخية والأثرية والسعى للحفاظ عليها بالوسائل المشروعة .

مادة (٣)

- يأتى فى مقدمة نشاط إتحاد المؤرخين العرب ما يلى :
- أ - إقامة الندوات والمؤتمرات التاريخية وعقد اللقاءات والاجتماعات بصفة مستمرة لدراسة التاريخ العربى من كافة جوانبه وصلته بمسيرة التاريخ الإنسانى .
- ب - جمع التراث التاريخى العربى والإسلامى الحفاظ عليه وتشجيع نشر ما لم ينشر منه، وتحقيقه وشرحه .
- ج - نشر البحوث التاريخية والأثرية التى تتصف بالأصالة والجدة والموضوعية، وذلك بعد تحكيمها بكافة وسائل النشر المتاحة للإتحاد وفى مقدمتها مجلة علمية .
- د - العمل على توثيق عرى التعاون مع الجمعيات والهيئات والمؤسسات العلمية والتاريخية فى الوطن العربى وخارجه .

مادة (٤)

- يكون مقر إتحاد المؤرخين العرب الدائم بمدينة القاهرة، ويجوز لمجلس الأمناء دعوة الجمعية العمومية للإنعقاد فى أى قطر عربى، كما يراعى فى اللقاءات العلمية والندوات أن تتنوع أماكن إنعقادها داخل محيط الوطن العربى أو خارجه .

الباب الثانى

تكوين إتحاد المؤرخين العرب

مادة (5)

يتكون إتحاد المؤرخين العرب من :

- أ - أعضاء هيئات تدريس التاريخ والآثار بالجامعات العربية وكذلك أعضاء المؤسسات العلمية المتخصصة الأخرى من المشتغلين فى الدراسات التاريخية مثل مراكز تحقيق التراث التاريخى ، ومراكز البحوث والوثائق .
- ب - الباحثين المشتغلين فى حقل الدراسات التاريخية والأثرية وبخاصة التاريخ العربى فى مختلف عصوره، من أبناء الأمة العربية داخل الوطن العربى وخارجه .
- ج - الهيئات والجمعيات التاريخية أو ذات الإهتمامات بالدراسات التاريخية داخل الوطن العربى، وتكون مشاركة هذه الهيئات والجمعيات فى إتحاد المؤرخين العرب إما بصفتها الاعتبارية أو بأعضائها والمساهمين فيها .
- د - الشخصيات العربية التى لها عناية بتاريخ الأمة العربية ممن لهم إسهام علمى بالبحث والتأليف فى مجال التاريخ والآثار .
- هـ - يجوز للجمعية العمومية بناء على ترشيح من مجلس الأمناء منح عضوية الشرف وتكون العضوية فخرية فى هذه الحال .
- و - يشترط فى جميع الحالات أن يكن العضو مشهودا له بحسن السمعة، وأن يكون ملتزما بالنظام الأساسى للإتحاد، وتزول صفة العضوية عن العضو إذا أتى عملا يسىء إلى الإتحاد وأهدافه أو ارتكب عملا مغلا بالأمانة العلمية، ويكون هذا الإجراء بقرار مسوغ من مجلس الأمناء .

الباب الثالث ملطات الإتحاد وإختصاصاته

مادة (٦)

أ - الجمعية العمومية لاتحاد المؤرخين هى السلطة العليا للإتحاد، والتى تتألف من جميع أعضاء الإتحاد العاملين. وتنعقد هذه الجمعية العمومية مرة كل ثلاث سنوات بناء على دعوة من رئيس الإتحاد. ويمكن دعوة الجمعية العمومية لإجتماع غير عادى كلما رأى مجلس الأمناء ذلك، أو بناء على طلب مكتوب يقدم لرئيس الإتحاد من ثلث الأعضاء على الأقل .

ب - يكون إنعقاد الجمعية العمومية قانونيا إذا حضر الإجتماع ثلث الأعضاء، فإذا لم يتكامل هذا العدد فى الميعاد المحدد تؤجل الجمعية لمدة ساعة، ويكون الإجتماع عندئذ صحيحا مهما كان عدد الحاضرين .

ج - تناقش الجمعية العمومية للإتحاد التقارير العلمية والإدارية والمالية التى يقدمها رئيس مجلس الأمناء عن نشاط الإتحاد فى الدورة المنصرمة .

د - تقوم الجمعية العمومية بإنتخاب رئيس الإتحاد وأعضاء مجلس الأمناء.

هـ - يتألف مجلس الأمناء الذى تنتخبه الجمعية العمومية لإتحاد المؤرخين العرب من ثلاثة عشر عضوا تبعا للتوزيع الجغرافى (المغرب ٣ - مصر والسودان وجيبوتى والصومال ٣ - الجزيرة العربية - ٣ - الشام والعراق ٣ - إضافة إلى رئيس الإتحاد من دولة المقر . ومدة العضوية فى مجلس الأمناء ثلاث سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة فقط .

و - يقوم مجلس الإدارة بانتخاب ثلاثة نواب للرئيس من أقاليم: المغرب - الجزيرة العربية - الشام والعراق كما يقوم مجلس الأمناء بانتخاب أمين المجلس، وأمين الصندوق .

ز - يقوم رئيس الإتحاد بدعوة الجمعية العمومية للإجتماع ووضع جدول الأعمال بالنسبة لهذا الإجتماع وتحديد مكانه .

ح - يقوم مجلس الأمناء بالإشراف على النشاط العلمى والإشراف على الشئون الإدارية والمالية والفنية بالنسبة للإتحاد وكذلك تعيين الموظفين العاملين بالإتحاد ومساءلة من يخل منهم بواجباته . وعلى مجلس الأمناء إعداد الحساب الختامى بالنسبة للسنة المنتهية .

ط - تصدر قرارات الإتحاد بأغلبية أصوات الحاضرين ، وعند التساوى يرجح جانب الرئيس .

ى - يقوم رئيس مجلس الإدارة أو نائبه برئاسة مجلس الأمناء وتمثيل الإتحاد أمام الجهات العلمية والإدارية والقضائية، وإقرار جدول أعمال جلسات مجلس الإدارة ومراقبة تنفيذ قراراته، والتوقيع على كافة العقود والاتفاقات التى يقرها مجلس الأمناء، كذلك تكون له صلاحية البت فى المسائل العاجلة التى لا تحمل التأجيل ، على أن يعرض ذلك على المجلس والجمعية فى أقرب إجتماع.

د - مدة الرئاسة ثلاث سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة فقط .

هـ - يقوم نواب رئيس الإتحاد بمساعدة الرئيس فى مهامه، كما ينوب عنه أكبرهم سناً فى حال غيابه أو خلو منصبه .

و - يختص أمين مجلس الإتحاد بتنفيذ قرارات مجلس الأمناء والإشراف على الإتصالات والمراسلات كما يقوم بتوجيه الدعوة للأعضاء والقيام بأعمال أمانة مجلس الأمناء والجمعية العمومية، والإشراف على سجلات الإتحاد الخاصة بأسماء أعضائه وقرارات مجالسه وتبليغ قرارات مجالسه وغير ذلك من الأعمال الإدارية، وإعداد التقرير السنوى عن نشاط الإتحاد .

ن - يكون أمين الصندوق مسئولاً عن الشؤون المالية الخاصة بالإتحاد سواء ما يتعلق منها بالإيرادات و بالمصروفات، وتسجيل ذلك فى دفاتر الإتحاد. وعليه تنفيذ قرارات مجلس الأمناء، فيما يتصل بالمعاملات المالية. ويوقع على الشيكات وأذونات الصرف بالإشتراك مع رئيس الإتحاد أو أحد نوابه. كذلك يقوم أمين الصندوق بعرض الحساب الختامى والميزانية السنوية وتقرير مراقب الحسابات على مجلس الأمناء ثم على الجمعية العمومية .

بسم الله الرحمن الرحيم

البيان الختامى والتوصيات

اجتمعت الجمعية العمومية لإتحاد المؤرخين العرب فى مدينة القاهرة فى الفترة من يوم السبت ١ جمادى الآخر ١٤١٢ هـ الموافق ٧ ديسمبر ١٩٩١م إلى يوم الاثنين ٣ جمادى الآخر ١٤١٢ هـ الموافق ٩ ديسمبر ١٩٩١ م .

وناقشت مشروع النظام الأساسى للإتحاد والذى كان قد وضعته اللجنة المؤقتة للإتحاد المشكلة فى ١٩ نوفمبر ١٩٩٠م وبعد أن اشترك أعضاء الجمعية فى مناقشة المشروع بأبوابه الخمسة مناقشة مستفيضة تم إعداد النظام فى شكله النهائى بعد تنفيذ مقترحات أعضاء الجمعية وتوصياتهم. وأقرته الجمعية العمومية فى جلستها المنعقدة صباح يوم الاثنين ٣ جمادى الآخر ١٤١٢ هـ الموافق ٩ ديسمبر ١٩٩١م وأوصت بطبعه وتوزيعه على أعضاء الإتحاد وتنفيذ ما ورد فيه إعتبارا من تاريخ إقراره .

ثم قامت الجمعية العمومية بانتخاب الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور رئيسا للإتحاد بإجماع الأصوات لمدة ثلاث سنوات .

ثم قامت بانتخاب أعضاء مجلس الأمناء وأسفرت نتيجة الإنتخاب عن فوز السادة التالية أسماؤهم :

- ١ - أ.د. محمد رزوق . (المغرب)
- ٢ - أ.د. حسنين محمد ربيع (مصر والسودان)
- ٣ - أ.د. يونان لبيب رزق (مصر والسودان)
- ٤ - أ.د. محمد محمد مرسى الشيخ (مصر والسودان)
- ٥ - أ.د. عبد الله بن يوسف الشبل (الجزيرة العربية)
- ٦ - أ.د. سليمان إبراهيم العسكرى (الجزيرة العربية)
- ٧ - د. محمد العيدروس (الجزيرة العربية)
- ٨ - أ.د. سهيل زكار . (الشام والعراق)
- ٩ - أ.د. إبراهيم محمود زعرور (الشام والعراق)

وتركت ثلاثة مقاعد خالية لشغلها وفقا للنظام الأساسى إثنان للمغرب وواحد للعراق والشام على أن تشغل هذه المقاعد فيما بعد . ووافقت الجمعية العمومية على تفويض مجلس الأمناء فى شغل هذه المقاعد للأشخاص المناسبين وفى الوقت المناسب .

وقامت لجنة الأمناء بانتخاب كل من :

- ١ - أ.د. عبد الله بن يوسف الشبل نائبا للرئيس
- ٢ - أ.د. سهيل زكار نائبا للرئيس
- ٣ - أ.د. حسنين محمد ربيع أميننا للمجلس

كما رأت لجنة الأمناء إتخاذ جامعة القاهرة مقرا مؤقتا للإتحاد لحين تدبير مقر دائم .

وأوصت الجمعية العمومية بالتوصيات التالية :

أولا : إتحاد المؤرخين العرب فى مدينة القاهرة هو الإتحاد الشرعى الوحيد الذى يمثل وجدان وشعور المؤرخين العرب فى كل مكان وهو هيئة علمية مهنية تضم المشتغلين بالدراسات التاريخية والأثرية من أبناء الأمة العربية .

ثانيا : يسعى الإتحاد إلى تحقيق الأهداف الرئيسية التى وردت فى الباب الأول من النظام الأساسى المادة (٢) والتى تهدف إلى خدمة تاريخ العرب والمسلمين والارتقاء بمستوى الدراسات التاريخية للوطن العربى والعناية بالتراث التاريخى والدفاع عن حقوق المؤرخين العرب.

ثالثا: توصى الجمعية العمومية الحكومات العربية والجامعات والمؤسسات العلمية والثقافية فى الوطن العربى بتقديم كل عون ومساعدة مادية ومعنوية حتى يتمكن الإتحاد من تحقيق أهدافه المشار إليها .

رابعا: تهيب الجمعية العمومية بالمؤرخين العرب فى مختلف البلدان العربية أن يبادروا بالإنضمام إلى الإتحاد حتى يتمكن من النهوض

بالأمانة الكبرى الملقاه على عاتقه لخدمة الدراسات التاريخية
والمؤرخين .

خامسا : تناشد الجمعية العمومية سائر الجمعيات التاريخية فى
الوطن العربى أن تتعاون مع الإتحاد بإعتباره الممثل الحقيقى
الشرعى لكافة المؤرخين العرب .

سادسا : توصى الجمعية العمومية بإرسال برقيات شكر وتقدير
للسيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية على
عقد الجمعية العمومية بالقاهرة مقر الإتحاد وبرقية إلى خادم الحرمين
الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية
وسمو الشيخ الدكتور سلطان محمد القاسمى أمير الشارقة وعضو
المجلس الأعلى لدولة الإمارات العربية المتحدة لقيامهما بدعم عقد
الجمعية العمومية للإتحاد بالقاهرة وتوجيه الشكر إلى الأستاذ الدكتور
عبد الله بن عبد المحسن التركى مدير جامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية والأستاذ الدكتور مأمون محمد سلامة رئيس جامعة القاهرة
لتعزيدهما لإنعقاد المؤتمر والتسهيلات التى قدماها له .

والله من وراء القصد .

Bulletin
of
The Arab Historians Society

Academic Bulletin Concerned with
Historical studies

Vol. 1 - No. 1 .

March, 1993

Cairo - Egypt
